اتِّسَاعُ الدِّلالَةِ الُّلغويَّةِ فِي صَحِيح الْبُخَارِيِّ

إعداد

عَاطِف عبد المَجِيد عبد النَّبيّ أبو جَاجَة

المُشرف

الدُّكتور مَحْمود عَبْد الله جَفَّال الحَدِيد

قدِّمتْ هذه الأطروحة استكمالاً لمُتطلَّبات الحصول على درجة الدُّكتوراة
في الُّلغة العربيَّة

كلِّيَّة الدِّراسات العُلْيا
الجامعة الأردنيَّة

أيَّار ٢٠١٠م

قرار لجنة المُناقشة

نُوقِشت هذه الأطروحة (اتِّسَاعُ الدّلالَةِ اللُّغَويَّةِ فِي صَحِيح البُخَاريِّ) وَأُجِيزت بتاريخ: ١٣ / ٥ / ٢٠١٠م

أعضاء لجنة المُناقشة	التَّوقيع
الدُّكتور: محمود عبد الله جقّال الحديد مُشرفاً أستاذ مشارك– فقه اللغة العربية	....
الأستاذ الدُّكتور: محمَّد حسن عوّاد، عُضوًا أستاذ ــ لغة ونحو.	....
الأستاذ الدُّكتور جعفر نايف عبابنة، عُضوًا أستاذ مشارك ــ لغة ونحو.	....
الأستاذ الدُّكتور: عودة خليل أبو عودة، عُضوًا أستاذ مشارك ــ لغة ونحو (جامعة الشَّرق الأوسط) .	....

الإهــداء

إلى روح أمي الطَّاهِرة، التي كانت تملأ حياتي فرحاً وَسعادةً، فلقد فارقت يا أمِّي هذه الحياة الفانية، وقد كنت تنتظرين اللَّحظة تلو الأخرى؛ لتشهدي ابنك وقد شقَّ طريقه نحو سلَّم العِلْم.

إلى والدي، حبيس الفراش، وأسير الزَّمان، أعانه الله في مرضه، وخفّف عنه ما فيه مـــن أوجاعٍ.

إلى زوجي، ورفيقة دربي، فلقد وقفت إلى جانبي في مشواري الطَّويل، تشدِّين من أزري، وَتُقوِّين من عزيمتي، حتَّى أصبح الصَّعْب سهلاً، وَالطَّريق الشَّائِك مفروشاً بالأمل.

إلى أولادي: آلاء وَتامر وَآية وَساجد، فلطالما تحمَّلتم فوضى الـــورق، ولطالمـــا حبـــستم ضحكاتكم؛ فقد عانيتم كما عانيت، وقاسيتم كما قاسيت.

إلى كُلِّ هؤلاء، وإلى كُلِّ من وقف إلى جانبي، إلى كُلِّ من قدَّم نصيحةً، أو أعطى كلمةً من الزُّملاء وَالأصدقاء، أهديه هذا الإنجاز العلميّ، وَأسأل الله جلَّ في علاه أن أكون قـــدَّمت شـــيئاً ينفع الناس.

شُكْـــر وَتقديـــر

" رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ التي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَـــى وَالِـــدَيَّ، وَأَنْ أَعْمَـــلَ صَـــالِحاً تَرْضَاهُ، وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ".

صدق الله العظيم

(النَّمل ١٩)

أرى لزاماً عليَّ أنْ أسجِّل شكري إلى أستاذي الفاضل الدُّكتور: محمود جقَّال الحديد الـــذي شرَّفني بقَبول إشرافه على هذه الأطروحة، لِمَا أسبَغَهُ عليَّ من التَّوجيهات الفيَّاضة، وَالنَّـــصائح القيِّمة، وَاللَّفتات الكريمة، فجزاه الله عنِّي خيرَ الجزاء.

كما أتقدَّم بالشُّكر إلى أساتذتي الأجلاّء الذين تفضَّلوا بقراءة هـــذه الأطروحـــة؛ لمناقـــشتها وتقويمها، وإغنائها بآرائهم السَّديدة وهم: الأستاذ الدكتور محمّد حسن عوّاد من الجامعة الأردنيّة، والدكتور جعفر نايف عبابنة رئيس قسم اللغة العربية وآدابها في الجامعة الأردنيّـــة، والـــدكتور عودة خليل أبو عودة من جامعة الشّرق الأوسط.

وَالشّكر موصولٌ إلى أستاذي الدُّكتور عبد القادر السَّعْدي الذي كان له الفضل ــ بعـــد الله تعالى ــ في توجيهي لاختيار هذا البحث، ولم يأل جهدًا في نصحي وَتوجيهي.

ولا أنسى أسرتي التي وفرَتْ لي الجو المناسب لإخراج هذا العمل بالشَّكل الذي يليق، وإلى إخوتي وأصدقائي، وإلى كُلِّ من قدَّم لي عوناً ساهم في إنجاح أطروحتي.

فهرس المُحتَويات

اتِّسَاعُ الدِّلالَةِ اللُّغَوِيَّةِ فِي صَحِيح الْبُخَارِيِّ

إعداد
عَاطِف عبد المَجِيد عبد النَّبي أبوجَاجَه

المُشرِف
الدُّكتور مَحْمود عبد الله جَفَّال الحَدِيد

مُلخَّص

تتناول الدِّراسة في مجملها موضوع اتِّساع الدِّلالة اللُّغويَّة لأحاديث النَّبيِّ ــ عليه الصَّلاة وَالسَّلام ــ الوَاردة في صحيح البخاريِّ: لغةً وَبلاغةً وَنحواً وَصرفاً؛ إذْ تمَّ التَّركيز على عددٍ كبيرٍ من الأحاديث النَّبويَّة، التي كان للاتِّساع أثرٌ بارزٌ فيها، من ناحية استعمال اللَّفظ لأكثر من دلالةٍ: مفردًا ومُركَّباً. وَلقد كان للتَّوسُّع في أحاديثه – صلَّى الله عليه وَسلَّم – التي وردت عنه قولاً، أو فعلاً، أو تقريراً شموليَّته للظَّواهر اللُّغويَّة المُتعدِّدة؛ فالمُشتَرك اللَّفظيُّ، وَالتَّرادُف، وَتعدُّد معاني الحُرُوف، وَالتَّوسُّع في الحَقِيقة وَالمَجَاز، وَالتَّضْمين، وَالحَذْف، وَاختلاف الإعراب، وَالتَّقْديم وَالتَّأخير وَمسائل الاشتقاق، وَالتَّذكِير وَالتَّأنيث، وَغيرها... قضايا كانت مادَّةً خصبةً للتَّوسُّع، وَقد أثبت وجودُها في الحديث النَّبويِّ الشَّرِيف مدى اتِّساقها مع موروث العرب: نثراً وَشعراً، وَأثبتتْ الدِّراسة أنَّ ما نلحظه من اختلافاتٍ لغويَّةٍ اعتُبِرت من باب التَّوسُّع مردُّها إلى اختلاف الآراء بين العلماء في فهم المَعْنى.

وَخلصت هذه الدِّراسة وبعد تحليل الكثير من الأحاديث النَّبويَّة في صحيح البُخَاريِّ إلى أنَّ الجانب اللُّغويَّ جانبٌ أساسيٌّ من جوانب حياتنا، على اعتبار أنَّ اللُّغة من أهم مقوِّماتنا، وَعنوان كياننا، وَهي الحاملة لثقافتنا، وَالرَّابط المُوحِّد بيننا؛ لذا فقد اتَّسمتْ لغتنا بالاتِّساع الذي يُحقِّق هذه الغايات في جميع مناحي العربيَّة، فقد تمثَّل ذلك بزيادة مفردات اللُّغة، وتشعُّب دلالاتها، وَاتِّساع مضامينها.

المُقدِّمــة

الحمدُ للهِ الذي بحمدِهِ تدومُ النِّعَم، وبرحمتهِ علّمَ الإنسانَ بالقلم، والسَّلام على عبدِهِ ورســولِهِ محمَّدٍ مخرجِ الناس من مهالك الظُّلَم، وَعلى آله الطَّيِّبين الطَّاهِرين، وصحابته الأخيار المنتخبين على سائر الأمم.

يعدّ الاتِّساع في اللُّغة من الظَّواهر اللُّغويَّة البارزة، وَمن الأساليب التي كثُرَ شــيوعها فــي الكلام العربيِّ؛ فقد حظي موضوع الاتِّساع باهتمام العلماء الدَّارسين منذ القدم، وَاســتمرَّ هــذا الاهتمام إلى عصرنا هذا؛ لما له من تأثيرٍ واضحٍ في مسارات اللُّغة كافَّةً، وَلذلك كان اختيــاري لهذا الموضوع الموسوم بـ"**اتِّساع الدِّلالة اللُّغويَّة في صحيح البُخَاريِّ**"، وَكان دراســةً نظريَّــةً تطبيقيَّةً قمت خلالها باستقصاء الأحاديث الشَّريفة في الصَّحِيح المذكور، التي وردت عن الرَّسول قولاً أو فعلاً أو تقريراً، وَالمُتضمِّنة موضوع الاتِّساع من وجهة نظــر المُفــسِّرين وَاللُّغــويِّين النَّحْويِّين وَالبَلاغيِّين، ثُمَّ تصنيف هذه الأحاديث وَتوزيعها على مفردات البحث، وَدراســة هــذه الشَّواهد بعد الاحتكام إلى أولي العلم وَالرَّأي قديماً وَحديثاً، عبر منهجٍ وصفيٍّ تحليليٍّ تطبيقيٍّ.

وَتأتي أهمِّيَّة الدِّراسة من كون الموضوع يبحث في الحديث النَّبويِّ الشَّريف الــذي يتبــوَّأ المكانة الثَّانِية من حيث مصدريَّته لديننا الإسلاميِّ الحَنِيف؛ لذا اتَّجهت نحوه من خــلال أصــحِّ الكُتُب التي صُنِّفتْ فيه، وَهُوَ صحيح البُخَاريِّ؛ لأدرس ظاهرة التَّوسُّع الدِّلاليِّ من خلاله؛ إذْ مــا من شَكٍّ في أنَّ رسولنا العظيم أفصح العرب نُطقاً، وَهُوَ الذي أُوتِيَ جوامع الكلم، فما ثبت عنــه من الأحاديث المرويَّة بسندٍ صحيحٍ تعدّ مصدراً غنيّاً للدِّراسات اللُّغويَّة التي ما زالــت بحاجــةٍ للبحث وَالسَّبر في أغوارها.

وَتهدف هذه الدِّراسة إلى إظهار معنى التَّوسُّع الدِّلاليِّ اللُّغويِّ بصورته الحقيقيَّة من خــلال إبراز جزئيَّات هذه الظَّاهِرة في أحاديث صحيح البُخَاريِّ.

أمَّا الخُطَّة التي سرت عليها؛ فقد وزَّعت البحث على فصولٍ ومباحثَ، وابتدأته بتمهيدٍ عُنِيَ بالاتِّساع وَعناصره في المبحث الأوَّل، وَمفهوم التَّوسُّع لغةً وَاصطلاحاً في مبحثه الثَّانِي.

وَحال ما انتهيتُ من التَّمْهيد شرعتُ في تقسيم البحث إلى أربعة فصولٍ، ضمَّ كلُّ فصلٍ أربعة مباحثَ، كانت على النَّحْو التَّالِي:

في الفَصْل الأوَّل جعلت "التَّوسُّع لأسبابٍ لغويَّةٍ" عنواناً له، وَانطوى تحت هذا العنوان أربعة مباحث، اختصَّ الأوَّل بالتَّوسُّع لدلالة المُشتَرك اللَّفظيِّ، وَطَبَّقت ذلك على الجِنَاس وَالتَّوْرية وَالأضْدَاد وَالتَّغْليب، وتولَّى الثَّانِي منها موضوع التَّرادُف وَاختلاف العُلَماء فيه، في حين كان المبحث الثَّالِث عن التَّوسُّع الدِّلاليِّ لمُفرَدات الجذر الوَاحِد، وَالرَّابع التَّوسُّع الدِّلاليُّ لتعدُّد معاني الحُرُوف.

أمَّا الفَصْل الثَّانِي؛ فقد تناول النَّاحِية البلاغيَّة للاتِّساع إذْ كان عنوانه: التَّوسُّع لأسبابٍ بلاغيَّةٍ، وَتمثَّل في أربعة مباحث: تناول الأوَّل التَّوسُّع في الإنشاء الطَّلبيِّ، لا سيَّما المعاني التي يخرج إليها كُلٌّ من: الاسْتِفهام وَالأمْر وَالنَّهْي وَالتَّمنِّي وَالنِّدَاء، ثُمَّ حمل الثَّانِي عنوان التَّوسُّع في الحَقِيقة وَالمَجَاز، وَقصرت حديثي في ذلك على مسائل ثلاثٍ: الاستعارة بالكِنَاية وَالنَّقْل المَجَازيُّ وَالمَجَاز المُرسَل، وَجاء المَبْحث الثَّالِث ليتناول مسألة التَّضْمين بما يشمله من تضمين فعلٍ معنى فعلٍ، وَنيابة المَصْدر عن اسم الفَاعِل وَاسم المَفْعول، وَنيابة التَّنْوين عن المُضَاف إليه، وَتضمين حرفٍ معنى حرفٍ أو أكثر، وَفي المَبْحث الأخير تحدَّثت عن التَّوسُّع في الحَذْف: حذف فاء الشَّرطيَّة، وَحذف جواب الشَّرْط، وَحذف المُبتَدأ، وَالخَبَر، وَحذف كان وَاسمها، وَحذف الفِعْل وَالفَاعِل وَالمَفْعول به، وَحذف الجارِّ وَالمَجْرور، وَحذف المُضَاف، وَحذف أن المَصْدريَّة، وَأخيراً حذف مَقُول القَوْل.

وَأمَّا الفَصْل الثَّالِث فكان عنوانه: التَّوسُّع في التَّراكِيب النَّحْويَّة. هذا الفصل أيضًا تفرّع إلى أربعة مباحث: فقد ضمَّ الأوَّل التَّوسُّع لاختلاف الإعراب، وَتعدُّد الأوجه الإعرابيَّة، وَالثَّانِي: التَّوسُّع لاختلاف تعلُّق الظَّرْف وَالجارِّ وَالمَجْرور، وَالثَّالِث: التَّوسُّع لاختلاف عود الضَّمير وَاختلاف مرجعيَّته، وَفي المَبْحث الرَّابع: التَّوسُّع للتَّقْديم وَالتَّأخير.

وَالفَصْل الرَّابع وَالأخِير تناول موضوع التَّوسُّع في معاني الصِّيغ الصَّرْفيَّة، وَتفرَّع أيضاً إلى أربعة مباحث؛ في المَبْحث الأوَّل: تناولت التَّوسُّع لتعدُّد معاني الصِّيغ، وَفي الثَّانِي: التَّوسُّع

للتَّذْكير وَالتَّأنِيث، وَفي الثَّالِث: التَّوسُّع لاختلاف زمن الفِعْل وَالتَّعْدية وَاللُّزُوم، وَفي الرَّابع التَّوسُّع للاشتِقاق.

وثمّ أن أنهيت الرِّسالة بخاتمةٍ حوت أهم النَّتائج التي استطعت أن أتوصَّلَ إليها، وَذيَّلْتُ ذلك بقائمة المَصادِر وَالمَراجِع التي رافقت مشواري البحثيَّ.

وَقد وقفتُ على مجموعةٍ من الدِّراسات السَّابِقة المُنتمية إلى موضوع البَحْث الذي أعالجه، سواءٌ تلك التي تناولت موضوع الاتِّساع بشكلٍ عامٍّ، أو تلك التي بحثت في صحيح البُخَاريِّ في موضوعاتٍ بعينها. ساهمت في مجملها في إنجاح هذا البَحْث، كان من أبرزها:

. الشَّمايلة، وجدان عبد اللَّطيف، (٢٠٠٦م)، **الاستثناء في الحَدِيث الشَّرِيف بين النَّظريَّة وَالتَّطْبيق من خلال صحيح البُخَاريِّ**، الجَامِع الصَّحِيح، أطروحة دُكتوراة، جامعة مؤتة.

. حسن، هاني طَاهِر، (٢٠٠٤م)، **الأمثال النَّبويَّة في صحيح البُخَاريِّ ـ دراسةٌ لغويَّةٌ دلاليَّةٌ**.

. شبانة، حسن محمود، (٢٠٠٤م)، **ظاهرة الاتِّساع في النَّحْو العربيِّ**، أطروحة دُكتوراة، جامعة اليرموك.

. العُثمان، نايف مُحمَّد سليمان، (٢٠٠٤م)، **الاتِّساع وَأثره في اللُّغة**، جامعة اليرموك.

. الظَّاهِر، حميدي، (٢٠٠٢م)، **الأفعال النَّاقِصة في صَحِيح البُخَاريِّ دلالةً وَتركيباً وَعملاً**، جامعة حلب.

. زيادة، مُحمَّد بَاجِس، (٢٠٠١م)، **المعرب في الحَدِيث النَّبويِّ من خلال صَحِيح البُخَاريِّ**، جامعة القُدْس.

. أبو صعيليك، حامد علي، (١٩٩٩م)، الرَّابِط اللَّفظيُّ في لغة الحَــدِيث الــشَّرِيف / مُختَــصر البُخــَاريِّ للزُّبيديِّ أنموذجاً.

. عمرو، مُحمَّد طَالِب، (١٩٩٧م)، **التَّشْبيه فــي الحَــدِيث النَّبــويِّ مــن خــلال صَحِيــــح البُخَــــاريِّ.**

. الرّمالي، ممدوح عبد الرَّحْمن، (١٩٩٦م)، **العربيَّة وَالوَظائِف النَّحْويَّة: دراسةٌ فــي اتِّــساع النِّظَام وَالأساليب**، دار المعرفة الجامعيَّة، الإسكندريَّة.

. أبو عودة، عودة خَلِيل، (١٩٩٤م)، بِنَاء الجُمْلة في الحَدِيث النَّبويِّ الشَّرِيف في الــصَّحيحَيْن، (ط٢)، عمَّان: دار البَشِير.

هذا جهدٌ مُقِلٌّ، سعيت فيه في سبيل خدمة لغتنا العربيَّة العظيمة، وَالكشف عن بعض أدوات النَّظر فيها، فإنْ أصبتُ الحَقِيقة، فمن الله تعالى وَتوفيقه، ثُمَّ من كِلاءة أهل العلم وَموفور أدبهــم وعلمهم، وَإنْ كان غير ذلك فمن نفسي المُقصِّرة.

وَالله تعالى أعلمُ

البَاحِث

التَّمْهِيدُ

أوَّلاً: توطئة

ثانياً: مفهوم التَّوسُّع لغةً وَاصطلاحاً

أوّلاً: توطئـــة

أ. أهمِّيَّة الاتّساع:

ظاهرة الاتساع من الظواهر اللغوية المهمة والغامضة التي انشغل بها القدماء والمحــدثون على حد سواء في كتاباتهم ومؤلفاتهم، واستحوذت على اهتمام العلماء من لغــويين وبلاغيــين ونحويين، نظرًا لتشعب موضوعاتها ومفاهيمها وتداخلها مع مصطلحات بلاغية ونقدية متعددة. والمتتبع لهذه الظاهرة يجد أن علماء اللغة قد أولوا مفهوم الاتساع عناية لافتة من خلال مؤلفاتهم التي بحثوا فيها قضية الخروج عما هو مألوف في استخدام اللغة، فقد تناثرت المفاهيم الدالة على معنى الاتساع والتوسع في الكتب والمؤلفات، قديما وحديثا، فمن التوسع والاتساع قـديما، إلـى الانزياح حديثا.

والاتساع ظاهرة عامة في اللغات البشرية، وهي تبدو في المعاني، كما أنها أيضا تتضح في الظواهر اللغوية عمومًا، خاصة في الظواهر التي تتعلق بالمطابقة. والواقع أن هـذه الظـاهرة اتسعت اتساعا كبيرا حتى شملت مستويي اللغة العربية: الشعر والنثر، وقد يكون الشعر أكثـر اختصاصا بهذه الظاهرة، يرى أحد الدارسين المحدثين أنّ الشعر فرض على نفسه مـن القيـود التركيبية الشكلية وزنا وقافية، وغير ذلك، مما حتم على الشاعر أن يلجأ إلى التوسع في المعنى، بالاعتماد على الدلالة والتوسع في الصرف، والنحو، لضرورة، وغير ضرورة؛ لأنه لولا هـذه الحرية الصرفية والنحوية، ما أمكن مع قيود عمود الشعر العربي، أن يكون الشعر أداة ناجحـة من أدوات التعبير اللغوي، ونحن إذ كنا نقبل بهذا الرأي، فعلى أساس مرحلة زمنية كانت الغلبة فيها للشعر، أما وقد تشعبت العلوم، وتعددت المعارف، فإننا نلمس آثار الاتساع فاشيةً في جميع أجناس العربية، فهي لا تعد ولا تحصى.

ويقوم موضوع التوسع، على أن ثمة نواة دلالية للفظ أو التركيب، ينبثق منها دلالات جديدة، وذلك بإدخال اللفظ أو التركيب في علاقات جديدة، وترتب على ذلك أن ما يبدو متنـاثرا مـن مصطلحات بلاغية ونقدية تنتظمه فكرة أساسية محورية هي (التوسع)؛ لأنها تولدت عنه. وقـد تبدو هذه الفكرة جلية من خلال آرائهم النظرية، أو ضمنية مـن طبيعـة تنـاولهم للنـصوص ومعالجتهم لها.

ويذهب موسى ربابعة إلى أن مفهوم الانحراف، يدل دلالةً كبيرةً على مفهوم التوسع أو الاتساع عند العرب القدامى، ويرى أن إدراكهم لهذه القضية مرتبط بإدراكهم لطبيعة الأسلوب الذي يعد انحرافا عن القاعدة العامة، أو المألوفة، ويمكن أن يكون الانحراف معادلا للاتساع أو التوسع وبخاصة في إطار التعبير المجازي، ويعتمد هذا الأمر اعتمادا أساسياً على خيال المبدع في قدرته على التعبير عن ماهية الأشياء ومنحها أبعاداً جديدة[١].

وتنبع أهمية الموضوع من أن مفهوم الاتساع يعد أساس العمل البلاغي وركيزته، والمركز الذي تدور حوله سائر المبادئ البلاغية، والإطار الكبير الذي تدور في فلكه كل عمليات الاشتقاق والتوليد في اللغة.

وقد لاحظ العلماء القدامى وحتى المحدثون من أهل العربية انتشار ظاهرة الاتساع في اللغة العربية على مستوى الاستعمال، فألمّوا بها في بحوثهم ومصنفاتهم، كلٌّ حسب درجة اهتمامه. ولعلّ أبا الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) كان أكثر العلماء اهتمامًا بها، ورصداً لها؛ إذْ خصّها ببحث طويل سماه "شجاعة العربية"[٢]. وذكرها في مواضع كثيرة في كتابه الخصائص. وجاء من بعده ابن هشام (ت٧٦١هـ) الذي خصّ هذه الظاهرة بالباب الثامن في كتابه "مغني اللبيب"، وهو آخر أبواب الكتاب الموسوم "بذكر أمور كلية يتخرّج عليها ما لا ينحصر من الصور الجزئية"[٣].

ورغم أن الاتساع ظاهرة عامة في اللغات، فقد اعتبرها أبو حيان التوحيدي (ت٤٠٠هـ) ـ وهو يقارن بين خصائص الأمم وطبائعها ـ صفة من صفات العرب، وسمة خاصة من سمات لسانهم، وذلك عندما قال: "فصار الاستنباط والغوص والتنقير والبحث والاستكشاف

---

[١] ربابعة، موسى، **الأسلوبية، مفاهيمها وتجلياتها**، دار الكندي، إربد، ٢٠٠٣م، ص٥٠، ٥١.

[٢] ابن جني، أبو الفتح عثمان (٣٩٢ هـ)، **الخصائص**، ج٢، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م، ص٣٦٠ ـ٤٤٧.

[٣] ابن هشام الأنصاري، جمال الدين أبو محمد، (ت٧٦١هـ)، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ط٦، ج١، تحقيق: مازن المبارك، ومَحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥م، ص١٤.

والاستقصاء والفكر لليونان، والوهم والظن والحيلة والتخيل والشعبدة للهند، واللفظ والاستعارة والإيجاز والاتساع والتصريف والسحر باللسان للعرب[١].

وقال في موضع آخر، وهو يقارن بين اللغات: "ولقد سمعنا لغات كثيرة ... من جميع الأمم، كلغة أصحابنا من العجم والهند والترك وخوارزم وصقلاب وأندلس والزنج، فما وجدنا لشيء من هذه اللغات نُصوع العربية، أعني الفُرَجَ التي بين كلماتها، والفضاء الذي نجده بين حروفها، والمسافة التي بين مخارجها، والمعادلة التي نذوقها في أمثلتها، والمساواة التي لا تُجْحَد بين أبنيتها"[٢]. وقد قال قبل ذلك ــ معلقاً على كلمة العباس بن مرداس السلمي لقومه يمدح فيها بني عبد المطلب ــ : "وهذا فاشٍ في العرب؛ لطول وحدتها، وصفاء فكرتها، وسعة لغتها، وتصاريف كلامها في أسمائها، وحروفها، وجولانها في اشتقاقها، ومآخذها البديعة في استعاراتها، وغرائب تصرفها في اختصاراتها، ولطف كناياتها في مقابلة تصريحاتها، وفنون تبحبحها؛ أي: (اتساعها) في أكناف مقاصدها، وعجيب مقاربتها، في حركات لفظها، وهذا وأضعافه مسلّم لهم وموفر لديهم"[٣].

ويذهب كثير من العلماء مذهب التوحيدي، الذي يعدُّ العربية أفضل اللغات وأوسعها، وأن العرب توسعت في لغتها، ما لم تتوسع أمة من الأمم، وبخاصة في المجاز؛ فغير العرب لم يتسعوا فيه اتساع العرب، وهو الجانب المستحلى من اللغة عندهم؛ لاشتماله على الكنايات، والإشارات، والتجوزات"[٤].

---

١ أبو حيَّان، التَّوحيديُّ، **الإمتاع وَالمُؤانَسة**، ج١، تحقيق أحمد أمين ورفيقه، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د. ت)، ص٢١٢.

٢ **نفسه**، ج١، ص٧٧.

٣ ابن سنان الخفاجي، (ت٤٦٦هـ)، **سرُّ الفصاحة**، شرح وَتصحيح عبد المتعال الصعيدي، القاهرة، ١٩٦٩م، ص٤٠ ــ٤١؛ وَابن فارس، أحمد (ت٣٩٥هـ)، **الصَّاحبي في فقه اللُّغة**، تحقيق مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران، بيروت، لبنان، ١٣٨٢هـ ــ ١٩٦٣م، ص٤٠.

٤ السيوطي، جلال الدين (ت٩١١هـ)، **المزهر في علوم اللغة**، ط١، ج١، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ص٢٥٤.

ب. عناصر الاتّساع:

يذكر ابن جني عناصر الاتساع بشكل عام، في باب: (شجاعة العربية) إذْ يقول: "اعلم أن ذلك، إنما هو الحذف، والزيادة، والتقديم، والتأخير، والحمل على المعنى، والتحريف"[١].

هذه العناصر التي ذكرها، إنما هي عناصر التوسع، التي وجدناها عند أبي عبيدة، وابن قتيبة، وهو يذكر هذه العناصر تحت مصطلح (المجاز): "من المجاز كثير من باب الشجاعة في اللغة: من الحذف، والزيادة، والتقديم، والتاخير، والحمل على المعنى، والتحريف"[٢].

ويؤكد ابن جني علاقة التوسع بشجاعة العربية، حيث يقول: "وكيف تصرفت الحال، فالاتساع فاشٍ في جميع أجناس شجاعة العربية إنه وهو يسمي التوسع وكذلك المجاز "بشجاعة العربية" يشير إلى أن هذه الأساليب تقتحم بالألفاظ أودية غير أوديتها، معتمدة في ذلك على إشارات القرائن، وإيحاءات السياقات التي تنبه عليها القلوب الفطنة الذكية: وهو تصرف في دلالات الكلمات، يقابلها إمكانية الاستجابات الذهنية للكلمات في طبيعة أصحاب اللغة، فهي واحدة من إشارات الذكاء، واللمع، وسرعة الإدراك"[٣].

ومن الذين أشاروا إلى عناصر التوسع بشكل عام ابن فارس، فقد تمثلت سعة العربية عنده بالأسماء المترادفة، والمجاز، الذي يضم الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير[٤].

---

١ ابن جني، **الخصائص**، ج٢، ص٣٦٠.

٢ **نفسه**، ج٢، ص٤٤٦.

٣ **نفسه**، ج٢، ص٤٤٧.

٤ ابن فارس، **الصاحبي في فقه اللغة**، ص١٧.

ثانياً: مفهوم الاتِّساع لغةً وَاصطلاحاً

الاتِّساع لغةً:

أوَّلاً: الرَّحابة وَالفُسْحة: فهو أوَّل المعاني التي تتبادر إلى الذهن حين تسمع مادة (وسع). وقد لجأ واضعو المعاجم إلى تفسير هذه المادة بذكر نقيضها، فمثلا، قالوا: السعة ضد الضيّق، مادة وسع[١]، وبابه وسع، يسع، سعة، ويقال: وسُعَ بالضم وُسعاً ووساعة، فهو وسيع، واتّسع كوسع، ويقال: إنه يسعني ما يسعك، ولا يسعني شيء، ويضيق عنك، ومما جاء على هذا المعنى من النصوص، قوله تعالى: "**ألم تكن أرض الله واسعةً فتهاجروا فيها**"[٢]، وقوله تعالى: "**وسع كرسيه السَّموات وَالأرض**"[٣]، وعليه أيضاً، قولهم: توسعوا في المجلس؛ أي: تفسحوا، وأوسعه ووسّعه: صيّره واسعاً، وعليه، قوله تعالى: "**والسَّماء بنيناها بأيدٍ وإنَّا لموسعون**"[٤]، حيث جعل (أوسع) بمعنى (وسّع)، وكما أطلقوا معنى السعة على المكان، أطلقوه على الزمان، فقالوا: اتّسع النهار، أي: امتد وطال[٥].

ثانياً: الغِنَى وَالرَّفاهية: جاء في تاج العروس[٦]، مادة (وسع): كلمة تدل على خلاف الضيق والعسر. و(الوسع): الغنى، والوسع: الجدّة والطاقة، ويقال: أوسع الرجل؛ أي: صار ذا سعة وغنى، ويقال: أوسع الله عليك؛ أي: أغناك. والسعة: الغنى، والرفاهية.

---

[١] ينظر: الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت حدود ٤٠٠هـ)، **تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح)**، ط١، ج٢، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، إشراف: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م، مادة (وسع)؛ وَ ابن فارس، الرازي، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، ط١، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، منشورات: محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، مادة (وسع)؛ وَالفيروزأبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)، **القاموس المحيط**، ضبط وتوثيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، إشراف: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م، مادة (وسع).

[٢] **النساء**، آية ٩٧.

[٣] **البقرة**، آية ٢٥٥.

٤ **الذاريات**، آية ٤٧.

٥ ابن منظور الإفريقي، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط١. (د. ت)، مادة (وسع).

٦ الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني، (ت١٢٠٥هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، مادة (وسع).

من خلال التعريفين السابقين للاتساع أو السعة نلحظ أنّ المعنيين متقاربان في المعنى، غير أن ثمَّة فرقاً بينهما: فالمعنى الأول (الرحابة والفسحة) ملازم للمكان، والمعنى الثاني (الغنى والرفاهية) متصل بالإنسان. وقد عدّ الزمخشري (ت٥٣٨هـ) المعنى الثاني من باب المجاز عندما قال: "إنه ليسعني ما يسعك، ولا يسعني شيء ويضيق عنك، ولا يسعك أن تفعل كذا"[١].

ثالثاً: الطَّاقة وَالقُدْرة: يُقَال: ما أسع ذلك؛ أي: ما أطيقه. والوسع:الجِّدة والطاقة[٢]. وفي الحديث الشريف: "**إنَّكم لن تسعوا النَّاس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم**"، وقال تعالى: "**لينفق ذو سعةٍ من سعته**"[٣]؛ أي: على قدر طاقته ومقدرته، وكذلك قوله تعالى: "**لا يكلّف الله نفساً إلا وسعها**"[٤].

ومن خلال هذا العرض المفصل لمعاني مادة (وسع)، أجد أن المعاني متقاربة، وقد يكون الأقرب للصواب المعنى الأول الذي يعني الفسحة والرحابة، وبقية المعاني هي من قبيل المجاز أو الاتساع أو التوسع.

وقد ورد في لسان العرب معنى آخر يكاد يكون أقرب المعاني اللغوية إلى المعنى الاصطلاحي لمفهوم (الاتساع)، فقد جاء في تفسير قوله تعالى: "**فأينما تولّوا فثمَّ وجه الله، إنَّ الله واسعٌ عليمٌ**"[٥]؛ أي: "فأينما تولّوا، فاقصدوا وجه الله في تيممكم القبلة، فإن الله واسع عليم: يدل على أنه توسعة على الناس في شيء رخّص لهم"[٦].

---

[١] الزمخشري، جارالله محمود بن عمر (٥٣٨هـ)، **أساس البلاغة**، ط٢، ج٢، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٢م ــ ١٩٧٣م، مادة (وسع).

[٢] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (وسع)؛ وَالرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، (ت٦٦٦هـ)، **مختار الصحاح**، ط١، تحقيق: يحيى خالد توفيق، تقديم: عبد الوهاب فايد، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٨م، ص٧٢١، مادة (وسع)؛ وَالفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، مادة (وسع).

[٣] **الطلاق**، آية ٧.

٤ **البقرة**، آية ٢٨٦.

[٥] **البقرة**، آية ١١٥.

[٦] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (وسع).

الاتِّساع اصطلاحاً:

من الألفاظ التي استخدمها النحاة وأهل اللغة للاتساع بمعناه الاصطلاحي: لفظ التجوّز[١]، ولفظ التصرف[٢]، ولفظ المسامحة[٣]، ولفظ التفسح[٤]. غير أن مصطلح الاتساع والتوسع والسعة كان أكثرها شيوعاً.

وينبغي الاحتراس من أن مصطلح السعة يستعمل كثيرا للدلالة على النثر تمييزا له عن الشعر[٥]. وكثيرا ما يستعمل مصطلح (الاختيار) يقصدون به فن النثر مقابل مصطلح (الاضطرار) الذي يقصدون به فن الشعر[٦]، والاتساع في الاصطلاح: هو استباحة الابتعاد عن الأصل، والخروج عن القياس لاعتبارات كثيرة تكتنف الموقف اللغوي[٧]، أو هو انزياح طارئ عن أصل المواضعة؛ لأن المواضعة "ليست أبدية الإطلاق في ذاتها بالضرورة واللزوم، إنها عقد قد ينقض، وقد ينقّح وقد يبقى نافذ البنود"[٨].

---

[١] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (وسع).

[٢] **نفسه**، مادة (وسع)؛ وَالزمخشري، محمود بن عمر، **المفصل في صنعة الإعراب**، ط١، تحقيق: علي أبو ملحم، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٢م، ص٤٨٢.

[٣] ابن جني، **الخصائص**، ج٢، ص٤٣٣، وَ ج٣، ص٢٧٩.

[٤] **نفسه**، ج٣، ص٣١٩.

[٥] **نفسه**، ج١، ص٣٢٨؛ وَابن هشام (ت٧٦١هـ)، **شرح شذور الذهب**، ط١، تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق، ١٩٨٤م، ص١٩٤؛ وَالسيوطي، جلال الدين (ت٩١١هـ)، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، ط١، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٨م، ص٢٢٤.

[٦] الأنباري، كمال الدين أبو البركات، (٥٧٧هـ)، **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**، ج١، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م ، (مسألة ٢٤)، ص٢٠٨، وَ(مسألة ٣٩)، ص٢٩٦.

[٧] الزجاجي، أبو القاسم، (ت٣٣٩هـ)، **الإيضاح في علل النحو**، تحقيق: مازن المبارك، مكتبة دار العروبة، مصر، ١٣٧٨هـ ــ ١٩٥٩م، ص٧٠.

[٨] المسدي، عبد السلام، **التفكير اللساني في الحضارة العربية**، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨٢م، ص١٣٤.

ويبدو أن أصل الفكرة تمثل قاعدة هامة من القواعد التي قامت عليها النظرية النحوية؛ فثمة أصل كان عليه بنيان اللغة العربية، حاول العلماء منذ عصر الخليل وسيبويه أن يتصوّروه كيف كان، وكان الاتساع يمثل منزعا دائما للخروج عن هذا الأصل وعلى القياس على الأصل، وعرفت هذه العملية فيما بعد بالاطّراد، حيث حلّت محل الأصل. قال ابن جني: "الأصول يتوسع فيها أكثر من الفروع"، وقال أيضا: "الفروع إذا تمكنت، قويت قوة تسوغ حمل الأصول عليها"[١].

وبتتبع آراء العلماء النحويين والبلاغيين وحتى النقاد منهم في موضوع الاتساع، نجد أنهم أسهبوا في الحديث عنه وتناولوه بشيٍ من التفصيل. وقد اتفقت الآراء حينا واختلفت حينا آخر. ونورد هنا أهم ما ذُكر في هذا المجال، فيما يتعلق بموضوع البحث:

استخدم الجاحظ لفظة (التوسع) غير مرة في كتابه الحيوان، ويبدو أنّ المجاز عنده نوع من التوسع، والملاحظ أنه يفرق بين لغة الشعر ولغة النثر، ومن الأمثلة على ذلك قوله: "وكل بيضة في الأرض، فإن اسم الذي فيها والذي يخرج منها فرخ، إلا بيض الدجاج فإنه يسمى فرخاً، إلا أن الشعراء يجعلون (الفَرّوج) فرخاً على التوسع في الكلام، ويجوّزون في الشعر أشياء لا يجوّزونها في غير الشعر"[٢]. كما وقف على قوله تعالى: "**يخرج من بطونها شرابٌ مختلفٌ ألوانه**"[٣]، وقال: "فالعسل ليس بشراب، وإنما هو يحوّل الماء شرابا، أو بالماء نبيذا، فسماه كما ترى شراباً، إذ كان يجيء منه الشراب"[٤].

وأشار ابن وهب الكاتب (ت بعد ٣٣٥ هـ) إلى الاتساع حيث قال: "وليس يجب القياس إلا عن قول يتقدم، فيكون القياس نتيجة ذلك، كقولنا:إذا كان الحي حساسا متحركاً، فالإنسان حي. وربما كان ذلك في اللسان العربي مقدمة أو مقدمتين أو أكثر على قدر ما يتجه من إفهام المخاطب، فأما أصحاب المنطق، فيقولون إنه لا يجب قياس إلا عن مقدمتين لإحداهما بالأخرى تعلق، والقول على الحقيقة كما قالوا، وإنما يكتفى في لسان العرب بمقدمة واحدة على التوسع

---

[١] ابن جني، **الخصائص**، ج٣، ص٨٢.

[٢] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)، **كتاب الحيوان**، ط٣، ج١، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م، ص١٩٩.

[٣] **النحل**، آية ٦٩.

[٤] الجاحظ، **الحيوان**، ج٥، ص٤٢٥.

وعلم المخاطب"[١]؛ فالتوسع هنا يعني حذف إحدى المقدمتين، أي جزءاً من الكلام، وهذا لا يخرج عن مفهومه عند السابقين، إلا من حيث الطريقة التي يعبر بها ابن وهب الكاتب.

وقد ذكر ابن وهب (التوسع) في أثناء حديثه عن الاستعارة، ورأى أنَّ العرب احتاجوا إليه في كلامهم؛ "لأن ألفاظهم أكثر من معانيهم، وليس هذا في لسان غير لسانهم؛ فهم يعبرون عن المعنى الواحد بعبارات كثيرة ربما كانت مفردة له، وربما كانت مشتركة بينه وبين غيره، وربما استعملوا بعض ذلك في موضع بعض على التوسع والمجاز"[٢]. والملاحظ أنّ ابن وهب الكاتب يقرن التوسع بالمجاز، وهو استعمال بعض الكلام في موضع بعض من غير أن يقيده بشروط، ومثّل عليه بقوله: "إذا سأل الرجل شيئاً، فبخل به عليه" "لقد بخله فلان" وهو لم يسأله ليبخل، وإنما سأله ليعطيه، لكن البخل لما ظهر منه عند مسألته إياه، جاز في توسعهم. ومجاز قولهم أن ينسب إليه"[٣].

فالتوسع يعني التصرف باللغة بحيث يخرجها عن الاستعمال النمطي أو العادي أو المعياري سواء أبالزيادة (المبالغة)، أم بالحذف (الاختصار والإيجاز)، والملاحظ أن الاستعارة والمجاز والتوسع تأخذ عند ابن وهب الدلالة نفسها.

واتخذ الاتساع عند الآمدي (ت ٣٧٠هـ) دلالات كثيرة، منها: ما يتعلق بالمعنى، إذ رأى أن المبالغة والإحالة التي لا تخرج إلى الكذب، ومخالفة الحقيقة اتساع[٤]، كقول البحتري في مدح المهدي:

أَقَرَّتْ لَهُ بِالْفَضْلِ أُمَّةُ أَحْمَدٍ فَدَانَ لَهَا مِعْوَجُّهَا وَقَوِيمُهَا(٥)

---

[١] ابن وهب الكاتب، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان، (ت١٩٧هـ)، **البرهان في وجوه البيان**، ط١، تحقيق: أحمد مطلوب، وَ خديجة الحديثي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م، ص٧٧ ـــ ٧٨.

[٢] **نفسه**، ص١٤٢.

[٣] **نفسه**، ص١٥٣.

[٤] الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر (ت ٣٧٠هـ)، **الموازنة بين شعر أبي تمَّام والبحتري**، ط٢، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ١٥٣، ١٥٤.

٥ البحتري، ديوان البحتري، مجلد٣، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٤م، قصيدة رقم ٧٧٢، ص٢٠٢٤.

أما إذا أخرج الكلام مخرج الحقيقة أو ما يقاربها، وهو محال، فهو كلام قبيح، فلا يمكن تأويله على التوسع، كقول البحتري حين أفرط في مدح إبراهيم بن المدبر، وإن كان لم يصرح في تفضيل قدره [١]:

دَنَوْتَ تَوَاضُعًا وَعَلَوْتَ قَدْرًا ... فَشَأْنَاكَ انْحِدَارٌ وَارْتِفَاعُ

كَذَاكَ الشَّمْسُ يَبْعُدُ أَنْ تَسَامَى ... وَيَدْنُو الضَّوءُ مِنْهَا وَالشُّعَاعُ

وعرض القاضي الجرجاني (ت٣٩٢هـ) لمفهوم الاتساع عند حديثه عن (التَّصرُّف) الذي اتخذ دلالتين: الأولى: تتعلق بتعدد وجوه التأويل، والأخرى: تتعلق باللغة، وما يطرأ عليها من تغيير من طرق متعددة، أهمها: الاستعارة[٢].

ويشمل مفهوم الاتساع عنده الأساليب اللغوية التي يبدو أنها تخالف الأنماط اللغوية، ففي سياق حديثه عن المعترضين من أهل العلم على المتنبي، يقول: "فإنّ المعترضين عليه أحد رجلين: إما نحوي لغوي لا بصر له بصناعة الشعر، فهو يعترض من انتقاد المعاني لما يدل على نقصه، ويكشف عن استحكام جهله"[٣]؛ وأما الآخر"معنوي مدقق لا علم له بالإعراب، ولا اتساع له في اللغة، فهو ينكر الشيء الظاهر والأمر البين"[٤].

واستعمل الخطابي (ت٣٨٨هـ) الاتساع اصطلاحاً، وعنى به توسع دلالة اللفظ بحيث تشمل دلالة لفظ آخر بينهما قرابة، ويحدث التوسع حين يستعمل دالاً مكان دال آخر في جملة، فقد توقف عند قوله تعالى: "**فأكله الذّئب**"[٥]. وقال: وقد يتوسع في ذلك حتى يجعل (العقر) أكلاً،

---

١ البحتري، **ديوان البحتري**، مجلد٢، قصيدة رقم ٥٠٠، ص١٢٤٦ .

٢ القاضي الجرجاني، **الوساطة**، ص٤٢٨.

٣ **نفسه**، ص٤٣٤.

٤ **نفسه**، ص٤٣٨ ــ ٤٣٩.

٥ **يوسف**، آية ١٧.

وكذلك اللدغ واللسع"[١]؛ أي: أن الأكل أخذ دلالة العقر، فثمة فعل جديد في اللغة لا توجد دلالتــه في المعاجم اللغوية، وهو مزيج من الأكل والعقر غير أنه يأتي بصورة الدال (أكل).

واستخدم الحاتمي (ت٣٨٨هــ) الاتساع لغة واصطلاحا، فقد ذكر أنه وجد: "العرب أرباب الكلام وملاك رق المعاني، والألفاظ إيجازاً في حال الحاجة إلى الإيجاز، وإطالة وتوسعا عنــد الحاجة إلى الإطالة والإسهاب واتساعا، لما انفردت به لغتهم دون اللغات من أصــناف البــديع، كالتجنيس والتطبيق والاستعارة والإشارة، وكالوحي والتشبيه والاستثناء والاستطراد والمماثلــة والتكافؤ والمبالغة والالتفات والمساواة والإبهام، وأبدع حشواً، والإغراق، وأحسن ابتداء، وألطف بيت، والقوافي المتمكنة، وشوارد الأمثال، وغير ذلك من أفانين البديع"[٢]؛ فهو يستخدم التوســع مرادفاً للبديع مدرجاً ضمنه ألواناً شتى منه يجمع بينهما استخدام اللغة استخداما صحيحاً، مخترقاً اللغة العادية. وقد أشار إلى قيمة الاتساع، فعده من مميزات لغة العرب التي انفردت بهــا دون اللغات[٣]. وقد قرن بين المجاز والتوسع واستعملهما مترادفين، وقال: "فجعلوا موضع كلامهم على التوسع والمجاز"[٤]، كما خصص باباً في "اتساع المعنى والشركة ممــا يــشبه المــأخوذ ولــيس بمأخوذ"[٥]. ونلحظ من عنوان الكتاب أنه قصد تناول المعنى الواحد بصور متعددة فــي ســياقات مختلفة، بحيث يتسع المعنى لجميع هذه الصور.

وتحدث أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هــ) عن مفهوم الاتــساع فــي أثنــاء حديثــه عــن موضوعات البلاغة قائلاً: "والبلاغة من صفة الكلام لا من صفة المتكلم ... ولتسميتنا المــتكلم بأنه بليغ (توسع) وحقيقته أن كلامه بليغ ... إلا أن كثرة الاستعمال جعلت تسمية المتكلم بأنه بليغ كالحقيقة"[٦]. نستنتج من كلامه أن الاتساع هو استعمال اللفظ أو العبارة لغير ما وضعا له، وهــو

---

[١] الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى (ت٣٨٦هــ) وآخران، **ثلاث رسائل في إعجاز القــرآن**، ط٢، تحقيــق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ١٣٨٧هــ/ ١٩٦٨م، ص٤٢.

[٢] الحاتمي، محمد بن الحسن، (ت٣٨٨هــ)، **حلية المحاضرة**، ج١، تحقيق: هلال ناجي، ١٩٧٨م، ص٢٠.

[٣] **نفسه**، ج١، ص١٢٨ ــ ١٣٠.

[٤] **نفسه**، ج١، ص١٣٠ ــ ١٣١.

[٥] **نفسه**، ج٢، ص٩٥- ٩٦.

[٦] العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (٣٩٥هــ)، **كتاب الصناعتين الكتابة والشعر**، ط٢، تحقيــق: مفيد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هــ ــ ١٩٨٤م، ص١٥، ١٦.

بذلك يشير إلى تحول التوسع إلى الحقيقة، نتيجة كثرة الاستعمال؛ أي أنها تزيل عنه القيمة الجمالية والتأثيرية، وتبقيه في حدود القيمة المعرفية.

أما أبو حيَّان التَّوحيديُّ (ت بعد الأربعمائة) فقد ذكر الاتساع مقابل التضييق، حيث قال: "إنّ اللغة جارية على التوسع كما هي جارية على التضييق ومن ناحية التضييق فُزع إلى التجديد والتشديد، ومن ناحية التوسع جري على الاقتدار والاختيار"[١]. غير أنه ذكر الاتساع دون أن يحدد مفهومه فقد قال: "والآفة فيها؛ أي: (البلاغة) من الدخلاء إليها، الذين يستعملون الألفاظ ولا يعرفون موقعها أو يعجبهم الاتساع ويجهلون مقداره، أو يروقهم المجاز، ويتعدون حدوده، أو يحسن في حكمهم التصريح، ولعل الكناية هناك أتم، والإشارة فيه أعم ..."[٢]؛ فهو يقرن التوسع بالمجاز، مما يؤكد أنه نوع من التصرف باللغة.

وأشار علي بن خلف الكاتب (ت بعد ٤٣٧هـ) إلى الاتساع في حديثه عن الحقيقة والمجاز، واستخدمه في مقابل التحقيق، أي أنه عدّه مجازاً، إذ عرّف المجاز بأنه: "هو القول المعبر عن أصله الدال بتقدير الأصل المفتقر في الإبانة إلى وسيطة مراجعة شيء يكون أصلاً لذلك اللفظ"، ثم يوضح تعريفه في تعليقه على قوله تعالى: "**واسأل القرية**"؛ أي أنّ الاتساع أو المجاز هو التركيب الذي خرج عن المألوف والنمط، وافتقر إلى المعيار الذي يُقرأ في ضوئه. فالاتساع تمثّل في الانحراف عن العبارة النمطية المعيارية التي هي الأصل، وهو يرى أنّ "لكل مجاز حقيقة، وهي ذكر الأصل، وجميعه مغيّر عن أصله، وقد ذهب إلى أن أكثر ما يقع المجاز في الحذف والاستعارة والتقديم والتأخير توسعا في اللغة؛ فالمجاز عنده يشمل أساليب متعددة من القول تتعدّى المفهوم الاصطلاحي، مما يؤكد التقاء المجاز والاتساع في دلالة واحدة. كما أنه فرّق بين الحقيقة والمجاز عندما قال: "إنّ المجاز إنما يظهر معناه بردّه إلى أصله، والحقيقة معناها ظاهر في لفظها لا يحتاج أن يرد إلى غيرها"[٣].

---

١ أبو حيان التوحيدي، **الإمتاع والمؤانسة**، ج٣، ص١٠٦.

٢ أبو حيان التوحيدي (ت٣١٠هـ)، **البصائر والذخائر**، م١، تحقيق: إبراهيم الكيلاني، مكتبة أطلس ومطبعة الإنشاء، دمشق، (د. ت)، ص٣٦٢ ــ ٣٦٤.

٣ ينظر: ابن خلف الكاتب، علي، (ت منتصف القرن الخامس الهجري)، **مواد البيان**، تحقيق: حسين عبد اللطيف، جامعة الفاتح، طرابلس، ليبيا، ١٩٨٢م، ١٤٩، ١٥٠.

فالمجاز أو الاتساع بنية متولدة عن أصل، وهو يوضح طبيعة العلاقة بينهما بقوله: "وتنفصل الحقيقة عن المجاز بتغير الكلام عن أصله، إما بزيادة أو نقصان، أو حذف أو إبدال أو تقديم أو تأخير"[١]؛ أي: أن ثمة توسعاً في إقامة علاقات جديدة بين الدوال نتيجةً لإحدى هذه الصور.

أما ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) فهو أول من أفرد باباً للاتساع، وقدّم له تعريفاً نظرياً بقوله: "وذلك أن يقول الشاعر بيتاً يتّسع فيه التأويل، فيأتي كل واحد بمعنى، وإنما يقع ذلك لاحتمال اللفظ وقوته، واتساع المعنى"[٢]؛ فاحتمال اللفظ وقوته ليس إلا استعمال اللغة استعمالاً خاصاً يخرج بها عن المألوف والعادة، سواء من حيث المعنى أو من حيث علاقات الدوال بعضها ببعض، وبهذا يكون ابن رشيق قد فتح باب التأويل على مصراعيه أمام المتلقي.

واستخدم ابن سنان الخفاجي (ت٤٦٦هـ) صيغتي التوسع والسعة، وقد شمل استخدامهما عدة مفاهيم، فقد استعمل التوسع بمعنى التسامح والإبعاد في الاستعارة، مما ينسب الشعراء إلى الخطأ والعدول عن الوجه في الكلام[٣]. وقد عدّ ابن سنان السعة إحدى منجزات اللغة. وعلى الرغم من أنّه انحاز إلى استخدام المجاز مقابلاً للحقيقة دون أن يقرن ذلك بالتوسع، إلا أنّ مفهوم المجاز عنده لم يكن بعيدا عن مفهوم التوسع؛ فقد فرّق بين مفهومي الحقيقة والمجاز بقوله: "المفيد من الكلام ينقسم إلى قسمين: حقيقة ومجاز، فاللفظ الموصوف بأنه حقيقة هو ما أريد به ما وُضع لإفادته"[٤]؛ وأمّا المجاز فهو استعمال اللغة بخلاف مواضعاتها، وهذا المعنى يلتقي مع مفهوم التوسع.

وعند الانتقال إلى عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) نجده قد تناول صيغ التوسع والاتساع والسعة في سياقات متعددة، وأشار إلى مفهومه في حديثه عن اللفظ والنظم وَ(المعنى ومعنى

---

[١] ابن خلف الكاتب، **مواد البيان**، ص١٥٠.

٢ ابن رشيق القيرواني، أبوعلي الحسن، (ت ٤٦٣هـ)، **العمدة في صناعة الشعر ونقده**، ط١، ج٢، عُنِيَ بتصحيحه أحد كبار العلماء، ١٣٤٤هـ ــ ١٩٢٥م، ص٧٥.

[٣] ابن سنان الخفاجي، **سر الفصاحة**، ص١٢٣.

[٤] **نفسه**، ص٣٤.

المعنى)[١]؛ فقد قال: "وجملة الأمر أنّ صور المعاني لا تتغير بنقلها من لفظ إلى لفظ حتى يكون هناك اتساع ومجاز وحتى لا يراد من الألفاظ ظواهر ما وضعت له في اللغة، ولكن يشار بمعانيها إلى معان أخر"[٢]. واستخدم الجرجاني الاتساع معطوفاً على كل من التشبيه والتمثيل والحذف، وعدّه من أساليب العرب وطرقهم التي أقرّها (التنزيل)، ولم يمنعهم ما يتعارفونه من التشبيه والتمثيل والحذف والاتساع[٣]. ويبدو أنه يقصد أنّ الاتساع يشمل هذه الطرق من غير أن يكون أحدها على التعيين، والملاحظ أنه يستخدم (الاتساع) هنا بدلاً من المجاز، مما يؤكد أنّ لها دلالة واحدة في هذا السياق، فقد أشار إلى مصطلحات الاتساع والمجاز والتلطف في أثناء حديثه عن صعوبة التوفيق بين معاني الألفاظ المسجعة ومعاني الفصول في قوله: "فلم تستطع ذلك إلا بعد أن عدلت عن أسلوب أو دخلت في ضرب من المجاز، أو أخذت في نوع من الاتساع وبعد أن تلطفت على الجملة ضربا من التلطف"[٤]، كما استعمل الاتساع والتخييل في سياق واحد في أثناء حديثه عن مفهوم الكذب في الشعر؛ إذ رأى أنّ من قال: "خير الشعر أكذبه " ذهب إلى أنّ الصنعة إنما يمد باعها وينشر شعاعها، ويتسع ميدانها، وتتفرّع أفنانها، حيث يعتمد الاتساع والتخييل ويدعى الحقيقة فيما أصله التقريب والتمثيل ويدعى يقصد التلطف والتأويل، ويذهب بالقول مذهب المبالغة والإغراق في المدح والذم والوصف والفخر والمباهاة وسائر المقاصد والأغراض، وهناك يجد الشاعر سبيلاً إلى أن يبدع ويزيد ويبدأ في اختراع الصور ويعيد ويصادف مضطربا كيف شاء واسعا، ومدداً من المعاني متتابعا ويكون كالمغترف من غدير لا ينقطع والمستخرج من معدن لا ينتهي"[٥].

ولقد تعددت مفاهيم الاتساع عند ابن الأثير (ت٦٣٧ هـ)، ولعل من أهمها: أنه ضرب من المجاز ينهض على غير علاقة المشاركة؛ فهو يرى أنّ المجاز ينقسم إلى قسمين: توسع في

---

[١] الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، (ت٤٧٢هـ)، **دلائل الإعجاز**، تحقيق: د. محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ج١، ١٩٩٥م، ص٢٠٢، ٢٠٣.

[٢] **نفسه**، ج١، ص٢٠٥.

[٣] الجرجاني، عبد القاهر، **أسرار البلاغة**، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، (د. ت)، ص٣٤١.

[٤] الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ج١، ص٦٤.

[٥] الجرجاني، **أسرار البلاغة**، ص٢٣٦ ـــ ٢٣٧.

الكلام وتشبيه. ويضيف: "وإن شئت، قلت: إنّ المجاز ينقسم إلى توسع في الكلام وتشبيه واستعارة، ولا يخرج عن أحد هذه الأقسام الثلاثة، فأيها وُجد، كان مجازا"[١].

وهو بهذا الكلام يخرج التشبيه والاستعارة من الاتساع، إلا أنه عاد وذكر أن التوسع يأتي فيها ضمناً: "فإن قيل إن التوسع شامل لهذه الأقسام الثلاثة؛ لأن الخروج من الحقيقة إلى المجاز اتساع في الاستعمال، قلت في الجواب: إنّ التوسع في التشبيه والاستعارة جاء ضمنا وتبعا، وإن لم يكن هو السبب الموجب لاستعمالها؛ وأما القسم الآخر الذي هو لا تشبيه، ولا استعارة، فإنّ السبب في استعماله هو طلب التوسع لا غير". ثم يضيف: "وبيان ذلك أنه قد ثبت أن المجاز فرع عن الحقيقة، وأن الحقيقة هي الأصل، وإنما يعدل عن الأصل إلى الفرع لسبب اقتضاه. وذلك السبب الذي يعدل فيه عن الحقيقة إلى المجاز إما أن يكون لمشاركة بين المنقول والمنقول إليه في وصف من الأوصاف، وإما أن يكون لغير مشاركة"[٢]؛ فابن الأثير يسلّم بأن التوسع يشمل التشبيه والاستعارة، مما يجعله مساويا للمجاز في الدلالة.

وقسّم ابن الأثير الاتساع إلى ضربين: "أحدهما يرد على وجه الإضافة، واستعماله قبيح لبعد ما بين المضاف والمضاف إليه، وذلك لأنه يلتحق بالتشبيه المضمر الأداة، وإذا ورد التشبيه ولا مناسبة بين المشبه والمشبه به كان ذلك قبيحا، ولا يَستعمل هذا الضرب من التوسع إلا جاهل بأسرار الفصاحة والبلاغة، أو ساهٍ غافل يذهب به خاطره إلى استعمال ما لا يجوز ولا يحسن"[٣]. وهو بذلك يدخل في صميم العملية الإبداعية التي هي من حق المبدع وحده، فما لا يراه ابن الأثير مناسباً قد يراه غيره مناسباً، فمعيار المناسبة يصبح معياراً فضفاضاً.

ومن مفاهيم التوسع عند ابن الأثير أن يكون ظاهر الكلام خطاباً لغيرك، وباطنه خطاباً لنفسك، وهو ما عبّر عنه (بالتجريد)[٤]. وأشار إلى مفهوم آخر للتوسع تمثّل في (عكس الظاهر) وهو: "نفي الشيء بإثباته وهو من مستطرفات علم البيان، وذلك أن تذكر كلاماً يدل ظاهره وأنه

---

[١] ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله، (ت٦٣٧هـ)، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ج٢، المكتبة العصرية، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، ١٩٩٥م، ج٢، ص٧١.

[٢] **نفسه**، ج٢، ص٧١.

[٣] **نفسه**، ج٢، ص٧٨، ٧٩.

[٤] **نفسه**، ج١، ص ٤٠٥.

نفي لصفة موصـــوف وهو نفي للموصـــوف أصلا"[١]. ومثّل عليـــه بقـــول علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ في وصف مجلس رسول الله (ص): "لا تثنى فلتاته"؛ أي: لا تُذاع سقطاته، وعقب على ذلك بقوله: "فظاهر هذا اللفظ أنه كان ثمّ فلتات، غير أنها لا تذاع، ولـــيس المـــراد ذلك، بل أراد أنه لم يكن ثمّ فلتات فتثنى، وهذا من أغرب ما توسعت فيه اللغة العربية"[٢].

ولقد أكّد ابن الأثير أنّ التوسع ميزة تميّزت بها العربية، فإنّ: "كل لغة من اللغات لا تخلـــو من وصفي الفصاحة والبلاغة المختصـــين بالألفاظ والمعاني، إلا أنّ للغة العربية مزيـــة علـــى غيرها؛ لما فيها من التوسعات التي لا توجد في لغة أخرى سواها "[٣].

وعرّف ابن أبي الإصبع المصري (ت٦٥٤هـ) الاتساع بقوله: "وهو أن يأتي الشاعر ببيت يتسع فيه التأويل على قدر قوى الناظر فيه، وبحسب ما تحتمله ألفاظه"[٤]. وذكر مفهومـــاً آخـــر للتوسع: هو توسيع دلالة اللفظ، فقد وقف عند قوله تعالى: "**أولئـــك الـــذين اشـــتروا الـــضَّلالة بالهُدَى**"[٥]، فقد قال:" فإنّ اشتراء الضلالة وبيع الهدى مجاز، هذا إن كان أصل الضلالة إخطـــاء الطريق المحسوس الحقيقي خاصة، ولم يكن عاماً في إخطاء كل طريـــق مـــستقيم حقيقـــي أو مجازي، ويكون الهدى إصابة الطريق المحسوس الحقيقي، ثم استعملا في غيرهما توسعاً"[٦].

والملاحظ على ابن أبي الإصبع المصري أنه عدّ التوسع استعمال اللفظ في غير ما وضع له أصلاً، مما ينتج عنه توسيع الدلالة. والملاحظ كذلكً أنه استعمل المجاز والتوسع في ســـياق واحد وبدلالة واحدة، فقد عرّف المجاز بأنه: عبارة عن تجوّز الحقيقة، بحيث يأتي لمتكلم لاســـم موضوع لمعنى فيختصره، إما بأن يجعله مفرداً بعد أن كان مركباً، أو غير ذلـــك مـــن وجـــوه

---

[١] ابن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ج١، ص٢٤٨.

[٢] **نفسه**، ج١، ص٢٤٨.

[٣] **نفسه**، ج١، ص٢٤٨.

[٤] ابن أبي الإصبع المصري، **بديع القرآن**، تحقيق: حفني محمد شرف، نهضة مصر، ص١٧٣؛ و**تحرير التحبير**، تحقيـــق: حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٢هـ ، ص٤٥٤.

[٥] **البقرة**، آية ١٦.

[٦] ابن الإصبع، **بديع القرآن**، ص٣٢.

الاختصار، أو يذكر ما هو متعلق به، أو كان من سببه لفائدة"[١]. وعرّفه في بديع القرآن: "والمجاز مفعل من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه، فإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز. على أنهم جازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً"[٢]، ويظهر لنا من خلال تعريفي ابن الإصبع أن مفهوم المجاز يصب في صميم التوسع اصطلاحاً.

ونجد أنّ حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ) استخدم مفاهيم: الاتساع والتوسع والسعة في أثناء حديثه عن أحكام المحاكاة التشبيهية؛ إذْ قال: "وينبغي أن تكون المحاكاة التي يقصد بها وضوح الشبه منصرفة إلى جنس الشيء الأقرب، كتشبيه أيطل الفرس بأيطل الظبي[٣]. والمحاكاة التي يقصد بها التوسع والراحة والقناعة بما تيسّر من الشبه منصرفة إلى الجنس الأبعد، كتشبيه متن الفرس بالصفاء"[٤]؛ أي أنّ الاتساع يتجه إلى إقامة علاقات بين أطراف متباعدة، وأجناس تبدو لأول وهلة أن لا علاقة بينها، إلا أنّ الشاعر يربط بينها معتمدا على التوسع باللغة، ويتمثّل هنا بالتشبيه، وقد يفهم من النص السابق أنه يمنح الشاعر قدراً أكبر من الحرية في التصرف والإبداع باللغة واكتشاف آفاق أرحب وأبعد مدى. وقد بيّن حازم القرطاجني الغموض الناتج عن الاتساع، كما ذكر أن دلالات المعاني تنقسم إلى ثلاثة أضرب: دلالة إيضاح، ودلالة إيهام، ودلالة إيضاح وإيهام معاً، ورأى أنّ وجوه الإغماض في المعاني: "منها ما يرجع إلى المعاني نفسها، ومنها ما يرجع إلى الألفاظ والمعاني معًا[٥].

وذكر وجوه الإغماض الراجعة إلى اللفظ والعبارات، مثل أن يكون اللفظ حوشياً أو غريباً أو مشتركاً، ومن ذلك أن يقع في الكلام تقديم وتأخير، أو يخالف وضع الإسناد، فيصير الكلام مقلوباً، ومن ذلك فرط الإيجاز الذي يكون بقصر أو حذف[٦].

---

[١] ابن الإصبع المصري، **تحرير التحبير**، ص٤٧٥.

[٢] ابن الإصبع، **بديع القرآن**، ١٧٥.

[٣] يشير إلى بيت امرئ القيس: **له أيطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحانٍ وتقريب تتفل**

امرؤ القيس، ابن حجر، ابن الحارث، ديوان امرئ القيس، ط٤، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص٢١.

[٤] القرطاجني، أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن، (ت٦٨٤هـ)، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تونس، ١٩٦٦م، ص١١٢.

[٥] القرطاجني، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** ص١٧٢.

[٦] **نفسه**، ص١٧٣ ــ ١٧٤.

ولقد ربط حازم القرطاجني المجاز بالتأويل في مجرى حديثه عما يحسن ويقبح من الجمع بين كل غرضين متضادين في قوله: "وأما ما يحسن من ذلك، ويعدّ بديعا فأن يكون أحد المتضادين يقصد به في الباطن غير ما يقصد به في الظاهر، فيكون في الحقيقة موافقاً لمضاده فيما يدل عليه على جهة من المجاز والتأويل"[١].

وبعد هذا العرض المفصّل لمفهوم الاتساع والتوسع والسعة نجد أنه كان حاضراً عند الكثير من البلاغيين والنحويين، وحتى الذين لم يذكروه صراحةً، فقد عبّروا عنه بألفاظ أخرى، كالمجاز والانزياح، وغيره من المصطلحات الدالة على معنى الاتساع.

---

[١] **نفسه**، ص٣٥٠.

الْفَصْلُ الأوَّلُ

الْفَصْلُ الأوَّلُ

التَّوسُّع لأسْبَابٍ لُغَوِيَّةٍ

الْمَبْحَثُ الأوَّلُ: التَّوَسُّعُ لِدَلالَةِ الْمُشْتَرَكِ اللَّفظيِّ

الْمَبْحَثُ الثَّانِي: التَّوَسُّعُ فِي بَابِ التَّرَادُفِ

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ: التَّوَسُّعُ الدِّلالِيُّ لِمُفْرَدَاتِ الْجَذْرِ الْوَاحِدِ

الْمَبْحَثُ الرَّابعُ: التَّوسُّع لِتَعَدُّدِ مَعَانِي الْحروفِ

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ: التَّوَسُّعُ لِدَلالَةِ الْمُشْتَرَكِ اللَّفْظِيِّ

أفاض علماء اللغة في الحديث عن وجوه المشترك اللفظي؛ لتعددها، ويعلل كثير من العلماء وجود ظاهرة الاشتراك اللفظي في اللغة العربية، كقول بعض اللغويين: "إنّ الاشتراك قد حدث لأنّ الألفاظ متناهية، والمعاني غير متناهية، فإذا وزِّع كل منهما على الآخر لزم الاشتراك"[1].

وقد قسّم سيبويه دلالات الألفاظ التي تشترك فيها اللغات بقوله: "اعلم أنّ من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين" [2]، وفي المقابل نجد من العلماء كابن درستويه (ت٣٤٧هـ) من أنكر هذه الظاهرة ولم يعترف بوجودها إلاّ على نطاق ضيّق؛ فهو يعلل وجود المشترك اللفظي بأسباب لغوية وغير لغوية، يتصل بعضها بالدلالة، وبعضها يتصل باختلاف اللهجات، يقول:" لو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين أو أحدهما ضد الآخر، لما كان ذلك إبانة بل تعمية وتغطية، ولكن قد يجيء الشيء النادر من هذا لِعلل؛ فيتوهم من لا يعرف العلل أنهما لمعنيين مختلفين وإن اتفق اللفظان ... وإنما يجيء ذلك في لغتين أو لحذف واختصار حتى اشتبه اللفظان وخفي سبب ذلك على السامع"[3]؛ لهذا نجد العلماء أصّلوا لهذه الظاهرة ووضعوا لها مسميات عديدة، اتفق بعضهم فيها، واختلف فيها بعضهم الآخر، فمن هذه المسميات: الجناس، والتغليب، والنقل المجازي، والكناية، والتورية، والأضداد ... وغيرها.

وسأتناول في هذا الباب أربعة موضوعات من خلال وجودها في صحيح البخاري، لأثرها في التوسع الدلالي. وهذه الموضوعات: الجناس والتورية والأضداد والتغليب.

---

[1] السيوطي، **المزهر**، ج١، ص٣٦٩.

[2] سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ)، **الكتاب**، ط١، ج١،علق عليه ووضع حواشيه: إميل بديع يعقوب، تحقيق: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، ص٤٩.

[3] السيوطي، **المزهر**، ج١، ص٣٨٥.

أوّلاً: الْجِنَاسُ

التجنيس أو الجناس باب من أبواب المعاني، وهو أن يتفق اللفظان في النطق أو يتقاربان فيه، ويختلفان في المعنى، هذا من جهة ماهيته، أما من جهة فائدته فقد عرفه الرماني[١] فقال: "هو بيان المعاني بأنواع من الكلام يجمعها أصل واحد من اللغة". واشتراك المعاني في ألفاظ متجانسة، أو الجناس بين اللفظين: هو تشابههما في اللفظ.

وهذا المحسن اللفظي يسميه البلاغيون بأسماء متعددة مشتقة من أصل واحد، فكان ابن المعتز (ت٢٩٦هـ) يسميه التجنيس[٢]، ويسميه قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) المجانس[٣]، ويسميه الرماني(ت٣٨٦هـ) التجانس[٤]، ويسميه محمد الجرجاني (ت٧٢٩هـ) الجناس[٥]، ويبدو أنّ تسمية هذا الفن (جناس) جاء متأخرًا، ولعل ذلك من أسباب شيوعها في كتب بلاغية حديثة[٦].

ويستحسن الجناس إذا كان المعنى هو الذي طلبه واستدعاه، لا نبتغي به بدلاً، ولا نجد عنه حولاً[٧]، فيه اللذة ولم يكن معقداً[٨]، وهو وقع عفواً من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه، وتأهّبَ لطلبه في غير كدّ ولا استكراه ولا ميل إلى جانب الركة[٩]، عندما يطلع في الكلام يطلع عند

---

[١] ابن المعتز، عبد الله بن المعتز بالله بن المتوكل (ت٢٩٦هـ)، **كتاب البديع**، ط٣، اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس: أغناطيوس كراتشكوفسكي، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٢م، ص٢٥.

[٢] قدامة بن جعفر، أبوالفرج (ت٣٣٧هـ)، **نقد الشعر**، تحقيق: كمال مصطفى، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣١٨هـ ــ ١٩٧٨م، ص١٣٦.

[٣] الرماني، **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، ص١٠٠.

[٤] الجرجاني، محمد بن علي بن محمد، **الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة**، تحقيق: د. عبد القادر حسين، دار النهضة، القاهرة، (د. ت)، (د. م)، ص٢٨٩.

[٥] مطلوب، أحمد، **فنون بلاغية البيان والبديع**، دار البحوث العلمية، ١٣٩٥هـ ـ١٩٧٥م، ص١٢٣.

[٦] عباس، فضل حسن، **البلاغة فنونها وأفنانها ــ علم البيان والبديع**، ط٢، دار الفرقان، عمَّان، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م، ص٢٩٧.

[٧] الجرجاني، **أسرار البلاغة**، ص٧.

[٨] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ)، **جنى الجناس**، تحقيق: محمد علي رزق الخفاجي، الدار الفنية للطباعة والنشر، (د. ت)، ص٢٨٩.

[٩] الجرجاني، **أسرار البلاغة**، ص٧.

سليقة وفطرة متناسقاً مع سائر ألفاظ النص، متلائماً معها في موسيقى أجراس الحروف، متجاوباً في تعاطف مع أصداء أبنيتها[١].

والجناس على سبعة أنواع: الجناس التام، وجناس الاشتقاق، وجناس التداخل، وجناس التحريف وجناس التصحيف، وجناس التصريف، وجناس العكس، وهذه السبعة تنقسم نحو ستين نوعاً[٢]. وقد اختلف العلماء في تسميه أنواعه.

وحسبي في هذا الباب أنْ أقتصر على الأنواع الرئيسية المشهورة للجناس من الأحاديث النبوية التي توضحه وتبين دلالته؛ ذلك أنّ الحديث يطول في التطبيق على تفاصيل هذه الأنواع جميعها.

الْجِنَاسُ التَّامُّ الْمُمَاثِلُ:

وهذا من الجناس الحسن لسهولة لفظه وعدم تكلفه، وهو "أن يتفق اللفظان في الحروف عدداً وهيئة وترتيباً"[٣]، يسمى أيضاً: المطابق[٤]، والمماثلة[٥]، والمطابقة[٦]، والكامل[٧]، والفصيح،

---

[١] مطلوب، أحمد وَالبصير، كامل حسن، **البلاغة وَالتطبيق**، ط١، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، ١٩٨٢م ــ ١٤٠٢هــ، ص٤٥٥.

[٢] **ممن جعلها ستين نوعاً**، ينظر: الرعيني الغرناطي، أبو جعفر شهاب الدين أحمد بن يوسف (ت٧٧٩هــ)، **طراز الحلّة وشفاء الغلّة**، تحقيق وتقديم: رجاء السيد الجوهري، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠م ص٩٤.

[٣] الرازي، فخر الدين، (ت٦٠٦هــ)، **نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز**، ط١، تحقيق: د.بسكري قبع أمين، دار العلم والملايين، ص١٢٦، ١٢٧.

[٤] قدامة ابن جعفر، **نقد الشعر**، ص١٦٢.

[٥] ابن رشيق، **العمدة**، ج١، ص٢٢٠.

[٦] ابن البناء المراكشي، أبو أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي، (ت٧٢١هــ)، **الروض المريع في صناعة الشعر البديع**، تحقيق: رضوان بن شفرون، ١٩٨٥م، ص١٩٣.

[٧] العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي المدني (ت ٧٤٩هــ)، **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، مطبعة المقتطف، مصر، ١٣٣٢هــ ــ ١٩١٤م، ص٢٥٦؛ وَالصفدي، =

والحقيقي[١]. وإن كانا من نوع واحد، أي اسمين أو فعلين أو حرفين، سمّيا المماثل[٢]، ومن أمثلته في البخاري: قوله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ: "إنّ المكثرين هم المقلّون يوم القيامة، إلاّ مَنْ أعطاه اللهُ **خيراً**، فنفخ فيه يمينه وشماله، وبين يديه، ووراءه، وعمل فيه **خيراً**"[٣]. ففي سياق الحديث الشريف ما يوحي بوجود جناس تام في قوله: (خيراً الأولى، وخيراً الثانية)؛ فالخير الأول يعني المال، والخير الثاني يعني الحسنة[٤].

جِنَاسُ الاشْتِقَاق:

إذا كان اللفظان يتشابهان لأنهما ينتميان إلى أصل واحد، فيسمى هذا النوع جناس الاشتقاق[٥]، أو الاقتضاب[٦]، أو الجناس المقتضب[٧]، أو المقارب[٨]. والمراد بالاشتقاق هنا الاشتقاق الصغير؛ وهو ما يوافق فيه اللفظان في الحروف الأصول مع الترتيب، والاتفاق في أصل المعنى.

= صلاح الدين، **جنان الجناس في علم البديع**، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ١٢٩٩هـ، ص٢٠؛ وَالسيوطي، **جنى الجناس**، ص٧٣؛ وَابن معصوم المدني، السيد علي صدر الدين، (ت١١١٩هـ)، **أنوار الربيع في أنواع البديع**، ج١، تحقيق: شاكر هادي شكر، (د. ت)، ص١٤.

[١] السيوطي، **جنى الجناس**، ص٧٣.

[٢] القزويني، الخطيب (ت٧٣٩هـ)، الإيضاح **في علوم البلاغة**، ط٢، ج١، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم الخفاجي، ١٩٨٨م، ص٤٣١؛ وَالحموي، تقي الدين أبي بكر (ت ٨٣٧هـ)، **خزانة الأدب وغاية الأرب**، ج١، تحقيق: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ص٣٧؛ والسيوطي، **جنى الجناس**، ص٧٣؛ وَابن معصوم المدني، **أنوار الربيع في أنواع البديع**، ج١، ص١٤٩.

[٣] البخاري، أبو عبدالله محمد بن اسماعيل (ت٢٥٦هـ)، **الجامع الصحيح المختصر**، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، بيروت، دار ابن كثير، (د. ت)، حديث رقم ٦٠٧٨، ج٥، ص٢٣٦٦، باب المكثرون هم المقلون.

[٤] ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ)، **فتح الباري بشرح البخاري ـــ الجامع الصحيح**، تحقيق: أحمد بن علي ابن حجر، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ ، ج١١، ص٢٦٦.

[٥] الصفدي، **جنان الجناس**، ص٣٣؛ وَابن معصوم المدني، **أنوار الربيع في أنواع البديع**، ص١١٤.

[٦] **نفسه**، ص٣٣.

[٧] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ) ، **شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٨ هـ ـــ ١٩٣٩م ، ص١٤٧.

[٨] الجندي، علي، **فن الجناس**، دار الفكر العربي، القاهرة، (د. ت)، ص١١٤.

عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: "بينما نحن في المسجد، خرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال (انطلقوا إلى يهود). فخرجنا حتى جئنا بيت المدارس فقال: "أسلموا، تسلموا، واعلموا: أن الأرض لله ورسوله، وإني أريد أن أجليكم من هذه الأرض؛ فمن يجد منكم بماله شيئا، فليبعه، وإلا، فاعلموا: أن الأرض لله ورسوله"[١].

أسلموا بفتح الهمزة من الإسلام، وتسلموا من السلامة، وجاء في عمدة القاري: "وفيه الجناس الحسن لسهولة لفظه، وعدم كلفته"[٢]، وقال عنه: "هذا جناس اشتقاقي: وهو أن يرجع اللفظان في الاشتقاق إلى أصل واحد"[٣].

جِنَاسُ التَّدَاخُلِ:

"قد يكون التجنيس بزيادة حرف ..."[٤]، يسمى هذا النوع جناس الترجيع أو التبديل[٥] التذييل، أو التضمين[٦] أو التداخل[٧]، وهذه الزيادة تكون بزيادة حرف في أول الكلمة وهو ما يسمى بالمردوف أو الناقص، ومثاله في صحيح البخاري، قوله صلى الله عليه وسلم: "أتاكم أهل اليمن. هم أرق أفئدة، وألين قلوباً الإيمان يمان، والحكمة يمانية، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أهل الغنم"[٨]. ومن الأمثلة على الجناس الناقص، حديثه ــ صلى الله عليه

---

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم ٢٩٩٦، ج٣، ص١١٥٥، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب.

[٢] العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن محمد العيني (ت٨٥٥هـ)، **عمدة القاري شرح البخاري ــ الجامع الصحيح**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د. ت)، حديث رقم٩٧١، ج١٤، ص٣٠٣، باب قول النبي لليهود أسلموا تسلموا.

[٣] **نفسه**، ج١٤، ٣٠٣.

[٤] الباقلاني، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب (ت٤٠٢هـ)، **إعجاز القرآن**، ط١، تحقيق: أبو عبد الرحمن بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٦م، ص٦٧.

[٥] ابن أبي الإصبع المصري (ت٦٥٤هـ)، **بديع القرآن**، تحقيق: حفني محمد شرف، نهضة مصر، ص٣٠.

[٦] ابن أبي الإصبع المصري، **تحرير التحبير**، تحقيق: حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٢هـ، ص١٠٧ ــ ١٠٨.

[٧] السيوطي، **جنى الجناس**، ص٢١٤.

[٨] البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم٤١٢٧، ج٤، ص١٥٩٤، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن.

وسلم ـــ : "الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، الأجر والمغنم"[١]. "قال عيّاض في هذا الحديث: مع وجيز لفظه من البلاغة والعذوبة ما لا مزيد عليه في الحسن مع الجناس السهل الذي بين الخيل والخير. وقال الخطابي: وفيه إشارة إلى أنّ المال الذي يكتسب باتخاذ الخيل، من خير وجوه الأموال وأطيبها، والعرب تسمي المال خيراً"[٢]

جِنَاسُ التَّحْرِيفِ:

يسمى هذا النوع الذي يختلف اللفظان المتجانسان فيه من ناحية الضبط[٣]، أو الشكل[٤]: جناس التحريف، أو الجناس المحرّف[٥]. ومن الأمثلة عليه في أحاديث رسول الله (ص) التي وردت في صحيح البخاري، قوله (ص): "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن. قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه"[٦]. ففي كلمتي: لايؤمن، ويأمن جناس التحريف؛ فالأولى من الإيمان، والثانية من الأمان.

جِنَاسُ التَّصْحِيفِ:

يسمى هذا النوع الذي يختلف اللفظان فيه في النقط جناس التصحيف[٧]، أو الخط[٨]، ويسمى أيضاً الجناس المصحّف[٩]، أو الخطي[١٠]، ومن الأمثلة عليه في أحاديث رسول الله (ص) التي

---

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم٢٦٩٧، ج٣، ص١٠٤٨، باب الخيل معقود في نواصيها الخير.

[٢] ابن حجر، **فتح الباري**، ج٦، ص٥٦.

[٣] ابن الإصبع المصري، **بديع القرآن**، ص١٩.

[٤] ابن الإصبع المصري، **تحرير التحبير**، ص١٠٦.

[٥] **نفسه**، ص١٠٦، ١٠٧.

[٦] البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم٥٦٧٠، ج٥، ص٢٢٤٠، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه.

[٧] منهم: ابن أبي الإصبع المصري، في كتابيه: **بديع القرآن**، ص٢٩؛ و**تحرير التحبير**، ص١٠٥.

[٨] السيوطي، **شرح عقود الجمان**، ص١٤٤.

[٩] منهم: السيوطي، **شرح عقود الجمان**، ص١٤١؛ وَالسيوطي، **جنى الجناس**، ص١٨٠؛ وَابن معصوم المدني، **أنوار الربيع في أنواع البديع**، ج١، ص١٨٠.

[١٠] الصفدي، صلاح الدين، **جنان الجناس**، ص١٣٠؛ وَالسيوطي، **جنى الجناس**، ص١٨٠.

وردت في صحيح البخاري، قوله (ص): "يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا" [١] فكلمة (وبشروا) بعد كلمة (يسروا) فيها جناس تصحيفي أو خطي كما قال عنها ابن حجر [٢].

ثانياً: التَّوْرِيَةُ [٣]

التورية، **لغةً:** تعني: الستر والإخفاء [٤]، ومن هنا كانت التورية إخفاء شيء بإظهار غيره.

وتعني اصطلاحاً: "أن تكون الكلمة بمعنيين، فتريد أحدهما، فتوري عنه بالآخر" [٥]. ويعرّفها ابن حجة الحموي (ت٨٣٧هـ): "أنْ يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان حقيقيان، أو حقيقة ومجاز، أحدهما قريب، ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد، ودلالة اللفظ عليه خفية، فيريد المتكلم المعنى البعيد، ويورِّي عنه بالمعنى القريب. فيوهم السامع ـ أول وهلة ـ أنه يريد القريب، وليس كذلك" [٦]، ولأجل هذا سمي الترادف بالإيهام أيضاً.

والحقيقة أنّ التورية، وبالرغم ممّا قيل عنها، فهي موجودة فعلاً، ولا نستطيع إنكارها، "فهي ليست كذباً ولا قريبة من الكذب، وإنما هي صدق مقنع، على من رغب فيه أن يزيل القناع عنه وكونه مقنّعاً لا يُغيِّر من طبيعته شيئاً" [٧]. وفي الوقت الذي نجد فيه الكثير من العلماء ينكر وجودها في القرآن الكريم إلاّ أنّ هذا لايمنع وجودها. ولقد استخدمها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في أحاديثه الشريفة، عندما سئل في خروجه إلى بدر: ممّن القوم ؟ فأجاب على الفور ـ مستخدماً التورية؛ حتى لا يكشف سرّه، وسرّ أصحابه، فيصل خبرهم إلى عدوهم ـ : "من

---

[١] الصفدي، صلاح الدين، **جنان الجناس**، ص١٣٠؛ وَالسيوطي، **جنى الجناس**، ص١٨٠.

[٢] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج١، ص١٦٣.

[٣] وتسمى أيضاً (الإيهام)، ينظر: ابن حجة الحموي، تقي الدين أبي بكر (ت٨٣٧هـ)، **خزانة الأدب وغاية الأرب**، تحقيق: عصام شعيتو، ج١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ص٢٣٩.

[٤] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (وري).

[٥] ابن منقذ، أسامة بن مرشد بن علي (ت٥٨٤هـ)، **البديع في نقد الشعر**، ط١، تحقيق: أ. عبد علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، ص٩٦.

[٦] ابن حجة الحموي، **الخزانة**، ص٢٣٩.

[٧] فياض، د. محمد جابر، **التورية وخلو القرآن منها**، دار المنارة للنشر، السعودية، جدة، ١٤٠٥هـ ـ١٩٨٥م، ص١٤.

ماء"[١]، فانصرف إلى ذهن الرجل إلى أنّ الرسول ذكر له اسم قبيلته، "ومهما يكن من شيء، فأنّى للرجل أن يعرف في تلك اللحظة أنّ الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أراد المــاء الحقيقــي، أصل كل الأحياء ؟ فالرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أخبر السائل بالحقيقة. فالمقال مقال حق وصدق، ولكنّ المقام أو الحال حجب المقال عن ذهن السامع"[٢].

ومن أمثلة التورية في صحيح البخاري، قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ: "الحرب خُدعة"[٣] ومعنى الحرب خُدعة هنا، أي: تمويه وإخفاء وتلوّن. وتكون بالتورية والتعريض وخلف الوعد. والاقتصار على التورية أو التعريض أفضل. والمراد أنّه يلتزم ما سمعه في الرواية عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وإن حدّثَ من عنده فإنّه يجتهد برأيه ويلوّن في الكلام ما شــاء ليقنع سامعه، وليس المراد أنّه يخادع في حديثه، حاشاه – صلى الله عليه وسلم .

ونضرب مثالاً من أحاديثه ــ صلى الله عليه وسلم ــ قوله: "رغبةً ورَهبة"[٤]، لقد اســتخدم القرآن والسنة بعض الكلمات التي تتضمن الإرهاب والعنف واستخدام القوة أو التهديد للتوصــل إلى أهداف معينة كالعقاب والقتل والعدوان والجهاد. لقد استخدمت هذه الكلمة مرة واحدة فــي القرآن الكريم بمعنى ترهيب العدو أثناء الجهاد بقوله: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قــوة"[٥]، أمــا بقية الآيات التي وردت فيها مشتقات المادة (رهب)، فقد استعملت كلمة الرهبة من أجل الــدعوة إلى مخافة الله عز وجل، ليس إلاّ. أما في الحديث الشريف، فلم ترد مشتقات الفعل (رهب) بشكل كبير. ولعلّ أشهرها: ما جاء على صيغة: رغبة ورهبة.

---

[١] ابن الأثير، **المثل السائر**، ج٢، ص٢٠٦.

[٢] فياض، **التورية وخلو القرآن منها**، ص١٤.

[٣] البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم٣٤١٥، ج٣، ص٣٤١٥، باب الحرب خدعة.

[٤] **نفسه**، حديث رقم٢٤٤، ج١، ص٩٧، باب فضل من بات على وضوء.

[٥] **نفسه**، ص١٣٢١.

ثالِثاً: الأَضْدَادُ

الأضداد ظاهرة من الظواهر اللغوية التي أسهمت في نمو الثروة اللفظية والاتساع في التعبير عند العرب. ويكون الأضداد "في المفردات من الألفاظ، نحو: قام وقعد، وحل وعقد، وقل وكثر. فإن القيام ضد القعود، والحل ضد العقد، والقليل ضد الكثير. فإذا ترك المفرد من الألفاظ، وتوصل إلى مقابلته بلفظ مركب، كان ذلك مقابلة من جهة المعنى، لا من جهة اللفظ، كقول المقنع الكندي:

لَهُمْ جُلُّ مَالِي إنْ تَتَابَعَ لِي غِنًى وَإنْ قَلَّ مَالِي لَمْ أُكَلِّفْهُمْ رِفْدا[1]

"تتابع لي غنى" في معنى كثر مالي، وهذه مقابلة معنوية، لا لفظية؛ فاعرف ذلك"[2]

قال أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ): "ومن سنن العرب في الأسماء أنْ يُسمُّوا المتضادَّين باسم واحد، نحو (الجون) للأسود و(الجون) للأبيض.

وأنكر ناس هذا المذهب، وأنَّ العرب تأتي باسم لشيء وضدِّه. وهذا ليس بشيء، وذلك أنَّ الذين رَوَوا أنَّ العرب تسمي السيف مهنَّداً والفرس طِرْفًا، هم الذين رَوَوا أنَّ العرب تُسمِّي المتضادَّين باسم واحد"[3].

وقد اختلف اللغويون القدامى في وجود ظاهرة الأضداد في العربية، ورأوا أنه لا يعقل أن يُطلق اللفظ على المعنى وضده، ولأجل ذلك فقد انقسموا على قسمين منهم من يرى وقوعها في كلام العرب، ومنهم من أنكرها، كما أشار إلى ذلك ابن فارس.

---

١ أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، **ديوان الحماسة**، ج٢، شرح وتحقيق: الشيخ محمد عبد القادر سعيد الرافعي، مطبعة التوفيق، مصر، ١٣٢٢هـ - ١٩٠٤م، ص٣٠.

٢ ابن الأثير، المثل السائر، ج٢، ص٢٧٣.

٣ ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص١١٧.

فممن أنكر الأضداد ابن درستويه، عبد الله بن جعفر (ت٣٤٧هـ) الذي أنكر المشترك اللفظي أيضاً، أي تعدد الدلالات للفظ الواحد، وقد ألّف في ذلك كتاباً سمَّاه (إبطال الأضداد)[١]. وحجته فيما ذهب إليه من إنكار الأضداد، أنَّ "اللغة موضوعة للإبانة عن المعاني، فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين، أو أحدهما ضد الآخر، لما كان في ذلك إبانة، بل كان تعمية وتغطية، ولكن قد يجيء الشيء النادر من هذا لعلل ... فيتوهم من لا يعرف العلل أنهما لمعنيين مختلفين"[٢] .

وقد رأى بعض الدارسين المعاصرين أنَّ ابن درستويه تلطّف في إنكار الأضداد ولم يجحدها مطلقاً؛ لأنه أقرَّ بوجودها تلميحاً في بعض المواطن[٣]. وقال أبو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ): "وقد كان أحد شيوخنا ينكر الأضداد التي حكاها أهل اللغة، وأنْ تكون لفظة واحدة لشيء وضدِّه"[٤]. وقد ذهب بعض الباحثين المعاصرين الذين درسوا أقوال الفارسي، إلى أنه عنى بهذا القول ابن درستويه[٥]، ولم يقدم حجة على ما قاله، إذ لم يكن ابن درستويه من شيوخ أبي علي الفارسي[٦].

ويرى أكثر أئمة اللغة أنَّ التضادَّ واقع في كلام العرب. ومن هؤلاء: الخليل وسيبويه وقطرب وغيرهم[٧]، وأنا أميل إلى هذا الرأي وأرجحه.

---

١ ينظر في: ابن درستويه، عبدالله بن جعفر (ت ٣٤٧هـ)، **تصحيح الفصيح** ، تحقيق: عبد الله الجبوري، ط١، مطبعة الإرشاد، بغداد، ج١، ص٣٥٩ح وَالسيوطي، **المزهر**، ج١، ص٣٩٦.

٢ ابن درستويه، **تصحيح الفصيح**، ج١، ص١٦٦ ــ ١٦٧.

٣ نفسه، ج١، ص٩٠.

٤ أبو علي النحوي الفارسي (ت٣٧٧هـ)، **المسائل المشكلة (البغداديات)**، تحقيق: صلاح الدين عبد الله السنكاوي، مطبعة العاني، بغداد، (د. ت)، ص٥٣٤.

٥ ينظر: المنصوري، علي جابر، **أبوعلي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية**، بغداد، ١٩٨٧م، ص٨٣.

٦ ينظر: أبو علي النحوي الفارسي (ت٣٧٧هـ)، **المسائل المشكلة (البغداديات)**، تحقيق: صلاح الدين عبد الله السكاوي، مطبعة العاني، ص٢٠، ٥٣٤، (الهامش).

٧ ينظر: كمال، ربحي، **التضاد في ضوء اللغات السامية ــ دراسة مقارنة**، جامعة بيروت العربية، ١٩٧٢م، ص١٨.

ومن الواضح أنَّ اللفظة من الأضداد، لم توضع للمعنيين المتضادَّين في بادئ الأمر، وإنما وُضِعت لأحدهما، ثم وُجِدت عواملُ مختلفة أدَّت إلى نشأة المعنى الثاني المضاد للمعنى الأول، فقد نقل أبو بكر بن الأنباري (ت٣٢٨هـ) في كتابه (الأضداد) أنَّ بعض العلماء قالوا: " إذا وقع الحرف على معنيَين متضادَّين، فالأصل لمعنى واحد، ثم تداخل الاثنان على جهة الاتساع"[١].

وقد بالغ بعض اللغويين كثيراً في عدِّ ألفاظ كثيرة من الأضداد، ومن يتأمل في تلك الألفاظ، يجد أنَّ معظمها ليس من الأضداد في شيء، وإنما هي من المشترك اللفظي[٢].

ويشترط في اللفظة لتكون من الأضداد، أنْ تكون واحدة في المعنيَين، لأنَّ أيَّ تغيير فيها، يخرجها عن كونها بذاتها تحتمل المعنيَين المتضادين.

وفي ذلك يقول أبو الطيب اللغوي (ت٣٥١هـ) إنَّ "شرط الأضداد أنْ تكون الكلمة الواحدة بعينها، تستعمل في معنيَين متضادين، من غير تغيير يدخل عليها"[٣]. وقال مرة أخرى: وشرط الأضداد: "أنْ تكون الكلمة الواحدة تنبئ عن معنيَين متضادَّين، من غير تغيير يدخل عليها، ولا اختلاف في تصرفها"[٤].

ويرى بعض الدارسين المعاصرين، أنه يجب ألا يعدَّ من الأضداد أيضاً ما ترك اللغويون الاستشهاد على أحد معنيَيه، لأنه لم يثبت في كلام العرب أنه استعمل بهذا المعنى، مثل قولهم: إنَّ (قَسَطَ) تعني: (عدل أو جار)، فالمعنى الأول لا دليل عليه، أما الثاني فقد ورد في قوله تعالى: "وَأَمَّا القَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً"[٥]، أي الجائرون. ففي حديثه ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليبَ،

---

١ الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، **الأضداد في اللغة**، تحقيق: محمد عبد القادر سعيد الرافعي وَأحمد الشنقيطي، المطبعة الحسنية، القاهرة، ١٩٦٠م، ص٨؛ **وَالمزهر**، ج١، ص٤٠١.

٢ عبد التواب، رمضان، **فصول في اللغة العربية**، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٣٢٠ ــ ٣٣٩.

٣ أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن علي (ت٣٥١هـ)، **الأضداد في كلام العرب**، ج١، تحقيق: عزّة حسن، دمشق، ١٣٨٢هـ ــ ١٩٦٣م، ص٤٥٥.

٤ **نفسه**.

٥ **الجنّ**، آية ١٥.

ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد"[١]، فقوله: "مقسطا"، أي: عادلاً، من الإقساط، يقال: أقسط إذا عدل، وقسط إذا ظلم.

ومن الأمثلة على الأضداد في صحيح البخاري:

ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: "إنّ أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر[٢] في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم" . قالوا: يا رسول الله: تلك منازل الأنبياء، لا يبلغها غيرهم. قال: "بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين"[٣].

ففي الحديث الشريف، بيّن الرسول الكريم أنّ أهل الجنة متفاضلون في الجنة بحسب منازلهم. فالغابر الواردة من غبر، وهي من الأضداد، يقال: غَبَرَ إذا ذهب، وغبرَ إذا بقي، ويعني به أنّ الكوكب حالة طلوعه وغروبه بعيد عن الأبصار، فيظهر صغيراً لِبعده.

ومن الكلمات الدالة على الأضداد: (الصارخ)، حيث تقال للمغيث والمستغيث. ومن الأمثلة عليها في صحيح البخاري:

ـ عن أشعث، قال: سمعت أبي، قال: سمعت مسروقا، قال: سألت عائشة ـ رضي الله عنها، أيّ العمل كان أحب إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟ قالت: الدائم. قال: قلت: فأيٌّ حين كان يقوم ؟ قالت: كان يقوم إذا سمع الصارخ"[٤].

وقد جاءت كلمة (الصريخ) على وزن فعيل، بمعنى الصوت الصارخ المستغيث في قوله: "فأتى الصريخ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ"[٥].

---

[١] العيني، **عمدة القاري**، حديث رقم٢٢٢٢، ج٢، ص٣٥، باب قتل الخنزير.

[٢] **الغابر**: الذاهب أو الباقي.

[٣] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٣، ص١١٨٨، حديث رقم٣٠٨٣، باب صفة الجنة وأنها مخلوقة.

[٤] **نفسه**، ج٥، ص٢٣٧٢، حديث رقم٦٠٩٦، باب القصد والمداومة في العمل.

[٥] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٣، ص١٠٩٩، حديث رقم٢٨٥٥، باب إذا حرق المشرك المسلم، هل يحرق؟.

رَابِعَاً: التَّغْلِيبُ

ومن أبرز الظواهر التي تسترعي الانتباه في العربية، مجيء الكلمة بلفظ المثنى دالة على اثنين، ولكنهما مختلفان في لفظيهما وحروفهما تماماً كما نقول: الأبوان: (للأب والأم)، والوالدان (للوالد والوالدة)، وقالوا: (للأب والخالة) أبوان؛ لأنّ الخالة بمنزلة الأم، ومن هذا قوله تعالى عن النبي يوسف عليه السلام: "ورفع أبويه على العرش"[١]، أي: أباه وخالته زوجة أبيه، فقد تزوج أبوه بها بعد وفاة زوجته. ومن أمثلة التغليب في اللغة: القمران (للشمس والقمر)، والعمران: (لعمر بن الخطاب وأبي بكر الصديق)، والمشرقان والمغربان: (للمشرق والمغرب)، وفي التنزيل "رب المشرقين ورب المغربين"[٢]، والمروتان: (للصفا والمروة)، ورجبان: (لرجب وشعبان)، والفراتان: (دجلة والفرات) ... .

وللتغليب صور أكثر اتساعاً وخروجا عن إطار المثنى. ويمكن أنْ يقاس عليها، كقوله تعالى: "وكانت من القانتين"[٣]، ولم يقل من القانتات. وهذا من باب تغليب جماعة الذكور على جماعة الإناث.

وصحيح البخاري يزخر بالأمثلة التي تدلل على وجود التغليب، الذي كان له دور بارز في توسع الدلالة اللغوية، نذكر منها:

ـــ عن عروة، عن عائشة ـــ رضي الله عنها ـــ أنها قالت لعروة : "إنا كنا لننظر إلى الهلال، ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ نار. فقلت: يا خالة، ما كان يعيشكم ؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ جيران من الأنصار، كانت لهم منائح، وكانوا يمنحون رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ من ألبانهم فيسقينا"[٤].

الأسودان: غلب التمر على الماء فقيل أسودان وكان الغالب في تمر المدينة اللون الأسود.

---

[١] **يوسف**، آية ١٠٠.

[٢] **الرَّحمن**، آية ١٧.

[٣] **التَّحريم**، آية ١٢.

[٤] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٢، ص٩٠٧، حديث رقم٢٤٢٨، باب فضلها والتحريض عليها.

ومن الأمثلة:

ــ عن ابن عمر ــ رضي الله عنهم ــ عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: "إن المتبايعين بالخيار في بيعهما، ما لم يتفرقا، أو يكون البيع خيارا". قال نافع: وكان ابن عمر إذا اشترى شيئا يعجبه فارق صاحبه[١].

فالمتبايعان: هما البائع والمشتري المتلبسين بعقد البيع.

ــ ومنها أيضاً، قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "بين كل أذانين صلاة ــ ثلاثا ــ لمن شاء" [٢]، فالأذانان هما الأذان والإقامة.

ــ ومنها أيضاً، لفظة (المعوّذتين) ويقصد بهما سورتا الفلق والناس، وقد وردت في صحيح البخاري: "عن زر بن حبيش، قال: سألت أُبيّ بن كعب عن المعوذتين، فقال: سألت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال: "قيل لي فقلت". فنحن نقول، كما قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ[٣].

ــ ومنها، عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ : "أنّ النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعث معها أخاها عبد الرحمن، فأعمرها من التنعيم وحملها على قتب". وقال عمر ــ رضي الله عنه ــ "شدوا الرحال في الحج فإنه أحد الجهادين"[٤].

فالمقصود بالجهادين: الحج والعمرة. "فعن عابس بن ربيعة، أنه سمع عمر يقول ــ وهو يخطب ــ : إذا وضعتم السروج، فشدوا الرحال إلى الحج والعمرة. فإنه أحد الجهادين ومعناه: إذا فرغتم من الغزو، فحجوا واعتمروا. وتسمية الحج جهادا؛ إما من باب التغليب، أو على الحقيقة. والمراد جهاد النفس؛ لما فيه من إدخال المشقة على البدن والمال"[٥].

---

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٢، ص٧٤٢، حديث رقم٢٠٠١، باب كم يجوز الخيار.

[٢] **نفسه**، ج١، ص٢٢٥، حديث رقم٥٩٨١، باب كم بين الأذان والإقامة.

[٣] **نفسه**، ج٤، ص١٤٠٩، حديث رقم٤٦٩٣، باب تفسير سورة العلق.

[٤] **نفسه**، ج٢، ص٥٥٢، حديث الحج على الرحل.

[٥] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج٣، ص٣٨١.

الْمَبْحَثُ الثَّانِي: التَّوسُّعُ فِي بَابِ التَّرَادُفِ

إنّ هناك علاقة وطيدة بين الترادف وبين الكثير من الألوان البديعية، لذلك نجد المتكلم يتوسع في كلامه، ويتطرق إلى ألوان من التعبير فيسلك "طرق الفصاحة والبلاغة في النظم والنثر؛ وذلك لأنّ اللفظ الواحد قد يتأتّى باستعماله مع لفظ آخر السجع، والقافية، والتجنيس، والترصيع، وغير ذلك من أصناف البديع، ولا يتأتّى ذلك باستعمال مرادفه مع ذلك اللفظ"[١].

إذن، فالعلاقة قوية بين هذه الأجناس، والقاسم المشترك بينها هو المعنى، إضافةً إلى الدلالة اللغوية لهذه الألفاظ. ويرى أحد الدارسين المحدثين أنّ هناك: "طائفة من القضايا المتصلة بالمعنى المعجمي مما له علاقة، أو ينبغي أن تكون له علاقة بالدراسات البلاغية"[٢]. ومن هذه القضايا التي ذكرها: الترادف، إلى جانب ذكرَ التضاد، والمشترك اللفظي بشكل عام.

مَفْهُومُ التَّرَادُفِ:

يعرّف الترادف بأنْ: "يكون في اللغة لفظان بمعنى واحد"[٣]، ويعرفه الإمام فخر الدين: "هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد"[٤]. ومن تعريفات المحدثين للترادف: "التعبير بأكثر من لفظ للدلالة على أمر واحد"[٥]. ويبدو لي أنّ هذا التعريف جمع آراء المحدثين ممّن أقرّوا بوجود الترادف. أمّا من أنكر ظاهرة الترادف، فقد ذكر فروقاً في معاني هذه الألفاظ، ومنهم ثعلب وتلميذه من بعده ابن فارس الذي يقول عن الترادف: إنّ الاسم واحد، والباقي صفات لهذا الاسم، لذا فإنّ كل صفة تختلف عن الأخرى في المعنى، وكذلك الأفعال؛ يختلف مدلول كل فعل عن الآخر، ويضرب لنا مثالاً على ذلك: أنّ السيف هو الاسم، أمّا المهند والحسام وغيرها ما هي إلا صفات دالة على السيف[٦].

---

[١] السيوطي، **المزهر** ، ج١، ص٤٠٦؛ وَينظر: **الصاحبي**، ص٩٧.

[٢] حسان، تمام، **الأصول**، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨٢م، ص٣٢٧.

[٣] ابن جني، **الخصائص**، ج٢، ص٣١٠.

[٤] السيوطي، **المزهر**، ج١، ص٤٠٣.

[٥] أنيس، إبراهيم، **دلالة الألفاظ**، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٦م، ص٢١٢.

[٦] ابن فارس، **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**، ص٩٧.

ويذهب ابن جني إلى أنّ تعدد الألفاظ الدالة على معنى واحد سببه تعدد من تكلم بهذه الألفاظ الدالة على معنى واحد، ثمّ تجمعت في النهاية من هنا وهناك، أي أنّ الترادف ناتج عن تعدد المتكلمين توحّدت لهجاتهم جميعها في اللغة النموذجية التي نزل بها القرآن الكريم، حيث يقول: "وكلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن تكون لغات الجماعات، اجتمعت لإنسان واحد من هنا، ومن هنا"[1]، ويقول أحد الدارسين المحدثين: "إذا نظرنا إلى الترادف من زاوية المعنى، أي على أنّه اتفاق الصورة الذهنية للفظين مختلفين صياتياً، فلا يجوز اعتباره تعدداً في المعنى وذلك لأنّ المعنى هو الصورة الذهنية، والصورة الذهنية واحدة في المترادف، فلم تتعدد الصورة، فلم يتعدد المعنى. وأمّا إذا نظرنا إليه من زاوية الدلالة فيجوز اعتباره تعدداً دلالياً؛ لأنّ الدلالة هي العلاقة بين المعنى والصورة، ويتحقق التعدد له بتعدد العلاقة بين اللفظ والصورة، وتعدد العلاقة يتحقق بتعدد أطرافها"[2].

فمسألة الترادف موجودة بالفعل لا سيّما في اللغة نتيجة ظروف متعددة، ساهمت في إبرازها، كاللهجات والنقل المجازي، والتطور الدلالي، وغيرها من العوامل التي كانت تظهر في بعض الأحايين، مما أوجد هذا التوسع. وحسبي أنْ أورد بعض الأحاديث النبوية في صحيح البخاري التي تؤكد ظاهرة الاتساع.

ــ فقد فرّق الإمام العيني بين الضعف والمرض في حديث البخاري: عن أبي مسعود الأنصاري، قال: قال رجل: يا رسول الله لا أكاد أدرك الصلاة، مما يطول بنا فلان. فما رأيت النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في موعظة أشد غضبا من يومئذ، فقال: "أيها الناس، إنكم منفرون، فمن صلى بالناس، فليخفف، فإنّ فيهم المريض، والضعيف، وذا الحاجة "[3].

حيث قال: "إنّ الضعف أعمُّ من المرض، فالمرض ضد الصحة. يقال: مرض، يمرض، مرْضاً، ومَرَضاً، فهو مريض، ومارض، ويقال: المرض (بالإسكان) مرض القلب خاصة. قال الصغاني: وأصل المرض الضعف، وكلما ضعف، مرض. وقال ابن الأعرابي: أصل المرض

---

[1] ابن جني، **الخصائص**، ج١، ص٣٧٤.

[2] علي، محمد يونس، **المعنى وظلال المعنى**، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٧م، ص٣٧٩.

[3] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص٤٦، حديث رقم٩٠، باب الغضب والموعظة في التعليم، إذا رأى ما يكره.

النقصان. يقال: بَدَنٌ مَريضٌ، أي: نَاقِصُ القوّةِ، وَقَلْبٌ مَريضٌ، أي: نَاقِصُ الدّيْن. وقيل: المَرَضُ اخْتلالُ الطّبيعة، واضْطِرابُها بعدَ صَفائِها، واعتدالِها. والضَّعْفُ خِلافُ القوّة، وقد ضَعُفَ، وضَعَفَ والفتح عن يونس، فهو ضَعِيف. وقومٌ ضِعَافٌ، وضَعَفَة. وفرَّق بعضُهم بين الضَّعْفِ والضُعْف، فقال: الضَّعفُ بالفتح: في العقل والرأي، والضُّعف بالضم: في الجسد، ورجل ضَعُوف، أي: ضَعيف، فإن قيل: لم ذكر هذا الثلاثة؟ قلت: لأنه متناول لجميع الأنواع المقتضية للتخفيف، فإن المقتضى له إما في نفسه، أو لا، والأول إما بحسب ذاته، وهو الضَّعْفُ أو بحسب العَارِض، وهو المَرَض"[1].

ومن الأمثلة أيضاً أننا نَجِدُ فرقاً بين الشُّحِّ والبُخْل الواردين في الحديثين التاليين:

ـ عن أبي هريرة: عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: "يتقاربُ الزمانُ، وينقصُ العملُ، ويلقى الشُّح، ويَكْثُرُ الهَرَجُ. قالوا: وما الهَرَجُ؟ قال: القَتْل القَتْل"[2].

ـ وعن مصعب بن سعد، عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ كان يأمر بهؤلاء الخمس، ويحدثهن عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "اللهم، إني أعوذ بك من البُخْل، وأعوذُ بكَ من الجُبْن، وأعوذ بكَ أنْ أُرَدّ إلى أرْذَلِ العُمُر، وأعوذُ بكَ من فِتْنَةِ الدّنْيا، وأعوذ بك من عَذَابِ القبْر"[3].

لفظة الشُّح تعني: البخل، وفي التنزيل:" وأُحضرتْ الأنفسُ الشحّ" ، ويقال: الشَّحَّةُ نفسٌ شَحَّة، أي: شديدة البُخل. أمّا البخيل: فهو الذي ضنّ بما عنده ولم يجد[4]. وجاء في عمدة القاري: "أنّ الشُّحَّ والبُخْلَ بمعنى واحد. وقيل: الشُّحُّ أخْذُ المالِ بغير حق، والبُخْلُ المَنْعُ من المالِ المُسْتَحَقّ، وقيل: الشُّحّ بما في يد الغَيْر، والبُخْل بما في يَدِه، وقيل: البَخِيل إذا وجَدَ شَبِع، والشّحِيحُ لا يشْبَع أبدًا، فَالشُّحُّ أعمّ"[5].

---

[1] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص٤٦، حديث رقم٩٠، باب الغضب والموعظة في التعليم، إذا رأى ما يكره.

[2] **نفسه**، ج٦، ص٢٥٩٠، حديث رقم٦٦٥٢، باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل.

[3] **نفسه**، ج٥، ص٢٣٤٢، حديث رقم٦٠٠٩، باب التعوذ من البخل.

[4] أنيس، إبراهيم، **المعجم الوسيط**، ج١، مادتي: شحح، وبخل.

[5] العيني، **عمدة القاري**، ج١٦، ص٢٦٥.

ولقد فرّق الإمام العيني بين كلمتي (حمي، وتتابع) اللتين وردتا في الحديث الشريف الذي أخرجه البخاري وهو:

ـ عن جابر بن عبد الله، أنه سمع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يحدث عن فترة الوحي: "فبينا أنا أمشي سمعت صوتا من السماء، فرفعت بصري قبل السماء، فإذا الملك الــذي جــاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فجئت منه حتى هويت إلى الأرض، فجئت أهلي، فقلت: زملوني زملوني، فزملوني، فأنزل الله تعالى: "يا أيها المدثر، قم فأنذر" ــ إلــى قولــه ــ "فاهجر"، ثم حمي الوحي وتتابع"[١].

قال الإمام العيني إنّ الكلمتين ليستا من باب الترادف، في الوقت الذي أجمع الــشرّاح فيــه على أنهما بمعنى واحد، وجاء الثاني ليؤكد الأول فهو يفرق بينهما في المعنى حيــث يقــول: "معنى حمي النهار: اشتد حره، ومعنى تتابع: تواتر، وأراد بحمي الوحي: اشتداده، وهجومــه. وبقوله تتابع: تواتره، وعدم انقطاعه. وإنما لم يكتف بحمي وحده؛ لأنه لا يستلزم الاســتمرار، والدوام، والتواتر. فلذلك، زاد قوله (وتتابع)، فأفهم. فإنه مــن الأســرار الربانيــة، والأفكــار الرحمانية، ثم قال: "ولقد أبعد من قال: وتتابع توكيد معنوي[٢]؛ لأن التوكيد المعنوي لــه ألفــاظ مخصوصة كما عرف في موضعه، فإن قال: ما أردت به التوكيد الاصطلاحي، يقال له: هــذا إنما يكون بين لفظين معناهما واحد، وقد بينا المغايرة بين حمي وتتابع"[٣].

ومن أمثلة الترادف في صحيح البخاري، ما جاء في الحديث: حدثني عمرو بن يحيى، عن أبيه: كان عمي يكثر من الوضوء. قال لعبد الله بن زيد: أخبرني كيف رأيت النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يتوضأ ؟ فدعا بتور[٤] من ماء، فكفأ على يديه، فغسلهما ثلاث مرات، ثم أدخل يده في التور، فمضمض، واستنثر ثلاث مرات من غرفة واحدة، ثم أدخل يده، فاغترف بها، فغسل وجهه ثلاث مرات، ثم غسل يديه إلى المرفقين مرتين، مرتين، ثم أخذ بيده ماء، فمسح رأســه، فأدبر به، وأقبل، ثم غسل رجليه، فقال: هكذا رأيت النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يتوضأ"[٥].

---

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٤، ص١٨٧٦، حديث رقم٤٦٤٢، باب قوله: والرجز فاهجر.

[٢] وهذا ما قاله ابن حجر، وَزاد: ويحتمل أن يراد بحمي: قوي. وَتتابع: تكاثر، ينظر: **فتح الباري**، ج١، ص٦٦.

[٣] العيني، **عمدة القاري**، ج١، ص٦٦.

٤ **التور**: الطست.

٥ البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص٨٤، حديث رقم١٩٦، باب الوضوء من التور.

وقد جاء في فتح الباري: "أن التور بفتح المثناة شبه الطست. وقيل: هو الطست. ووقع في حديث (شريك)، عن أنس في المعراج، فأتى بطست من ذهب، فيه تور من ذهــب، وظــاهره المغايرة بينهما. ويحتمل الترادف، وكأنّ الطست أكبر من التور[١]. إذن فقد تكون العلاقــة بــين التور والطست علاقة ترادف. فالمعنيان غير متعارضين.

---

١ ابن حجر، **فتح الباري**، ج١، ص٣٠٣.

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ: التَّوَسُّعُ الدِّلالِيُّ لِمُفْرَدَاتِ الْجَذْرِ الْوَاحِدِ

اختلفت اللغات الإنسانية في التعبير عن الشيء الواحد بدلالات وأصوات متباينة، حتى وإن اتفقت أصوات في لغتين مختلفتين أو أكثر في الإشارة إلى شيء معين، فمن النادر أن تكون لها الدلالة نفسها، بل إننا نجد داخل النظام اللغوي الواحد هذا اللون من الاختلاف١.

وقد قسّم سيبويه دلالات الألفاظ التي تشترك فيها اللغات بقولــه: "اعلــم أنّ مــن كلامهــم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واخــتلاف المعنيين"[٢].

وعند الحديث عن التوسع الدلالي لمفردات الجذر الواحد، فإنّ ذلك يقودنا إلى الحديث عــن المشترك اللفظي وتعدد المعنى، الذي يعني: "اللفظ الدال على معنيين مختلفين فأكثر، دلالة على السواء عند أبناء اللغة"[٣]. ويعلل كثير من العلماء وجود ظاهرة الاشتراك اللفظي في اللغة العربية بقولهم: "إنّ الاشتراك قد حدث؛ لأنّ الألفاظ متناهية، والمعاني غير متناهية، فإذا وزّع كل منهما على الآخر لزم الاشتراك"[٤]، إضافةً إلى الأسباب التاريخية أو الاجتماعية أو حتى دلالية مــشتقة من إيحاءات الكلمة، وغيرها كثير.

ومسألة الاشتراك اللفظي مسألة متشابكة في اللغة، قيل فيها الكثير؛ فمن العلمــاء مــن لا يعترف بوجود المشترك اللفظي إلاّ على نطاق ضيّق كابن درستويه (ت٣٤٧هــ) الــذي يعلــل وجود الاشتراك بأسباب لغوية، وغير لغوية، وبعضها يتصل باختلاف اللهجات، يقول: "لو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين أو أحدهما ضد الآخر، لما كان ذلــك إبانــة، بــل تعمية، وتغطية، ولكن قد يجيء الشيء النادر من هذا لِعلل، فيتوهم من لا يعرف العلــل أنهمــا لمعنيين مختلفين، وإن اتفق اللفظان ... وإنما يجيء ذلك في لغتين متباينتين، أو لحذواختــصار

---

[١] خليل، حلمي، **العربية والغموض**، ط١، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨م، ص١٥.

٢ سيبويه، **الكتاب**، ج١، ص٤٩.

٣ السيوطي، **المزهر**، ج١، ص٣٦٩.

[٤] **نفسه**، ج١، ٣٦٩.

وقع في الكلام حتى اشتبه اللفظان، وخفي سبب ذلك على السامع"[١]. وسأقتصر في حديثي في هذا الباب على: التوسع الجذري (تعدد الاشتقاق). وموضوع القلب.

أوّلاً: التَّوَسُّعُ الْجَذْرِيُّ (تَعَدُّدُ الاشْتِقَاق)

والمقصود بالتوسع الجذري الاشتقاق الأكبر الذي ولع به ابن جني، الذي عرّفه بقوله: "وأمّا الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنىً واحدًا تجتمع التراكيب الستة، وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإنْ تباعد شيءٌ من ذلك عنه، ردّ بلطف الصنعة، والتأويل إليه كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد"[٢]، وقد أورد ابن جني بعض الشواهد على هذا النوع، نذكر منها:

(ج. ب . ر) هذه الأصول الثلاثية أينما وقعت فهي تعني القوة والشدّة، ومنها: جبرت العظم، أي: شددته، ورجل مجرب: إذا جرسته الأمور ونجدته، فقويت منّته، واشتدت شكيمته. ومنها الجراب؛ لأنّه يحفظ ما فيه. ومنها، الأبْجَر والبُجْرَة: وهو القوي السّرة، ومنها: رَجَبْتُ الرجلَ إذا عظَّمْتَهُ وقوّيْتَ أمرَه، ومنه: شهر رجب؛ لتعظيمهم إياه عن القتال فيه، ومنه: الرّجْبَة: شيءٌ تسند إليه لتقوى به، ومنها: الرَّاجِبَة: أحدُ فُصُوص الأصَابِع، وهي مقوّية لها. ومن أمثلة ذلك في صحيح البخاري:

ــ عن عروة بن الزبير، قال: سألت عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت: ما اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في **رجب**[٣].

ومن مفردات هذا الجذر الذي يعتريه بعض القلب(تجبّر، متجبّر ...)وتعني: القوة والشدة، كما جاء في حديثه ــ صلى الله عليه وسلم ــ : عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: قال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "تحاجت الجنة والنار. فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين و**المتجبرين**. وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم ؟ قال الله تبارك وتعالى

---

[١] السيوطي، **المزهر**، ج١، ص٣٨٥.

[٢] ابن جني، **الخصائص**، ج٢، ص١٣٤.

[٣] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٢، ص٦٣٠٠، حديث رقم١٦٨٦، باب كم اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم.

للجنة: أنت رحمتي، أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار إنما أنت عذابي، أعذب بك من أشاء من عبادي ..."[1].

(فالمتجبرون) جمع متجبر وهو المتعاظم بما ليس فيه والذي لا يكترث بأمره.

فابن جني اقتصر في هذه التقاليب على الأصول الثلاثية؛ لاستحالة تعميمها على الأصول الرباعية.

وتعود فكرة التقاليب إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي، الذي حاول في معجمه العين أنْ يحصر كل المستعمل من كلمات اللغة العربية، معتمداً على تقليب اللفظ إلى كل الاحتمالات الممكنة، ومبيناً المستعمل من غيره. ولكنّ الخليل بن أحمد رأى في هذه التقاليب الستة أنّها تدخل في باب اشتقاق واحد، وترجع إلى أصل واحد يجمعها؛ بسبب اشتراكها في الحروف الثلاثة مهما يكن موقعها وترتيبها. وإنْ كان هذا لا ينطبق على كل الجذور[2].

ومن العلماء الذين أيّدوا ابن جني في هذه المسألة الزّجّاج. ومن الذين أنكروا ذلك: السيوطي. أما من وقف موقفاً وسطاً فهو صبحي الصالح؛ لكونه تحفّظَ على بعض الأمثلة التي ذكرها ابن جني في هذا الباب، وانتهى في بعض الأحيان إلى التعمّق، لكنّه مع تحفظه رأى بأنّ الاشتقاق الكبير لم يعرف اللغويون العرب أعظم منه.

ومهما يكن الأمر، فالفكرة بحدّ ذاتها تدل على التوسع الكبير في الجذور ومعانيها، وزيادة ألفاظ اللغة. وللمزيد من التوضيح أورد بعضاً من هذه التقاليب على الجذرين التاليين: **(ج . ذ . ب) و (ج. ب . ذ):**

ـ عن أنس بن مالك، قال: "كنت أمشي مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذ بردائه جبذة شديدة. قال أنس: فنظرت إلى صفحة

---

[1] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٤، ص١٨٣٦، حديث رقم٤٥٦٩، باب وتقول هل من مزيد.

[2] ينظر: الصالح، صبحي، **دراسات في فقه اللغة**، ط٩، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١م، ص١٨٨.

عاتق النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقد أثرت فيها حاشية الرداء من شدة **جبذته**، ثم قال: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه، فضحك، ثم أمر له بعطاء"[1].

ــ وعن عبد الله، قال: لما توفي عبد الله بن أبي، جاء ابنه إلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال: يا رسول الله، أعطني قميصك أكفنه فيه، وأصلي عليه واستغفر له. فأعطاه قميصه وقال: "إذا فرغت منه فآذنا". فلما فرغ، آذنه به، فجاء ليصلي عليه، **فجذبه** عمر، فقال: أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين، فقال: "استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم". فنزلت "ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره". فترك الصلاة عليهم. فمن الملاحظ أنّ كلا الجذرين المخطوط تحتهما في الحديثين السابقين أفادا معنى القوة والشدة.

[1] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٥، ص٢٢٦٠، حديث رقم٥٧٣٨، باب التبسم والضحك.

٢ **نفسه**، ج٥، ص٢٢٦٠، حديث رقم٥٧٣٨، باب لبس القميص.

ثانياً: الْقَلْبُ

الْقَلْبُ اصْطِلاحاً:

فكما انْشَغَلَ الباحثون في مسائل الاشتقاق، بسطوا القول أيضاً في مسألة القلــب. وتــداخل البابان حيناً في كلامهم حتى التأما وكأنهما باب واحد، لا سبيل إلى ميز بعضه من بعض. وهكذا مثلوا بــ(جذب وجبذ) للاشتقاق الكبير حيناً، وللقلب حيناً آخر بل أتوا به مثالاً لما جاء على هيئة المقلوب وليس بالمقلوب. فقد ذهب سعيد الأفغاني[١]، إلى نحو من ذلك، فجعــل (جــذب وجبــذ) اللذين أوردتهما سابقاً، مثالاً للاشتقاق الكبير. ونحا الأستاذ عبد الله أمين[٢] هذا النحو في كتابــه، فوحَّد بين المصطلحين في التعريف، وقد أسمى الاشتقاق الكبير بالقلب الاشــتقاقي، ومثــل لــه بــ(جذب وجبذ) و(شجه وجشه).

أراد الأئمة بالقلب غير ما راموه بالاشتقاق الكبير. فأمثلة القلب توحي بأن العرب قد عنوا ألفاظاً بعينها، فتحركت ألسنتهم بما يجاورها نطقاً، فلم يخالفوا بين ما نطقوا به وما عنــوه مــن الألفاظ في الحروف، لكنهم خالفوا في مواقع هذه الحروف بعضها من بعض. مثال ذلك قــولهم: (أيسَ)، وقد عنُوا به (يَئِسَ) بمعنى قَنَطَ. وقولهم (أشَافَ) وقد عنوا به (أشْفَى) بمعنــى أشْــرَفَ. وقولهم (دَهْدَهْتُ الشيء) إذا حَدَرتَهُ وقد أرادوا به (هَدْهَدْتُ الشيَء). وقولهم (أمْضَحَلّ الــشيء) قصدوا به (اضْمَحَلّ) إذا انحلّ، و(اكْرَهَفّ) قصدُوا به (اكْفَهَرّ) إذا عَبَسَ، وهكذا ... .

وهم لم يؤصلوا ما ازدحمت أحرفه على ألسنتهم فنطقوا به على هذا الوجه، فإذا طلبت في المعاجم (أيسَ) عدت إلى (يَئِسَ)، أو طلبتَ (أشَافَ) عدت إلى (أشْفَى) وهكــذا البــاقي غالبــاً. وأسموا (أيسَ) هذا مقلوباً و(يَئسَ) مقلوباً عنه. وهم تصرفوا في المقلوب غالباً لكنهم حدّوا هــذا التصرف فلم يتخذوا للأفعال المقلوبة مصادر من جنسها لانتفاء موادها. فقالوا (أيسَ يَأْسَاً) ولــم يقولوا (أيسَ أيْسَاً). جاء في صحيح البخاري:

---

[١] الأفغاني، سعيد، **في أصول النحو**، ط٣، جامعة دمشق، ١٣٨٣هـ ــ ١٩٦٤م، ص١٣١.

٢ أمين، عبدالله، **الاشتقاق**، ط١، مكتبة القاهرة الحديثة، مصر، ١٣٧٦هـ ــ ١٩٥٦م، ص ٢، ١٥٤.

ـ ... فلما رأى هرقل نفرتهم، **وأيس** من الإيمان، قال: ردوهم عليّ، وقال: إني قلت مقالتي آنفا، أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت، فسجدوا له، ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل...[1].

فأيس هنا جرى فيها قلب الياء بالهمزة، فأصلها: يئس، وتعني أيس كما وردت في الحديث: قنط وانقطع أمله عنهم. وأما (يئس) فكما جاء في حديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

ـ ... قال حذيفة سمعت رسول الله يقول: "إن رجلاً حضره الموت، فلما **يئس** من الحياة، أوصى أهله: إذا أنا مت، فاجمعوا لي حطبا كثيرا، وأوقدوا فيه نارا. حتى إذا أكلت لحمي، وخلصت، إلى عظمي، فامتحشت فخذوها، فاطحنوها، ثم انظروا يوما راحا فاذروه في اليم. ففعلوا، فجمعه الله فقال له: لم فعلت ذلك ؟ قال من خشيتك، فغفر الله له ...[2]. فأصل يئس الواردة في الحديث (أيس)، وتعني انقطع أمله من الحياة.

وكذلك الأمر مع كل من (دهده) المنقلبة عن (هدهد)، فقد جاء في الحديث الشريف:
ـ حدثنا سمرة بن جندب ــ رضي الله عنه ــ قال: كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ –يعني– مما يكثر أن يقول لأصحابه: "هل رأى أحد منكم من رؤيا". قال: فيقص عليه من شاء الله أن يقص، وإنه قال ذات غداة: "إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي: انطلق. وإني انطلقت معهما، وإنا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه، فيثلغ رأسه، **فيتدهده** الحجر ها هنا، فيتبع الحجر فيأخذه، فلا يرجع إليه، حتى يصحّ رأسه كما كان، ثم يعود فيفعل به مثل ما فعل به في المرة الأولى ...[3].
(فيتدهده): ينحط من علو إلى أسفل وفي رواية (فيتدأدأ) أي يتدحرج. وهي مقلوبة من (هدهد).

فالمقلوب والمقلوب عنه لفظان ترادفا معنى واتحدت حروفهما ولكن اختلف ترتيبها. ومن ثم كان القلب غير الاشتقاق الكبير. إذْ إنّ الثاني ليس فيه وحدة في المعنى بين تقليب وتقليب ولو

---

[1] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص٧، حديث رقم٧، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[2] **نفسه**، ج٣، ص١٢٧٢، حديث رقم٣٢٦٦، باب ما ذُكر عن بني إسرائيل.

[3] **نفسه**، ج٦، ص٢٥٨٣، حديث رقم٦٦٤٠، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح.

كان بينهما جامع، وإنما يتغير المعنى بتغير مواقع الحروف. وكل تقليب هو أصـل منـصوص عليه نحو (كلم وملك وكمل) عدا ما كان منه مهملاً. وليس للمقلوب (كأيس) أصـل منـصوص عليه، وإنما هو محمول على ما اعتدّوه أصلاً له وهو (يَئِسَ).

ولا بد من التنبيه على أن القلب قد جاء على غير الأصل. ذلك أن الأصل فيمـا اختلفـت مواقع حروفه، كما اتضح في الاشتقاق الأكبر، أن يختلف معناه خلافاً للمقلوب. وإذا اتفق فـي اللغة أن يقع الترادف بين لفظين اختلفت حروفها، أو اتفقت حروفهما وتغير ترتيبها. فليس هـذا هو الأصل والغالب.

قال ابن جني: "ومن المقلوب، قولهم: امضَحَلّ، وهو مقلوب عن اضـمحلَّ. ألا تـرى أن المصدر إنما هو على اضمحلّ، وهو الاضمحلال، ولا يقولون: امضِحلال. وكذلك قولهم: اكفهرّ واكرهفّ الثاني مقلوب عن الأوّل؛ لأن التصرّف (على أكفهرّ وقع) ومصدره الاكفِهـرار ولـم يمرر بنا الاكرهفاف"[1]. فإذا تصرف اللفظان تصرفاً واحداً فقد قضوا بأنهما أصـلان، ولـيس أحدهما مقلوباً عن الآخر، وهو ما عنيناه بقولنا: إنه جاء على هيئة المقلوب وليس هو بالمقلوب.

قال ابن جني: "فمما تركيباه أصلان لا قلب فيهما قولهم جذب وجبذ، وليس أحدهما مقلوبـاً عن صاحبه، وذلك أنهما جميعاً يتصرفان تصرفاً واحداً نحو: جذب يجذب جذباً فهـو جـاذب، والمفعول مجذوب. وجبذ يجبذ جبذاً فهو جابذ والمفعول مجبوذ" وأردف: " فإن جعلت مع هـذا أحدهما أصلا لصاحبه، فسد ذلك؛ لأنك لو فعلته، لم يكن أحدهما أسعد بهذه الحال مـن الآخـر. فإذا وقفتِ الحالُ بينهما ولم يُؤثِر بالمِزيَّة أحدهما، وجب أن يتوازيا، وأن يَمْثُلا بصفحتيهما معا"[2].

وجاء في هامش الصحاح: "وأما ما يسميه الكوفيون نحو جبذ وجذب فليس هو بقلب عنـد البصريين، وإنما هو لغتان. وقال السخاوي في شرح المفصل: إذا قلبوا لم يجعلوا للفرع مصدراً لئلا يلتبس نحو يئس يأساً وأيس مقلوب منه، ولا مصدر له، وإذا وجد المصدران حكم النحويون

---

[1] ابن جني، **الخصائص**، ج٢، ص٧٣.

٢ **نفسه**، ج٢، ص٧٠.

بأن كل واحد من الفعلين أصل، وليس مقلوباً عن الآخر نحو جبذ وجذب. وأهل اللغة يقولون إن ذلك كله مقلوب"[١].

ولهذا فمصطلح (الاشتقاق الكبير) في مؤداه لديهم كمصطلح القلب. وأظهر دليل على ذلك أن ابن جني وهو مبتدع (الاشتقاق الكبير) بلا نزاع، قد أفرد في الخصائص باباً للقلب فجعل عنوانه (في الأصلين يتقاربان في التركيب بالتقديم والتأخير). ومثل فيه بـ(جذب وَجبذ) ووازن بينه وبين (يئس وأيس) وسواه، ولم يشر في ذلك إلى شيء مما عقد عليه الكلام حول ما أسماه (الاشتقاق الأكبر). وكذلك فعل في كتاب سر صناعة الإعراب[٢]. فقد أتى بـ (آن وأنى) وذهب إلى احتمال أن يكون من أمثلة القلب أو مما جاء على هيئته، ولم يلمح إلى شيء مما يتصل بالاشتقاق الكبير. وهو قد خصّ هذا الاشتقاق في الخصائص[٣] بباب مثل فيه بـ(سلم) وتقاليبه الستة، وصنع مثل هذا في (كلم) و(قول) و(جبر) و(قسو) وتقاليب كل منها، ولم يتطرق إلى شيء مما جاء به في القلب في (باب الأصلين يتقاربان في التركيب بالتقديم والتأخير) من قريب أو بعيد. أفليس يدل الفصل بين (القلب) و(الاشتقاق الكبير) عند ابن جني، وإفراد كل ببحث وباب على حدة، كما رأيت، على أن بينهما من التغاير ما يوجب ميز أحدهما من صاحبه وتعرّف حال كل منهما واستبانة وجهه؟

واستدلوا على القلب بوحدة المعنى وتغيير مواضع الحروف. قال الزجاجي في شرح أدب الكاتب على ما جاء في المزهر: "ذكر بعض أهل اللغة أن الجاه مقلوب من الوجه واستدل على ذلك بقولهم وجه الرجل فهو وجيه إذا كان ذا جاه، ففصلوا بين الجاه والوجه بالقلب"[٤].

---

[١] الرازي، **مختار الصحاح**، ج٢، ص٤٨٨، ٤٨٩، فصل الجيم.

[٢] ابن جني، أبو الفتح عثمان، **سر صناعة الإعراب**، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ١٩٨٥م، ط١، ج١، ص٢١٩.

[٣] ابن جني، **الخصائص**، ج١، ص٥٢٥.

[٤] السيوطي، **المزهر**، ج٢، ص٢٢٤.

الْمَبْحَثُ الرَّابِعُ: التَّوَسُّعُ لِتَعَدُّدِ مَعَانِي الْحُرُوفِ

الحروف كلها مبنية، بعضها مفردة؛ تتكوّن من حرف واحد. والآخر مركّب؛ منه الثنـــائي، والثلاثي، والرباعي، والخماسي. وهي التي تسمى بحروف المعاني، وأما حروف الهجاء فيقـــال لها حروف المباني.

فالحروف المفردة أو الأحاديّة، مثل: الهمزة، والألف، والباء، والسين، والكـــاف، والـــلام، والميم، والنون، والهاء، وغيرها ... بينما جاءت الحروف المركبة على النحو الآتي:

- الثنائيّة، على نحو: أل، أم، أي، بل، كي، يا، وغيرها ...
- الثلاثية، على نحو: أجل، وإذن، وإلى، وثمّ، وخلا، وربّ، وعدا، وليت، وغيرها ...
- الرباعية، على نحو: إلاّ، وأمّا، وإمّا، وكأنّ، وكلا، ولعلّ، ولولا، ولوما، وغيرها ...
- الخماسية: فلم يأتِ منها إلاّ: لكنَّ.

واشتركت هذه الحروف على اختلاف عدد حروفها بالمعنى، فقد أدّت كـــل طائفـــة معنـــىً خاصاً بها، أو عملاً تنتسب إليه، فعلى سبيل الذكر، نورد منها:

- أحرف الجواب، على نحو: لا، ونعم، وبلى، وكلا، وأجل.
- أحرف النفي، على نحو: لم، ولمّا، ولن، وما، ولا، ولات ...
- أحرف الشرط، على نحو: إنّ، وإنّما، ولو، ولولا، ولوما، وأمّا، وإذا ...
- أحرف التحضيض، على نحو: ألا، وألاّ، وهلاّ، ولولا، ولوما ...
- الأحرف المصدريّة، على نحو: إنّ، وأنّ، وكي، ولو ...
- أحرف الاستقبال، على نحو: السين، وسوف، وأنْ، وإنْ، ولن، وهل ...
- أحرف التنبيه، على نحو: ألا، وإمّا، ويا ...
- أحرف التوكيد، على نحو: إنّ، وأنّ، والنون، ولام الابتداء، وقـــد، ونونـــا التوكيـــد الثقيلـــة والخفيفـــة ...
- حروف الجر، على نحو: منْ، وإلى، وعن، وفي، وعلى، والباء، واللام، والكاف ...
- حروف العطف، على نحو: الواو، وأو، وثمّ، والفاء، وبل ...
- حروف النداء، على نحو: يا، والهمزة، وأيا، وهيا، وأي ...

- حروف نواصب الفعل المضارع، على نحو: أنْ، ولن، وكـــي، وإذنْ، ولام التعليـــل، وفـــاء السببية ...
- حروف جوازم الفعل المضارع، على نحو: لم، ولمّا، ولام الأمر، ولا الناهية، وأدوات الشرط الجازمة ...

كذلك تنقسم هذه الحروف إلى عاملة كإنّ وأخواتها، وغير عاملة، كأحرف الجواب. وتنقسم هذه أيضاً إلى مختصة بالأفعال، كأحرف التحضيض، وأخرى مختصة بالأسماء كحروف الجر، وأخرى مشتركة بين الأسماء والأفعال، مثل: ما، ولا النافيتين، والواو والفاء العاطفتين.

والمتتبع لحروف المعاني يجد أنّ لها أهمية كبرى في تحديد المعنى وتوجيهه، إضافةً إلى الاتساع الكبير في معاني اللغة الناشئ عن تعدد استخداماتها من ناحيـــة، وتعـــدد الآراء تجـــاه معانيها من ناحية أخرى.

وسأورد تطبيقاً على بعض الأمثلة لبعض هذه الحروف من أحاديث صحيح البخاري للتأكيد على دورها البارز في اتساع مفردات اللغة وتعدد معانيها:

١. نُونَا التَّوْكيد الثَّقِيلة وَالخَفِيفة:

وهذان الحرفان من حروف التوكيد، وهما يتصلان بآخر بالفعل المضارع، ويعملان علـــى تأكيد المعنى وتقويته، وتأكيد معنى الاستقبال في الفعل، وإظهار عزم المتكلم على إتيان الفعـــل بلا تردد، وتخليص المضارع للزمن المستقبل، وتقوية الاستقبال في الأمر، كما أنّهما يعمـــلان على تحويل الفعل المضارع إلى البناء بعد ما كان معرباً في أغلب الأحيان.

وقد عدّ النحاة[١] التوكيد بنون التوكيد الثقيلة أشدّ من الخفيفة، وفي ذلك يقول سيبويه: "فـــإذا جئت بالخفيفة فأنت مؤكد، وإذا جئت بالثقيلة فأنت أشدّ توكيدًا"[١] .

---

[١] المالقي، أحمد عبد النور (ت٧٠٢هـــ)، **رصف المباني في شرح حروف المعاني**، ط٢، تحقيق: أحمد محمـــد الخراط، دار القلم، دمشق، ١٤٠٥هـــ ـــ ١٩٨٥م، ص٣٩٩؛ وَابن يعيش، موفق الدين بن علي (ت٦٤٣هـــــ)، **شرح المفصل**، ج٩، عالم الكتب، بيروت، (د. ت)، ص٣٧.

وقد ذهب ابن يعيش إلى أنَّ: (اضْرِبُنْ)، بمنزلة قولك: (اضربوا كلكم)، إذ جاءت هنا لتأكيد معنى الاستقبال لا معنى الجمع في الضمير. وقولك: (اضْرِبُنَّ)، بمنزلة قولك: (اضْرِبُوا كُلُّكُم أجمعون)[٢].

وأكّد الزركشي (ت ٧٤٤هـ) أنّ التوكيد بالنون الثقيلة "بمنزلة ذكر الفعل ثلاث مرات"، والتوكيد بالخفيفة بمنزلة ذكر الفعل مرتين، "وهذان النونان لتأكيد الفعل في مقابلة تأكيد الاسم بإنّ واللام"[٣].

ومن الأمثلة الواردة في صحيح البخاري:

ـ يقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "ما بال قوم يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم"، فاشتدّ قوله في ذلك، حتى قال: "لَيَنْتَهُنَّ عن ذلك أو لَتُخْطَفَنَّ أبصارهم"[٤].

ففي هذا الحديث نهي أكيد ووعيد شديد لأمر جعله بعض العلماء حراماً، كما جزم به ابن حزم حتى قال: "تفسد صلاته، ولكنّ الإجماع انعقد على كراهيته في الصلاة"[٥]. لذلك يشير النبي ـ عليه السلام ـ إلى الحرص الشديد الذي يجب على المسلم أن يلتزم به عند إقامته الصلاة، وأن يتجه إلى الله بكل جوارحه، وأحاسيسه، فنجده ينهى أن ترتفع الأبصار إلى السماء في أثناء الصلاة بجملة هادئة، ليس فيها ذلك الوعيد بقوله: "ما بال قوم يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم"، وعندما ازداد غضبه من هؤلاء، خاطبهم بأسلوب آخر يتفق مع مقام الغضب، بقوله: "لينتهنَّ عن ذلك أو لتخطفنَّ أبصارهم" فهو أمر على قدر من الأهمية يدعو النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الابتعاد عنه والتزام السكينة في الصلاة.

---

[١] سيبويه، **الكتاب**، ج٣، ص٥٦٨.

[٢] ابن يعيش، **شرح المفصّل**، ج٩، ص٣٧.

[٣] ولم يقع في القرآن التأكيد بالخفيفة إلا في موضعين: "**وليكونا من الصاغرين**"، وقوله تعالى: "**لنسفعا بالنّاصية**". ولما لم يتجاوز الثلاثة في تأكيد الأسماء، فكذلك لم يتجاوزها في تأكيد الأفعال. قال تعالى: "**فمهِّل الكافرين أمهلهم رويداً**". لم يزد على ثلاثة مهل وأمهل ورويداً. كلها بمعنىً واحدٍ. وهن فعلان واسم فعل؛ يُنظَر: الزركشي، بدر الدين (ت٤٣٧هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، بيروت، دار الجيل، ج٢، ص٤٢٠.

٤ البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص٢٦١، حديث رقم٧١٧، باب: رفع البصر إلى السماء في الصلاة.

٥ العيني، **عمدة القاري**، ج٥، ص٣٠٥.

ومن ذلك قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "لا **يقضينَّ** حكم بين اثنين وهو غضبان"[١]، فكلام رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إضافةً إلى كونه حكمًا دينيًا، فهو وثيقة نفسية، تكشف عن أسرار النفس البشرية، فالنبي ــ عليه السلام ــ يقدم لنا في هذا الحديث أمراً يجب على كل مسلم أنْ يتبعه؛ لأنّ في ذلك مصلحة له ولغيره، فالغضبان لا يمكن أنْ يؤدي حكمه بصورة صحيحة؛ وذلك لانشغال فكره وعدم صفاء ذهنه، ولما في ذلك من مضرة لعدالة الإسلام، ولذلك نجده ــ صلى الله عليه وسلم ــ ينهى عن إعطاء الحكم في حالة الغضب، باستخدامه النهي الشديد بأسلوب التوكيد للفعل بنون التوكيد الثقيلة.

ومن خلال البحث في الأفعال التي وردت مؤكدة بالنون في أحاديث البخاري يجد الباحث شيوع هذا الأسلوب من التوكيد بشكل كبير في الأفعال المضارعة، بينما الفعل الماضي لم يرد مؤكداً بالنون في الأحاديث النبوية، أما فعل الأمر، فلم يرد مؤكداً بالنون إلاّ مرة واحدة، في قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن البراء رضي الله عنه قال: رأيت النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوم الخندق ــ وهو ينقل التراب ــ حتى وارى التراب شعر صدره، وكان رجلا كثير الشعر، وهو يرتجز برجز عبد الله بن رواحة:

"تَاللهِ لَوْلا اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا　　وَلا تَصَدَّقْنَا وَلا صَلَّيْنَا

<u>وَأَنْزِلَنْ</u> سَكِينَةً عَلَيْنَا　　وَنَحْنُ عَنْ فَضْلِكَ مَا اسْتَغْنَيْنَا

إِنَّ الأعْدَاءَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا　　إِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا"[٢]

يرفع بها صوته[٣].

فنلاحظ أنّ الفعل (أنزل) ورد مؤكداً بنون التوكيد الخفيفة. أمّا الفعل المضارع فإنّه لم يرد مؤكداً بنون التوكيد الخفيفة، وإنما ورد مؤكداً بنون التوكيد الثقيلة في نوعين اثنين:

النَّوْعُ الأوَّلُ: نوع ورد فيه الفعل المضارع مؤكداً تأكيداً واجباً؛ لأنه واقع جواب قسم، ومن ذلك: عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: "**<u>ليأتينَّ</u>** على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال أمن حلال أم من حرام"[١].

---

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٦، ص٢٦١٦، حديث رقم: ٦٧٣٩، باب من رأى للقاضي أن يحكم بعلمه في أمر الناس إذا لم يخف الظنون والتهمة.

[٢] رواحة، عبدالله، ديوان عبدالله بن رواحة، ودراسة في سيرته وشعره، ط١، تحقيق ودراسة: وليد قصّاب، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤٠١هـ– ١٩٨١م، ص١٣٩، ١٤٠.

[٣] **نفسه**، ج٣، ص١١٠٣، حديث رقم٢٨٧٠، باب الرجز في الحرب، ورفع الصوت في حفر الخندق.

فقد ورد الفعل (يأتي) مؤكداً بنون التوكيد الثقيلة تأكيداً واجباً؛ لأنه واقع جواب قسم مقدّر.
وكذلك قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "عن محمد بن زياد، سمعت أبا هريرة ــ رضي الله عنه ــ يحدّث عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: "والذي نفسي بيده، لأذودن رجالا عن حوضي، كما تذاد الغريبة من الإبل عن الحوض"[٢].

ــ وقوله: "عن سهل بن سعد ــ رضي الله عنه ــ : عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: "ليدخلنَّ من أمتي سبعون ألفا، أو سبعمائة ألف؛ لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم. وجوههم على صورة القمر ليلة البدر"[٣].

ــ وقوله، أيضاً: **عن أبي قيس، عن هزيل، قال:** قال عبد الله: **لأقضينَّ** فيها بقضاء النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ للابنة النصف، ولابنة الابن السدس وما بقي فللأخت"[٤].

فالملاحظ من الأفعال السابقة أنها وردت مؤكدة بنون التوكيد الثقيلة تأكيداً واجباً؛ لأنّها واقعة جواب قسم ظاهر أو مقدّر.

النَّوْعُ الثَّانِي: الفعل المضارع المؤكد بنون التوكيد الثقيلة تأكيداً جائزاً، والواقع بعد أداة النهي (لا) ومن ذلك قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "إذا دعا أحدكم، فليعزم المسألة. ولا يقولنَّ: اللهم إن شئت فأعطني، فإنه لا مستكره له"[٥].

---

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٢، ص٧٣٣، حديث رقم١٩٧٧، باب قوله تعالى: "**يا أيَّها الذين آمنوا لا تأكلوا الرِّبا أضعافاً مضاعفة**".

[٢] **نفسه**، ج٢، ص١١٦٨، حديث رقم٢٢٣٩، باب من رأى أنّ صاحب الحوض والقربة أحقّ بمائه.

[٣] **نفسه**، ج٣، ص٨٣٤، حديث رقم٣٠٧٥، باب ما جاء في صفة الجنة.

[٤] **نفسه**، ج٦، ص٤٧٩، حديث رقم٦٣٦١، باب ميراث الأخوات مع البنات.

[٥] **نفسه**، ج٥، ص٢٣٣٤، ،حديث رقم ٥٩٧٩ باب ليعزم المسألة فإنّه لا مكره له.

ــ "لا يتمنينَّ أحدكم الموت من ضر أصابه، فإنْ كان لا بدّ فاعلاً، فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي"[١].

فالأفعال المضارعة السابقة وردت مؤكدة بنون التوكيد الثقيلة. وهذا التأكيد تأكيد جائز؛ ذلك أنّها واقعة بعد أداة نهي تفيد الطلب.

ثانِياً. الْحَرْفُ قَدْ: وَهُوَ على نوعَيْن:

١. يأتي بمعنى حَسْب، نحو: قدني، بمعنى حسبي، أو اسم فعل بمعنى (كفى)٢.
٢. قد الحرفيّة. وهي حرف تنفيس ٣ "مختص بالفعل المتصرف الخبري المثبت المجرد من جازم وناصب وحرف تنفيس، وهي معه كالجزء فلا تفصل منه بشيء، اللهم إلا بالقسم"٤ ، وقد عدّ النحاة هذا الحرف أحد أجزاء الفعل[٥]، فلا يذكر بعده إلا الفعل مظهراً، ودخول هذا الحرف على الجملة الماضية غالباً ما يفيد التوكيد والتثبيت، ولذلك شبهه بعض النحاة بإنَّ في الجملة الاسمية، فهو يفيد ما تفيده (إنّ)؛ لتوكيد مضمون الجملة الاسمية[٦]. وقد أشار الزركشي إلى إفادته التوكيد بقوله: "وأمّا مؤكّدات الجملة الفعليّة فأنواع، أحدها: (قد) فإنّها حرف تحقيق، وهو معنى التوكيد، من ذلك قوله تعالى: "ومن يعتصم بالله فقد هُديَ إلى صراط مستقيم"[٧]، ومعناه حصل له الهدى لا محالة"[٨].

---

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٥، ص٢١٤٦، حديث رقم ٥٣٤٧، باب نهي تمني المريض الموت.

[٢] ابن هشام، **مغني اللبيب**، ج١، ص١٥١.

[٣] المرادي، الحسن بن قاسم (ت٧٤٩هـ)، **الجنى الداني في حروف المعاني**، ط١، تحقيق: فخر الدين قباوة وَمحمد نديم فاضل، المكتبة العربية، حلب، ١٣٩٣هـ ــ ١٩٧٣م، ص٢٥٤.

[٤] ابن هشام، **مغني اللبيب**، ج١، ص٢٢٦.

[٥] ابن يعيش، **شرح المفصل**، ص١٤٨؛ وَالرماني، **معاني الحروف**، تحقيق:عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر، ص٩٨.

[٦] السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن، **الإتقان في علوم القرآن**، ط١، ج١، بيروت، دار الكتب العلمية، (د. ت)، ص٥٢٩؛ وَابن هشام، **مغني اللبيب**، ج١، ص٢٣١.

[٧] **آل عمران**، آية ١١٠.

[٨] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج٢، ص٤١٧.

ومن الأمثلة قوله: "منْ ترك صلاة العصر **فقد** حبط عمله"[١].

فقد جاء على لسان رسولنا الكريم ــ عليه الصلاة والسلام ــ أنّ المحافظة على هذه الصلوات في أوقاتها من أحبّ الأعمال إلى الله عزّ وجل، وقد خصّ الله بعض الصلوات بعناية كبيرة لا لتميزها عن غيرها، وإنما لثقلها على نفس المسلم، ولأنها في أغلب الأحيان تكون وقت راحة للمسلم، ونظراً لذلك فقد أولى الرسول الكريم صلاة العصر أهمية بالغة، إذّ لم يكتف بالتهديد (حبط عمله) وإنما زاد على ذلك حرف التحقيق (قد)؛ ليدل دلالة واضحة على تميز هذه الصلاة.

وإذا أراد المتكلم زيادة توكيده للجملة الفعلية فإنه يدخل على (قد) أداة التوكيد (اللام الموطئة للقسم) فيعطي المعنى توكيداً أشد، ومثال ذلك في التنزيل: "لقد سمع الله قول الذين قالوا إنّ الله فقير ونحن أغنياء"[٢].

وبتتبع أحاديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في صحيح البخاري، نجد أنّ (قد) وردت بأنماط متعددة، فجاءت مجردة من الواو أو الفاء أو اللام، كما في قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "فإن الله قد حرم على النار، من قال: "لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله"[٣].

وجاءت مجردة من الواو والفاء: عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقالت: يا رسول الله، إني **قد** وهبت لك من نفسي. فقال رجل: "زوجنيها. قال: " **قد** زوجناكها بما معك من القرآن"[٤]. فقد وردت (قد) هنا تؤكد أمر الزواج؛ ذلك أنّ السائل كان غيرَمتوقعٍ الموافقة.

ــ ومن الأمثلة أيضاً عن زينب بنت جحش ــ رضي الله عنها ــ أنها قالت: استيقظ النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ من النوم محمرا وجهه، يقول: "لا إله إلا الله. ويل للعرب من شر **قد** اقترب "[٥].

---

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص٢٠٣، حديث رقم ٥٢٨، باب إثم من ترك العصر.

[٢] **آل عمران**، آية١٨١.

[٣] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص١٦٤، حديث رقم ٤١٥، باب المساجد في البيوت.

[٤] **نفسه**، ج٢، ص٨١١، حديث رقم ٢١٨٦، باب وكالة المرأة الإمام في النكاح.

[٥] **نفسه**، ج٦، ص٢٥٨٩، حديث رقم ٦٦٥٠، باب ويل للعرب من شر قد اقترب.

اقْتِرَانُ (قَدْ) بِالْوَاوِ الْحَالِيَّةِ:

وقد وردت قد هنا في أحاديث قليلة. من ذلك قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن عائشة أم المؤمنين ــ رضي الله عنها ــ أن الحارث بن هشام ــ رضي الله عنه ــ سأل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس ــ وهو أشده علي ــ فيفصم عني **وقد** وعيت عنه ما قال. وأحيانا يتمثل لي الملك رجلاً، فيكلمني، فأعي ما يقول"[١].

ــ ومن أمثلة اقترانها بالواو الحالية، قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "أوصيكم بالأنصار؛ فإنهم كرشي، وعيبتي. وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم"[٢].

اقْتِرَانُ قَدْ بِالْفَاءِ الْوَاقِعَةِ فِي جَوَابِ الشَّرْطِ:

وقد وردت هنا في أحاديث كثيرة، نذكر منها: قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "أمرت أن أقاتل الناس، حتى يقولوا: لا إله إلا الله. فإذا قالوها، وصلوا صلاتنا، واستقبلوا قبلتنا، وذبحوا ذبيحتنا، **فقد** حرمت علينا دماؤهم، وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله"[٣].

ــ ومن الأمثلة: حدثنا أبو الزناد، أن الأعرج حدثه، أنه سمع أبا هريرة ــ رضي الله عنه ــ : يحدّث: أنه سمع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول: "نحن الآخرون السابقون"، ويقول: "من أطاعني، **فقد** أطاع الله، ومن عصاني، **فقد** عصى الله، ومن يطع الأمير، **فقد** أطاعني، ومن يعص الأمير، **فقد** عصاني، وإنما الإمام جُنَّة، يُقَاتل من ورائه، ويتقى به فإن أمـرَ بتقوى الله وعَدَلَ، فإنَّ له بذلك أجرا، وإن قال بغيره، فإن عليه منه"[٤].

---

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص٤، حديث رقم ٢، باب كيف كان بدء الوحي.

[٢] نفسه، ج٣، ص١٣٨٣٤، حديث رقم٣٥٨٨، باب قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم.

[٣] **نفسه**، ج١، ص١٥٣، حديث رقم ٣٨٥، باب فضل استقبال القبلة.

[٤] **نفسه**، ج٣، ص١٠٨٠، حديث رقم ٢٧٩٧، باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به.

اقْتِرَانُ قدْ باللام:

وقد وردت قد في أحاديث قليلة من ذلك قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : عن أبي هريرة: عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: " **لقــد** هممت أن آمر بالصلاة، فتقام، ثم أخالف إلــى منازل قوم لا يشهدون الصلاة، فأحرق عليهم "[1]. فنلاحظ أنه أُكِّد جواب القسم المحذوف باللام.

اقْتِرَانُ قدْ بالْوَاوِ وَاللام مَعاً:

ورد هذا الاقتران بالواو واللام معًا في صحيح البخاري قليلاً، ومن ذلك قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "فو الله ما علمت من أهلي إلا خيرا. **ولقد** ذكروا رجلا مــا علمــت عليــه إلا خيرا"[2].

ثالِثاً: حَرْفُ (الْبَاءِ):

وهو من الحروف التي تجر الاسم والضمير، ويؤدي معاني عديدة غير الجر. مــن هــذه المعاني التوكيد عندما يجيء مزيداً. يقول ابن جني: "واعلم أنّ هذه الباء قد زيدت في أمــاكن، ومعنى قولي: زيدت، أنها إنما جيء بها توكيداً للكلام ولم تُحْدِثْ معنى"[3]، ويقول الرضي: "فائدة الحرف الزائد في كلام العرب إما معنوية وإما لفظية، فالمعنوية تأكيد المعنى، وأمّا اللفظية فهي تزين اللفظ وكونه بزيادتها أفصح ...، ولا يجوز خلوها من الفوائد اللفظية والمعنوية معاً، وإلاّ لَعُدَّتْ عبثاً. ولا يجوز ذلك في كلام الفصحاء، ولا سيما كلام الباري وأنبيائــه وأئمتــه علــيهم السلام"[4].

وحرف الباء سواء أكان زائداً أم غير زائدٍ، فجانب الاتساع فيه موجود في كــلا الحــالين، فمن الأمثلة على حرف الجر الباء غير الزائد: عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، قال: جــاءت

---

[1] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٢، ص٥٨، حديث رقم ٢٢٨٨، باب إخراج أهل المعاصي والخصوم من البيوت بعد المعرفة.

[2] **نفسه**، ج١٣، ص١٩٤، حديث رقم ٧٣٧٢، باب إذا عدل رجل أحداً، فقال لا نعلم إلا خيراً، أو قال: ما علمت إلا خيرا.

[3] ابن جني، **سر صناعة الإعراب**، ج١، ص١٣٣.

[4] **شرح الرضي على الكافية**، ج٤، ص٤٣٢، ٤٣٣ز

امرأة إلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقالت: يا رسول الله، إني قد وهبت لــك مــن نفسي. فقال رجل: زوجنيها. قال: "قد زوجناكها **بما** معك من القرآن"[١].

لقد وقع خلاف بين العلماء المفسرين في جواز جعل القرآن صداقاً أو لا، فبعــضهم قــال يجوز أن يكون القرآن صداقاً، ومنهم الشافعي، كما ذهب فريق آخر من العلماء إلى أنه لا يجوز أن يكون تعليم القرآن صداقاً، وهو مذهب الإمام أحمد بن حنبل وأبي حنيفة. وما يهمنا هو سبب الاختلاف الذي يعود سببه في الدرجة الأولى إلى معنى حرف الجر (الباء) فهل هو للتعــويض، أم للسببية والتعليل.

يقول ابن حجر: "واستدل به على جواز جعل المنفعة صداقاً، ولو كان تعليم القرآن : "قــال المازري: هذا ينبني على أن الباء للتعويض، كقولك: بعتك ثوبي بدينار. وهذا الظاهر، وإلا لــو كانت بمعنى اللام على معنى تكريمه ــ لكونه حــاملاً للقــرآن ــ لــصارت المــرأة بمعنــى الموهوبة. والموهوبة خاصة بالنبي عليه السلام، وانفصل الأبهري، وقبلــه الطحــاوي، ومــن تبعهما، كأبي محمد بن أبي زيد عن ذلك، بأن هذا خاص بذلك الرجل؛ لكون النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يجوز له نكاح الواهبة، فكذلك يجوز له أن ينكحها لمن شاء بغيــر صــداق ونحوه للداودي. وقال: إنكاحها إياه بغير صداق؛ لأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وقوّاه بعضهم؛ بأنه: لما قال له ملكتكها لم يشاورها، ولا استأذنها. وهذا ضعيف؛ لأنها هي أولا فوضت أمرها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فلذلك لم يحتج إلى مراجعتها في تقدير المهر، وصــارت كمــن قالت لوليها: زوجني بما ترى من قليل الصداق، وكثيره. واحتج لهذا القول بما أخرجه، سعيد بن منصور من مرسل أبي النعمان الأزدي. قال زوَّجَ رسولُ الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ امــرأة على سورة من القرآن، وقال: لا تكون لأحد بعدك مهرا. وهذا مع إرساله فيه مــن لا يعــرف. وأخرج أبو داود من طريق مكحول، قال:" ليس هذا لأحد بعد النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأخرج أبو عوانة من طريق الليث بن سعد نحوه، وقال عياض: "يحتمل قوله (بما معــك مــن القرآن) وجهين: أظهرهما: أن يعلمها ما معه من القرآن، أو مقدارا معينا منــه. ويكــون ذلــك صداقها. وقد جاء هذا التفسير عن مالك، ويؤيده قوله في بعض طرقه الصحيحة. فعلمهــا مــن القرآن كما تقدم وعين في حديث أبي هريرة مقدار ما يعلمها، وهو عشرون آيــة. ويحتمــل أن تكون الباء بمعنى اللام، أي: لأجل ما معك من القرآن، فأكرمه بأن زوجه المرأة بلا مهر؛ لأجل

---

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٢، ص٨١١، ، حديث رقم ٢١٨٦، باب وكالة المرأة الإمام في النكاح.

كونه حافظا للقرآن، أو لبعضه، ونظيره قصة أبي طلحة مع أم سليم وذلك فيما أخرجه النسائي، وصححه من طريق جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس، قال: "خطب أبو طلحة أم سليم فقالت: "والله ما مثلك يرد، ولكنك كافر. وأنا مسلمة، ولا يحل لي أن أتزوجك، فإن تُسلم، فذاك مهري، ولا أسألك غيره، فأسلمَ فكان ذلك مهرها"[١].

والذي يظهر أنّ القول الأول أرجح؛ لأنّ الله أمر بالصداق في كتابه العزيز، ولم يحدده بكثير ولا بقليل، لقوله تعالى: "وآتوا النساء صدقاتهن نحلة"[٢]، كما أنّ السنة النبوية أكدت تبيين الصداق الواجب للمرأة.

ولدى تتبع حرف الباء الزائد في أحاديث البخاري، وجدت أنها وردت زائدة للتوكيد في خبر ليس. وخبر ما المشبهة بليس، وذلك على النحو التالي:

١. **زِيَادَةُ الْبَاءِ فِي خَبَرِ لَيْسَ:** من ذلك قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

ــ عن عائشة، قالت: "جاءت فاطمة بنت أبي حبيش إلى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقالت: يا رسول الله، إني امرأة أُسْتحاضُ[٣]، فلا أطهر، أفأدع الصلاة ؟ فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "لا، إنما ذلك عرق، **وليس بحيض.** فإذا أقبلت حيضتك، فدعي الصلاة وإذا أدبرت، فاغسلي عنك الدم، ثم صلي". قال، وقال أبي: "ثم توضئي لكل صلاة حتى يجيء ذلك الوقت"[٤].

---

[١] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج٩، ص٢١٢.

[٢] **النساء**، آية ٢٥.

[٣] **أستحاضُ:** يستمر بي الدم بعد أيام الحيض.

[٤] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص٩١، حديث رقم ٢٢٦، باب غسل الدم، وورد في صحيح مسلم بلفظ: (لبس بالحيضة)، النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري (ت٦٧٦هـ)، **المنهاج بشرح مسلم بن الحجاج**، ط٢، ج١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ، ص٢٦٢، حديث رقم ٣٣٣، باب المستحاضة وغسلها وصلاتها.

ـــ ومن الأمثلة كذلك، قوله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ : إني أنذركموه. وما من نبي إلا قد أنذره قومه. لقد أنذره نوح قومه، ولكن، سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه؛ تعلمون أنه أعور، وأن الله **ليس بأعور**"[١].

٢. **زِيَادَةُ الْبَاءِ فِي خَبَرِ مَا الْمُشَبَّهَةِ بِلَيْسَ:** من الأمثلة كذلك، قوله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ : "**ما** المسؤول عنها **بأعلم** من السائل"[٢]، فالباء جاءت هنا لتأكيد النفي.

كما جاءت الباء زائدة لتأكيد وتقوية النفي في قوله ـــ صلى الله عليـــه وسلم ـــ : "ما أنـــا بقارئ"[٣]؛ أي ما أحْسِنِ القراءة؛ إذ "التقدير لست بقارئ البتة"[٤] أو أُميّ، لا أحسن قراءة الكتب[٥].

رَابِعاً: كَـــأَنَّ: وهو من حروف المعاني المشبهة بالفعل كغيره من إنّ وأخواته، وهو يفيد التشبيه. ولعل تكراره في حديث واحد غير مرة يعطي دلالة واضحة وتأكيداً في المعنى، كما هو الحـــال في قوله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ : عن أبي هريرة ـــ رضي الله عنه ـــ أن رسول الله، قال: "من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح، **فكأنما** قرّب بدنة[٦]، ومن راح في الساعة الثانية، **فكأنما** قرّب بقرة، ومن راح في الثالثة، **فكأنما** قرّب كبشا أقرن. ومن راح في الساعة الرابعة، **فكأنما** قرّب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة، **فكأنما** قرّب بيضة، فـــإذا خـــرج الإمـــام، حضرت الملائكة يستمعون الذكر" [٧].

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٣، ص١١١٣، حديث رقم ٢٨٩٢، باب كيف يعرض الإسلام على صبي.

[٢] **نفسه**، ج١، ص٢٧، حديث رقم ٥٠٢، باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان وَالإسلام وَالإحسان وَعلم الساعة.

[٣] **نفسه**، ج٤، ص١٨٩٤، حديث رقم ٤٦٧، باب تفسير سورة العلق.

[٤] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج١، ص٢٤.

[٥] **نفسه**، ج١٢، ص٣٥٧.

[٦] **بدنة**: ناقة.

[٧] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص٣٠١، حديث رقم ٨٤١، باب فضل الجمعة.

ففضل صلاة الجمعة لا يساويه فضل صلاة أخرى، لذلك أجاز الإسلام للمسلم الصلاة في بيته بقية الصلوات، لكنه لم يجز له ذلك في صلاة الجمعة.

وأوجب هذه الصلاة أن تكون مع الجماعة. وكلما حضر المصلي مبكراً كان أجره وثوابه أعظم، فهذه التشبيهات المتتابعة من النبي ــ عليه السلام ــ باستخدام أداة التشبيه (كأنّ)؛ للدلالة على قيمة الأجــر، ولحثّ المسلم على أنْ يبكّر المجيء إلى صلاة الجمعة خاصة.

الْفَصْلُ الثَّانِي

الفصل الثاني

التَّوَسُّعُ لأَسْبَابٍ بَلاغِيَّةٍ

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ: التَّوَسُّعُ فِي الإِنْشَاءِ الطَّلَبِيِّ

الْمَبْحَثُ الثَّانِي: التَّوَسُّعُ فِي الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ: التَّوَسُّعُ فِي التَّضْمِينِ

الْمَبْحَثُ الرَّابِعُ: التَّوَسُّعُ فِي الْحَذْفِ

الْمَبْحَثُ الأوَّلُ: التَّوَسُّعُ فِي الإنْشَاءِ الطَّلَبِيِّ

الخبر والإنشاء هما ركنا علم المعاني الذي يعدّ أحد علوم البلاغة الثلاثة: (البيان وَالمعاني وَالبديع)، فقد أصبح علم المعاني علماً مستقلاً له موضوعاته وتفريعاته بعد أن كان في العصور المتقدمة يندرج تحت مسمى علم البلاغة، فكتب المتقدمين تختلط فيها الموضوعات، في حين نجد أنّ علم المعاني عند المتأخرين من العلماء، أمثال: عبد القاهر الجرجاني(٤٧١هـ) قد فصل بين علوم البيان والبديع والمعاني، فقد وضع علم المعاني في كتابه (دلائل الإعجاز)، وَعلم البيان في كتابه (أسرار البلاغة)، كما وضع ابن المعتز من قبله أساس علم البديع[١].

واستخدم السكاكي (ت٦٢٦هـ) مصطلح علم المعاني للدلالة على مباحث بلاغية بعينها؛ فقد سارت دراسة البلاغة قبل السكاكي على منهاج عدم الفصل بين فنونها، "فقد كان لهذا المنهاج أثره وقيمته في إيقاظ المواهب، وإرهاف الملكات الفنية لصناعة الأدب، وإقدار أصحابها على التذوق الأدبي، والتمييز من جيد الكلام ورديئه"[٢].

وإذا كان السكاكي أول من قنّنَ لمصطلح علم المعاني، فهو أيضاً أوّل منْ قسّم مباحثه تقسيماً يختلف عما ألفناه سابقاً، إذّ حدّد لهذا العلم ثمانية أبواب[٣]، ومنها موضوع الإنشاء الطلبي الذي يندرج تحته[٤]:

- مقدمة عن الطلب مستمدة من كلام المناطقة عن التصور والتصديق وما يحصل في الذهن وما يحصل في الخارج.
- أنواع الطلب الخمسة: التمني، والاستفهام، والأمر، والنهي، والنداء، وأدوات كل منها، ووظائفها.

---

[١] ينظر: عتيق، عبد العزيز، **علم المعاني**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٥هـ ـ١٩٨٥م، ص٢٥.

[٢] **نفسه**، ص٢٥.

[٣] هي: ١- أحوال الإسناد الخبري. ٢-أحوال المسند إليه. ٣- أحوال المسند. ٤- أحوال متعلقات الفعل. ٥- القصر. ٦- الإنشاء أو الطلب. ٧- القصل والوصل. ٨-الإيجاز والإطناب؛ ينظر: مطلوب، أحمد، **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، ج٣، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، ص٢٧٩.

[٤] عتيق، **علم المعاني**، ص٣٠.

– الأغراض البلاغية أو المعاني الإضافية التي يخرج الطلب عن معانيه الأصلية من أجل الدلالة عليها، وذلك مثل التعجب، والإنكار، والاستبطاء والنفي.

والأسلوب الإنشائي: هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، أو هو الذي لا يتضمن إثباتاً أو نفياً[١].

وعقد أحمد بن فارس في كتابه الصاحبي باباً أسماه: (معاني الكلام) ذكر فيه أنّ المعاني عند بعض أهل العلم عشرة: خبر واستخبار وأمر ونهي ودعاء وطلب وعرض وتحضيض وتمن وتعجب[٢].

وينقسم الإنشاء إلى قسمين: طلبي وغير طلبي. فالطلبي: هو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، فإنْ استعمل الإنشاء الطلبي لمطلوب حاصل وقت الطلب، امتنع إجراؤه على معناه الحقيقي، وأنواعه هي: الأمر والنهي والاستفهام والتمني. وأمّا الإنشاء غير الطلبي فهو لا يستدعي مطلوباً، ومن أنواعه:

١. صيغ المدح والذم.
٢. التعجب بصيغتيه.
٣. الرجاء بلعلّ وبعسى واخلولق.
٤. القسم.
٥. صيغ العقود، كبعت واشتريت ووهبت.
٦. ربّ.
٧. كم الخبرية.

ولم يهتم البلاغيون بأنواع الإنشاء غير الطلبي؛ لقلة الأغراض البلاغية المتعلقة بها، ولأنّ أكثر هذه الأنواع أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء، وأمّا الإنشاء الطلبي فهو موضوع عناية البلاغيين لما يمتاز به من اللطائف البلاغية الكثيرة، ولما فيه من التوسع البلاغي في

---

[١] طبل، حسن، **علم المعاني**، ط١، مكتبة الإيمان، المنصورة، ١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩م، ص٣٨.

[٢] ينظر: ابن فارس، **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**، ص١٥٠.

المعاني التي تخرج عن معناهـــا الحقيقي، وأهمـــها: ١. الاستفهام. ٢. الأمر. ٣. النهي. ٤. التمني. ٥. النداء.

الاسْتِفْهَامُ:

الاستفهام: هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأدوات خاصة، وتلك الأدوات هي: الهمزة وهل وما، ومتى وأين وكيف وأيان وأنّى وكم وأي. وقد وقف البلاغيون وقفة متأنية أمام هذه الأدوات التي هي أدخل في باب النحو منها في باب البلاغة؛ وذلك لأنها تتعلق بصحة الأسلوب لا بمزاياها الجمالية، فعرضوا لضبط كل أداة من حيث طبيعتها وما يسأل بها عنه، والخصائص التي تميزها عن سواها، وتلك أمور قد أفاض في بحثها النحاة.

وتدور معاني أدوات الاستفهام كلها حول المعنى الحقيقي للاستفهام ــ أي طلب الفهم ــ ولكن كثيراً ما تخرج إلى معان أو دلالات أخرى، لا نشك في أنها من باب التوسع. فمن المعاني التي ذكرها البلاغيون لأسلوب الاستفهام: النفي، والتسوية، والإنكار، والتقرير، والاستبطاء، والتعجب، والتمني، والوعيد، والتنبيه، والتشويق، والتهويل، والتهكم، والاستبعاد، والنهي، والعرض، والتحضيض. ومن المعاني التي وردت في صحيح البخاري:

١. الإنكار: ويشترط فيه إذا كان بالهمزة أن يليها ما يتوجه إليه الإنكار مباشرة. ومن الأمثلة في صحيح البخاري:

ــ عن أبي هريرة: أن سائلا سأل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن الصلاة في ثوب واحد، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "أولكلكم ثوبان"[١].

قوله: (أولِكُلّكم ثوبان) استفهام إنكاري، أي ليس كل واحد منكم يملك ثوبين. وجاء في عمدة القاري: "فإذا كنتم بهذه الصفة، وليس لكل واحد منكم ثوبان، والصلاة واجبة عليكم، فاعلموا أن الصلاة في الثوب الواحد جائزة. وقال القاضي عياض: وقول النبي: (أولكلكم ثوبان)، أويجد ثوبين، صيغته صيغة الاستفهام، ومعناه التقرير والإخبار عن معهود حالهم. وفي ضمنه دليل

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص١٤١، حديث رقم ٣٥١، باب الصلاة في الثوب الواحد ملتحفاً به.

على الرخصة، وتنبيه على أن الثوب أفضل وأتم، وهو المفهوم منه عند أكثر العلماء"[١]. وقد سمّى الفقهاء هذا النوع من الإجابة عن السؤال بأنّه الفتوى عن طريق الفحوى[٢].

ومن الأمثلة في صحيح البخاري: أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني عروة عن أبي حميد الساعدي، أنه أخبره: "أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ استعمل عاملا، فجاءه العامل حين فرغ من عمله، فقال: يا رسول الله، هذا لكم، وهذا أهدي لي. فقال له: "أفلا قعدت في بيت أبيك وأمك، فنظرت، أيهدى لك أم لا ؟! "[٣]، فالاستفهام في هذا الحديث يفيد الاستنكار.

٢. التحقيق: كقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في صحيح البخاري: "أما علمت أن آل محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا يأكلون الصدقة"[٤]. فالاستفهام هنا يفيد التحقيق؛ لأنّ "همزة الاستفهام إذا دخلت على النفي، أفادت التحقيق"[٥].

٣. التنبيه والتشويق: كما في قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "ألا أحدثكم بأمر إن أخذتم به أدركتم من سبقكم، ولم يدرككم أحد بعدكم، وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيه، إلا من عمل مثله ؟ تسبحون، وتحمدون، وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين". فاختلفنا بيننا، فقال بعضنا: نسبح ثلاثا وثلاثين، ونحمد ثلاثا وثلاثين، ونكبر أربعا وثلاثين، فرجعت إليه، فقال: "تقول: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، حتى يكون منهن كلهن ثلاثا وثلاثين"[٦]. فالاستفهام هنا يفيد تنبيه المسلمين إلى ذكر الله عز وجل دبر كل صلاة لما فيه من الأجر العظيم، وتشويقهم إلى ذلك وحثهم عليه.

---

[١] العيني، **عمدة القاري**، ج٤، ص٦٤.

[٢] أبو عودة، عودة خليل، **بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين**، ط٢، دار البشير، عمان، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، ص٧٣.

[٣] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٦، ص٢٤٤٦، حديث رقم ٦٢٦٠، باب كانت يمين النبي عليه السلام.

[٤] **نفسه**، ج٢، ص٥٤١، حديث رقم ١٤١٤، باب أخذ صدقة التمر عند صرام النخل، وهل يترك الصبي فيمس تمر الصدقة.

[٥] ابن هشام، **مغني اللبيب**، ج١، ص٩٦.

[٦] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص٢٨٩، حديث رقم ٨٠٧، باب الذكر بعد الصلاة.

٤. التعجب: كما في قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "إني لأعطي رجالا حديث عهدهم بكفر. أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال، وترجعوا إلى رحالكم برسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ؟ فوالله ما تنقلبون به، خير مما ينقلبون به". قالوا: بلى يا رسول الله، رضينا ..."[١].

٥. الترهيب، كما في قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر". ثلاثا قالوا: بلى يا رسول الله، قال: "الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وجلس، وكان متكئا، فقال: ألا وقول الزور". قال: فما زال يكررها حتى قلنا ليته يسكت[٢].

٦. التوبيخ المشعر بالاستبعاد، كما جاء في البخاري، عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال:

نهى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن الوصال في الصوم، فقال له رجل من المسلمين: إنك تواصل يا رسول الله، قال: "وأيكم مثلي؛ إني أبيت، يطعمني ربي ويسقين". فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال، واصل بهم يوما، ثم يوما، ثم رأوا الهلال، فقال: "لو تأخر، لزدتكم"[٣]، فالخطاب على وجه الزجر لهم والتحذير من التشديد على أنفسهم في دين الله تعالى.

٧. التقرير، ومثاله في صحيح البخاري: عن أبي إسحق، عن أبي عبد الرحمن، أنّ عثمان – رضي الله عنه – حيث حوصر أشرفَ عليهم وقال: أنشدكم الله ولا أنشد إلا أصحاب النبي(ص): ألستم تعلمون أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: "من حفر رومة فله الجنة". فحفرتها. ألستم تعلمون أنه قال: "من جهز جيش العسرة، فله الجنة". فجهزته، قال: فصدقوه بما قال[٤].

---

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٣، ص١١٤٧، حديث رقم ٢٩٧٨، باب ما كان للنبي (ص) يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه.

[٢] **نفسه**، ج٢، ص٩٣٩، حديث رقم ٢٥١١، باب ما قيل في شهادة الزور.

[٣] **نفسه**، ج٢، ص٦٩٤، حديث رقم ١٨٦٤، باب التنكيل لمن أكثر الوصال.

[٤] **نفسه**، ج٣، ص١٠٢١، حديث رقم ٢٦٢٦، باب إذا وقف أرضاً أو بئراً واشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين.

٨. التقريع، كما جاء في حديث البخاري، عن أنس ــ رضي الله عنه ــ قال: قال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوم بدر: "من ينظر ما فعل أبو جهل". فانطلق ابن مسعود، فوجده قد ضربه ابنا عفراء، حتى برد، فأخذ بلحيته، فقال: أنت أبا جهل ؟ قال: وهل فوق رجل قتله قومه ؟ أو قال قتلتموه[١].

٩. النفي، كما في قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "منْ يمنعك مني؟ "[٢]، فهذا استفهام خرج من معناه الحقيقي إلى معنى النفي، فكأنه قال: (لا مانع لك مني)[٣].

الأمْــرُ:

الأمر: "هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام. ويقصد بالاستعلاء: أن ينظر الآمر لنفسه على أنه أعلى منزلة ممن يخاطبه أو يوجه الأمر إليه، سواء أكان أعلى منزلة منه في الواقع أم لا"[٤].

وله أربع صيغ: فعل الأمر، والمضارع المقترن بلام الأمر، واسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعله. وسأقتصر حديثي في موضوع الأمر على المعاني البلاغية التي جرى فيها التوسع في المعاني.

إنّ استخدام صيغة الأمر للطلب من الأعلى للأدنى هو الاستخدام المألوف الذي تعارف عليه الناس في مخاطباتهم، وتبادل منافعهم، وفي مؤلفاتهم العملية التي غايتها نقل المعارف وإفهامها للآخرين. ولكنّ اللغة الفنية في الأدب غايتها ليست مجرد التقرير أو الإفهام ولكنها بالدرجة الأولى تعبير عن ذات الشاعر وتجسيد لما يمور في وجدانه من أحاسيس، ومن ثمّ فإنها غالباً ما تتجاوز في استخدامها للألفاظ والصيغ ذلك الاستخدام المألوف البعيد عن الجدّة والطرافة إلى استخدامات أخرى تكون أصدق تعبيراً عن تجربة الأديب، وأعمق تأثيرًا في وجدان المتلقي.

---

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٤، ص١٤٥٨، حديث رقم ٣٧٤٥، باب قتل أبي جهل.

[٢] **نفسه**، ج٣، ص١٠٦٥، حديث رقم ٢٧٥٣، باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة.

[٣] العيني، **عمدة القاري**، ج١٤، ص١٩٠.

[٤] عتيق، **علم المعاني**، ص٨١.

ومن المعاني المجازية التي تخرج إليها صيغة الأمر التي تُعرف في ضوء السياق: الدعاء، والتمني، والالتماس، والنصح، والإرشاد، والتهديد، والتعجيز، والإباحة، والتسوية، والتخيير، والإهانة، نذكر منها في صحيح البخاري المعاني الآتية:

١. الدعاء: وهو الطلب من الأدنى إلى الأعلى على سبيل التضرّع، وذلك في الأمر كما جاء في صحيح البخاري: "رب اجعل لي علماً أعلم ذلك منه"[١]. فالطلب هنا على سبيل التوسل والتضرع. ويدرج البلاغيون في ذلك الدعاء من الله ثم الأوامر التي يتوجه بها المتكلم إلى من هو فوقه في المرتبة الاجتماعية، كالخليفة، أو الأمير أو غيرهما.
٢. الالتماس: ويأتي إذا كان من مساوٍ لمساويه، كقول الحجاج إلى ابن عمر (فانظرني) في حديث البخاري: كتب عبد الملك إلى الحجاج أن لا يخالف ابن عمر في الحج، فجاء ابن عمر ــ رضي الله عنه ــ وأنا معه[٢] يوم عرفة، حين زالت الشمس. فصاح عند سرادق الحجاج، فخرج وعليه ملحفة معصفرة، فقال: مالك يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال: الرواح، إن كنت تريد السنة. قال: هذه الساعة ؟ قال: نعم، قال: فأنظرني حتى أفيض على رأسي، ثم أخرج، فنزل حتى خرج الحجاج، فسار بيني وبين أبي، فقلت: إن كنت تريد السنة، فاقصر الخطبة، وعجل الوقوف. فجعل ينظر إلى عبد الله. فلما رأى ذلك عبد الله، قال: صدق[٣].

٣. التهديد كقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "إنّ مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى، إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت"[٤].

٤. التسوية: كما جاء في قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : عن ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ أن عبد الله بن أبي، لما توفي، جاء ابنه إلى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال: يا رسول الله، أعطني قميصك أكفنه فيه، وصل عليه، واستغفر له. فأعطاه النبي

---

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٤، ص١٧٥٤، حديث رقم ٤٤٤٩، باب فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما، فاتخذ سبيله في البحر سرباً.

[٢] الضمير الهاء عائد على عبدالله بن عمر.

[٣] **نفسه**، ج٢، ص٥٩٧، حديث رقم ١٥٧٧، باب التهجير بالرواح يوم عرفة.

[٤] **نفسه**، ج٥، ص٢٢٦٨، حديث رقم ٥٧٦٩، باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت.

ــ صلى الله عليه وسلم ــ قميصه، فقال: آذني أصلي عليه. فآذنه. فلما أراد أن يصلي عليه، جذبه عمر ــ رضي الله عنه ــ فقال: أليس الله نهاك أن تصلي على المنافقين ؟ فقال: "أنا بين خيرتين" قال: "استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم"[1]. فصلى عليه[2]، فقوله: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم أسلوب أمر خرج إلى معنى التسوية.

٥. التعجيز: ويكون إذا توجّه الأمر إلى من لا قدرة له على تنفيذه، ولا طاقة له على الإتيان به، وتكون بلاغة الأمر حينئذٍ ماثلة في إظهار عجزه، وإلزامه عن هذا الطريق بالحجة التي يأتي بها الأمر في سياقها، كقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في حديث البخاري: عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "قال الله ــ عز وجل ــ : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو شعيرة"[3]. والمراد من قوله: (فليخلقوا ذرّة، أو ليخلقوا حبة، أو شعيرة) إيجاد حبة على الحقيقة لا تصويرها. والمراد بالحبة حبة القمح بقرينة ذكر الشعير، أو الحبة أعم. والمراد بالذرة النملة، والغرض تعجيزهم[4].

النَّهْيُ:

وهو من أساليب الإنشاء الطلبي، وهو كما عرّفه البلاغيون: طلب الكف عن العمل على سبيل الاستعلاء والإلزام[5]. ولا يتحقق ذلك إلاّ إذا كان النهي صادراً من الأعلى إلى الأدنى، ومثال ذلك في صحيح البخاري، قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها؛ فإنها لهم في الدنيا ولنا في

---

[1] **التَّوبة**، آية٨٠.

٢ البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص٤٢٧، حديث رقم ١٢١٠، باب الكفن في القميص الذي يكف أو لا يكف ومن كفن بغير قميص.

[3] **نفسه**، ج٦، ص٢٧٤٧، حديث رقم ٧١٢٠، باب قوله تعالى: "**والله خلقكم وما تعملون**".

[4] ينظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج١٠، ص٣٨٦.

[5] القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ج١، ص٢٤٤.

الآخرة"[١]. وتقع لا الناهية على فعلي المخاطب والغائب، ويندر وقوعها على فعل المتكلم. ويجيء الفعل المضارع فيها مؤكّداً أحياناً، وغير مؤكد في غالب الأحيان.

وقد يخرج النهي عن معناه الحقيقي، الذي هو طلب الكف على وجه الاستعلاء إلى معان أخرى مجازية يستدل عليها من السياق وقرائن الأحوال التي ترد فيها صيغته، أي: إنّ هذه المعاني لا تنبثق عن صيغة النهي في ذاتها، بل تنبثق عنها مواقعه في نظم خاص، ومقترنة بسياق خاص، ومن تلك المعاني التي يخرج إليها أسلوب النهي:

١. الدعاء: وذلك حين يتجه أسلوب النهي من الأدنى إلى الأعلى، كما جاء في صحيح البخاري: "يا رب، اصرف وجهي عن النار؛ قد قشبني ريحها، وأحرقني ذكاؤها"[٢]. ففي مثل هذه الأساليب لا يكون النهي جارياً على حقيقته، إذ إنّ الطلب فيها ليس على جهة الاستعلاء والإلزام، بل على وجه الذلّة والاسترحام.

٢. النصح والإرشاد: وذلك إذا ما كان الامتثال للمطلوب بأسلوب النهي يحقق النفع، ويعود بالفائدة على المخاطب، كما في قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "عن فاطمة، عن أسماء، ــ رضي الله عنها ــ قالت: قال لي النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "لا توكي فيوكى عليك "[٣].

ومعنى (لا توكي): لا تدخري وتمنعي ما في يدك من الوكاء. وهو الخيط الذي يشد به رأس القربة. والمعنى: "لا توكي مالك عن الصدقة؛ خشية نفاده، فيوكي الله عليك، أو يمنعك، ويقطع مادة الرزق عنك"[٤].

٣. التهديد: كما في قول النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "لا تكذبوا علي فإنه من كذب علي فليلج النار"[٥].

---

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٥، ص ٢٠٦٩، حديث رقم ٥١١٠، باب الأكل في إناء مفضض.

[٢] **نفسه**، ج١، ص ٢٧٧، حديث رقم ٧٧٣، باب فضل السجود.

[٣] **نفسه**، ج٢، ص ٥٢٠، حديث رقم ١٣٦٦، باب التحريض على الصدقة والشفاعة.

[٤] العيني، **عمدة القاري**، ج٨، ص٢٩٩.

[٥] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص ٥٢، حديث رقم ١٠٦، باب إثم من كذب على النبي عليه السلام.

التَّمَنِّي:

التمني: وهو من أنواع الإنشاء الطلبي، ويعني: "طلب أمر محبوب لا يرجى حصوله، إمـا لكونه مستحيلاً، والإنسان كثيراً ما يحبّ المستحيل ويطلبه، وإما لكونه ممكناً غير مطموع فـي نيله"[١].

ولأسلوب التمني أداة دالة عليه، هي: ليت. كما في قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا حسد إلا في اثنتـين: رجـل علمـه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل، وآناء النهار، فسمعه جار له، فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل. ورجل آتاه الله مالا، فهو يهلكه في الحق. فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل"[٢].

وقد يُتمنى بثلاثة أدوات أخرى لأغراض بلاغية، هي: (لعل، و، لو). فـالغرض البلاغـي المنشود من وراء التمني بلفظتي (هل و لعل) هو إبراز المتمنى المستحيل، وإظهاره في صورة الممكن القريب الحصول؛ لكمال العناية به والشوق إليه.[٣] فمن الأمثلة على التمنـي بـــ(هـل) لأغراض بلاغية، قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "عن عبد الله رضي الله عنه: "أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قرأ "فهل من مُدَّكرٍ" [٤].

ومن الأمثلة على التمني بلعل لأغراض بلاغية: عن كعب بن عجرة ــ رضي الله عنه ــ عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال: "لعلك آذاك هوامك"[٥]. قال: نعم يا رسول الله، فقال: رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "احلق رأسك، وصم ثلاثة أيـام، أو أطعـم سـتة مساكين، أو انسك بشاة"[١].

---

[١] عتيق، **علم المعاني**، ص١٢٢.

[٢] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٤، ص ١٩١٩، حديث رقم ٤٧٣٨، باب اغتباط صاحب القرآن.

[٣] عتيق، **علم المعاني**، ص١٢٣.

[٤] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٣، ص ١٢١٦، حديث رقم ٣١٦٣، باب قول الله تعالى: **{ إنَّا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذابٌ أليمٌ } / نوح**، آية١.

[٥] **الهوام بتشديد الميم:** جمع هامة. وهي ما تدب من الأحناش، **والمراد بها:** ملا يلازم جسد الإنسان، غالبـا إذا طال عهده بالتنظيف. وقال الكرماني: ولا يقع هذا الإسم إلا على المخوف من الأحناش. والمراد بها القمل؛ لأنه يهم على الرأس، أي يدب. قلت: إنما قال: والمراد بها القمل؛ لأنه هو المذكور في كثيرٍ من الروايات.

والغرض البلاغي من استعمال (لو) في التمني، هو "الإشعار بعزّة المتمنَّى وقدرتــه، لأنّ المتكلم يظهره في صورة الممنوع، إذْ إنّ (لو) تدل بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتنــاع الشرط"٢. كقوله عليه السلام: (لو كان يصلّي من اللّيل)، الوارد في صــحيح البخــاري: عــن الزهري، عن سالم، عن أبيه، ــ رضي الله عنه ــ قال: كان الرجل في حياة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ إذا رأى رؤيا، أقصّها على النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكنت غلامــا شــابا عزبًا، وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فرأيت في المنام، كأن ملكين أخذاني، فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان كقرني البئر، وإذا فيها ناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار. قال: فلقيهمــا ملك آخر، فقال لي: لن تراع. فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال: "نعم الرجل عبد الله، لو كان يصلي من الليل". قال سالم: فكان عبــد الله بعد لا ينام من الليل، إلا قليلا[٣].

وإذا كان الأمر المحبوب مما يرجى حصوله، كان طلبه ترجياً. وألفاظ الرجاء التي يطلــب بها الأمر المحبوب المطموع فيه، والممكن حصوله، هي: (لعل وعسى)، ومن أمثلة ذلــك فــي البخاري: "وعسى الله أن يرفعك، فينتفع بك ناس، ويضر بك آخرون"[٤].

وقد تستعمل (ليت) في الرجاء لغرض بلاغي هو إبراز المرجو في صورة المستحيل مبالغة بُعد نيله، ومثال ذلك كما جاء في البخاري: "عندما قالت خديجة بنت خويلد لورقــة بن نوفــل: يا ابن عم: اسمــع من ابن أخيــك. فقال له ورقــة: يا ابن أخي، ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزله الله بــه علــى موسى، **يا ليتني فيها جذع، ليتني أكون حيا**، إذ يخرجك قومك، فقال رســول الله ــ صلى الله

---

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٢، ص ٦٤٤، حديث رقم ١٧١٩، باب قول الله تعالى: "**فمن كان منكم مريــضاً أو به أذىً من رأسه ففدية من صيامٍ أو صدقةٍ أو نسكٍ**". / **البقرة**، آية ١٩٦.

[٢] عتيق، **علم المعاني**، ص١٢٤.

[٣] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٣، ص ١٣٦٧، حديث رقم ٣٥٣٠، باب مناقب عبد الله بن عمر بن الخطــاب رضي الله عنه.

[٤] **نفسه**، ج٣، ص ١٠٠٦، حديث رقم ٢٥٩١، باب أن يترك ورثته أغنياء، خير من أن يتكفّفوا النَّاس.

عليه وسلم ــ : "أوَمُخْرِجِي هم". قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عــودي. وإن يدركني يومك، أنصرك نصرا مؤزرا . ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي"[١].

النِّدَاءُ:

وهو من أنواع الإنشاء الطلبي، ويعني: "طلب الإقبال المدعو على الداعي بأحــد حــروف مخصوصة[٢]، ينوب كل حرف منها مناب الفعل (ادعو)"[٣]. والمعنى الذي يحدده العلماء للنداء هو المعنى الوضعي الذي تعارف عليه الناس، ولكن أسلوب النداء غالباً ما يتجاوز هذا المعنى؛ فهو من الأساليب الثرّة التي تتصرف في كثير من المعاني والأغراض، لا سيما فــي اللغــة التــي تتجاوز بطبيعتها حدود الوضع ومقتضيات العرف. فكثيراً ما لا يكون النداء لطلب الإقبال، فقــد يُنادى الجماد الأصم الذي لا حسّ له ولا حركة، بل قد لا يتوجه النداء إلى مخاطب أصلاً، وذلك كما في حال مناجاة النفس وتأنيب الضمير، وحينئذٍ تبرز وظيفة علم المعاني في رصــد تلــك الأساليب وتأملها واستنباط ما يتراءى فيها له من دلالات. ومن أبرز تلك المعاني التي يخــرج فيها النداء عن معناه الحقيقي: التعجب والتحسر والاستغاثة والإغراء والزجر والحنين والشكوى، وغيرها. نذكر بعضاً منها مما جاء في صحيح البخاري:

١. التعجب، جاء في الحديث: عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: لما قــدمت علــى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قلت في الطريق: "يا ليلة من طولها وعنائها"[٤].
٢. التحسر، كما جاء في البخاري: فكان عبد الله يقول بعدما كَبُر: يا ليتني قبلــت رخــصة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ[٥].

---

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص٤، حديث رقم ٣، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله.

[٢] **حروف النداء هــي:** (الهمزة وأي) لنداء القريب، وَ(يا) لنداء القريب والبعيد، وَ(أيا)، وَ(هيــا)، وَ(آ) وَ(وا) لنداء البعيد.

[٣] عتيق، **علم المعاني**، ص١٢٥.

[٤] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٢، ص ٨٩٤، حديث رقم ٢٣٩٤، باب قال رجل لعبده : هو لله، ونوى العتــق والإشهاد في العتق.

[٥] **نفسه**، ج٢، ص ٦٩٧، حديث رقم ١٨٧٤، باب حق الجسم في الصوم.

٣. الاستغاثة، على نحو: يا للأنصار، يا للمهاجرين، كما جاء في صحيح البخاري: أخبرنا ابن جريج قال أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع جابرا رضي الله عنه يقول: غزونا مع رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وقد ثاب معه ناس من المهاجرين، حتى كثروا. وكان من المهاجرين رجلٌ لُعَابٌ، فَكَسَعَ أنصاريا، فغضب الأنصاري غضبا شديدا حتى تداعوا. وقال الأنصاري: يا للأنصـــار، وقال المهاجـــري يا للمهاجرين، فخرج النبـــي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فقال: "ما بال دعوى أهل الجاهلية ؟ ثم قال ما شأنهم". فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري. قال: فقال النبي ـــ صلى الله عليـــه وسلم ـــ : "دعوهـــا، فإنها خبيثة ..."[١].

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٣، ص ١٢٩٦، حديث رقم ٣٣٣٠، باب ما ينهى من دعوى الجاهلية.

الْمَبْحَثُ الثَّانِي: التَّوَسُّعُ فِي الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ

اهتم اللغويون بالمجاز، وأدركوا أهميته وخطورته في الفهم والتأويل "فمن جهته غلط كثير من الناس في التأويل، وتشعبت بهم الطرق، واختلفت النحل"[1]، ولذلك دافع ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) عن القرآن الكريم راداً على الطاعنين فيه؛ لوجود المجاز الذي ربطوه بالكذب؛ إذّ "لو كان المجاز كذباً وكل فعل ينسب إلى غير الحيوان باطلاً، كان أكثر كلامنا فاسداً؛ لأنّا نقول نبت البقل، وطالت الشجرة، وأينعت الثمرة"[2].

وتنبه اللغويون إلى المعنى الأصلي الحقيقي، وخروجه إلى معنى آخر سمي بالمجازي، كما هو عند أبي عبيدة (ت٢١٠هـ) في مجاز القرآن، وابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن، وابن دريد (ت٣٢١هـ) في جمهرة اللغة، وابن فارس (ت٣٩٥هـ) في الصاحبي في فقه اللغة، ومع أنهم جميعاً تنبهوا إلى المجاز، إلاّ أنّ تناولهم إياه يختلف قليلاً؛ فهناك من كان في كتبه تحليلات مجازية، بيد أنّه لم يصرح بلفظ المجاز، معتبراً هذا الأسلوب توسعاً أو إيجازاً أو اختصاراً، وملمّحاً في تفسيره وشرحه إلى المجاز، مثل سيبويه (ت١٨٠هـ)، والفرّاء (ت٢٠٧هـ)، والأخفش الأوسط[3] (ت٢١٥هـ)، الذي خصّص باباً أسماه (باب من المجاز)، والمبرّد (ت ٢٨٥هـ) الذي صرّح فقط بالكناية، ذاكراً أنواعها بحسب المعاني التي تؤدّيها[4]. ومنهم من صرّح بلفظ المجاز؛ إذّ إنّ أبا عبيدة يذكره لكن لا يريد به المعنى البلاغي المصطلح عليه فيما

---

[1] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، (ت٢٧٦هـ)، **تأويل مشكل القرآن**، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م، ص٧٦.

[2] ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**، ص٩٩.

[3] ينظر: الفرّاء، يحيى بن زياد، (ت٢٠٧هـ)، **معاني القرآن**، ط٢، تحقيق: فائز فارس، دار البشير وَدار الأمل، الكويت، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، ص٣٤، ٤٧، ٢٦١، ٣١٩، ٣٩١، ٤٠٣، ٤٤٥، وشملت ما هو مجاز عقلي ومجاز مرسل.

[4] المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، (ت٢٨٦هـ)، **الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف**، ط١، ج١، ج٣، تحقيق: زكي مبارك، وَأحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وَأولاده بمصر، ١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٦م، ص٥، ٢٣، ٢٤٣، ٤٧٢، ٦٧٣.

بعد، في كل تحليلاته وتفسيراته لآيات القرآن الكريم، فقد كان يعني عنده التفسير والمعنى والغريب والتقدير والتأويل[١].

وبما أنّ المصطلح لم يكن قد استقر بعد، أدخلوا فيه ما ليس منه، إذّ نجد أبا عبيدة يدخل الاختصار والحذف والتقديم والتأخير[٢]، ويزيد عليها ابن قتيبة التكرار والإخفاء والإظهار، والتعريض والإفصاح[٣]، ويجعل منه ابن جني (ت٣٩٢هـ) الحمل على المعنى والتحريف، إضافة إلى التقديم والتأخير[٤]، وكذلك ابن فارس[٥] والثعالبي[٦].

وبناءً على ما تقدم نجد أنهم خلطوا بين المسميات والمصطلحات، وخاصةً الاستعارة من حيث هي تشبيه أو استعارة. وبما أننا نتحدث عن التوسع في الحقيقة والمجاز، يجدر بنا أن نفرد لابن جني حديثاً خاصاً لتحديد الحقيقة والمجاز وتعريفهما؛ إذّ خصّص لهما باباً أسماه الفرق بين الحقيقة والمجاز، ونجده على خلاف من سبقه من اللغويين يجمع تعريفهما في موضع واحد، زائداً على التعريف بيان المعاني التي تأتي بالمجاز. فالحقيقة: "ما أقرّ في الاستعمال على أصل وضعه باللغة، والمجاز ما كان بضد ذلك"[٧]، وتترك الحقيقة ويعدل إلى المجاز "لمعانٍ ثلاثة، هي: الاتساع، والتوكيد، والتشبيه، فإنّ عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة"[٨]، وكانت أولى بالاستعمال منه. ومما يؤيد وجهة نظرنا أنّ المجاز ضرب من الاتساع في اللغة أنّ ابن جني دعم مذهب التوسع في المجاز مستدلاً بوجود التوكيد في اللغة واستعماله، ولا يستخدم التوكيد إلاّ

---

[١] ينظر: ضيف، شوقي، **البلاغة تطور وتاريخ**، دار المعارف، مصر، ١٩٦٥، ص٢٩.

[٢] أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي (ت٢١٠هـ)، **مجاز القرآن**، ط١، ج١، تعليق: محمد فؤاد، الناشر: محمد سامي أمين الخانجي، مصر، ١٣٨١هـ ـــ ١٩٦٢م، ص١٨، ١٩.

[٣] ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**، ص١٥، ١٦.

[٤] ابن جني، **الخصائص**، ج٢، ص٤٤٥.

[٥] ابن فارس، **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**، ص١٩٧، (وقد جعل فيه التقديم والتأخير والتشبيه).

[٦] ينظر: الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت٤٢٩هـ)، **فقه اللغة وسر العربية**، ط١، تحقيق: مصطفى السقا وَإبراهيم الأبياري وَعبد الحافظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٥٧هـ ـــ ١٩٣٨م، ص٣٧٣، (حيث جعل التشبيه استعارة، وهي مجاز).

[٧] ابن جني، **الخصائص**، ج٢، ص٤٤٢.

[٨] **نفسه**، ج٢، ص٤٤٢.

في حالات خاصة قليلة، وبما أنّ المجاز في اللغة أكثر من الحقيقة، فالتوكيد دليل على وجود المجاز في الكلام: "فوقوع التوكيد في هذه اللغة أقوى دليل على شياع المجاز فيها واشتماله عليها"[١]، وهو في الوقت ذاته دليل على دفع المجاز وإرادة الحقيقة إذا ذكر في الكلام[٢].

ونخلص إلى أنّ المجاز فيه من التوسع في اللغة الكثير الكثير، مهما اختلفت الصيغ، وتعددت الأسماء التي في نهاية المطاف تدل عليه، وحسبي في هذا المبحث أن أتحدث عن ثلاث مسائل توضح الاتساع في صحيح البخاري، هي: الكناية، والنقل المجازي، والمجاز المرسل.

الاستعارة بالْكِنَايَة:

هناك ألفاظ انتقلت دلالتها من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية. وللغة طوران: "طور استقرار الألفاظ على المعاني، حيث يختص لكل معنى لفظ معين، هذا الطور هو الحقيقة، وطور تجاوز هذا اللفظ أو عدوله إلى معنىً آخر، هو طور المجاز"[٣]. والذي يهمنا من المجاز هو الجانب اللغوي الذي له أثر كبير في نمو اللغة واتساع مدلولاتها، ويعدل إليه "عندما يضيق النطق عن استعمال الحقيقة في كل اسم"[٤].

والكناية أحد أنواع المجاز، وتعني اصطلاحاً: لفظ أطلق، وأريد لازم معناه، مع جواز إرادة ذلك المعنى[٥]، أو هي اللفظ الدال على معنيين مختلفين: حقيقة ومجازاً[٦] من غير واسطة، لا على جهة التصريح.

وقد أشار الحاتمي إلى الكناية وعلاقتها بالتوسع، حيث قال: "وهو أن تكني العرب بالشيء عن غيره على طريق الاتساع"[٧]، ففي هذا إشارة صريحة إلى إدراج الكناية ضمن التوسع.

---

[١] ابن جني، **الخصائص**، ج٢، ص٤٥١.

[٢] **نفسه**، ج٢، ص٤٥٠

[٣] القباني، محمد جمال، **المجاز والنقل في اللغة**، رسالة ماجستير، ١٩٩١م، جامعة دمشق، ص٤٨.

[٤] السيوطي، **المزهر**، ج١، ص٣٨.

[٥] الهاشمي، **جواهر البلاغة**، ص٢٧٣

[٦] العلوي، **الطراز**، ج١، ص٣٧٢

[٧] عصفور، جابر، **مفهوم الشعر ــ دراسة في التراث النقدي**، ط٢، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٢م، ص١٠٤.

وجمع العسكري الكناية والتعريض في باب واحد، فقال: "وهو أن يكنى عن الشيء ويعرض به ولا يصرح على حسب ما عملوا باللحن والتورية عن الشيء ..."[١].

وقد تعدد استخدام الكناية في صحيح البخاري، ومن أمثلة (الكناية عن صفة) في صحيح البخاري، عن أنس، عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: " ثلاث من كن فيه، وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار"[٢].

فقوله: (حلاوة الإيمان) فيه استعارة بالكناية، وذلك: "لأن الحلاوة، إنما تكون في المطعومات. والإيمان ليس مطعوما، فظهر أن هذا مجاز؛ لأنه شبه الإيمان بنحو العسل، ثم طوى ذكر المشبه به؛ لأن الاستعارة: هي أن يذكر أحد طرفي التشبيه، مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به، فالمشبه (إيمان) والمشبه به (عسل)، ونحوه. والجهة الجامعة وهو وجه الشبه الذي بينهما هو (الالتذاذ)، وميل القلب إليه. فهذه هي الاستعارة بالكناية. ثم لما ذكر المشبه، أضاف إليه ما هو من خواص المشبه به ولوازمه، وهو الحلاوة على سبيل التخيل. وهي استعارة تخييلية، وترشيح للاستعارة"[٣].

وله عليه الصلاة والسلام كنايات كثيرة لطيفة ذكرت في صحيح البخاري، منها، الحديث الذي يرويه جابر، حين مات سعد بن معاذ، قال: سمعت النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول: "اهتز العرش لموت سعد بن معاذ"[٤]. وعن الأعمش، حدثنا أبو صالح، عن جابر، عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ مثله. فقال رجل لجابر: فإن البراء يقول: "اهتز السرير". فقال: إنه كان بين هذين الحيين ضغائن. سمعت النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول: "اهتز عرش

---

[١] العسكري، **كتاب الصناعتين**، ص٤٠٧.

[٢] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص١٤، حديث رقم ١٦، باب حلاوة الإيمان.

[٣] العيني، **عمدة القاري**، ج١، ص١٤٩، **وَالاستعارة التخييلية:** هي استعارة يكون المشبه المتروك شيئاً وهمياً محضاً، لا تحقق له إلاّ في مجرد الوهم؛ يُنظَر: السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي(ت٦٢٦هـ)، **مفتاح العلوم**، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٥٦هـ ــ ١٩٣٧م، ص١٧٦؛ **والاستعارة الترشيحية:** وتكون بتعقيب صفات أو تفريغ كلام ملائم للمستعار منه؛ يُنظَر: السكاكي، **مفتاح العلوم**، ص٤٩٤.

[٤] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٣، ص١٣٨٤، حديث رقم ٣٥٩٢، باب مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه.

الرحمن لموت سعد بن معاذ"[١]. مما لا شك فيه أنّ اهتزاز العرش في الحديث السابق هو من باب الكناية، ولقد اختلف الصحابة والعلماء في تفسيره، فالبراء يقول: إنّ المراد اهتزاز سرير الجنازة، وهو النعش[٢]. وقال ابن عمر: اهتز العرش فرحاً بلقاء سعد حتى تفسّخت أعواده على عواتقنا[٣]، وهو تأويل منه لئلا يذهب الوهم إلى عرش الله عزّ وجلّ، وقال الخطابي: إنما قال جابر ذلك لأنّ سعداً كان من الأوس والبراء من الخزرج، والخزرج لا تقر للأوس بفضل"[٤]، وقد ردّ عليه ابن حجر بعدما أورد كلامه، قال: "كذا قال، وهو خطأ فاحش، فإنّ البراء أيضاً أوسيّ ــ وساق نسبه ــ والذي من الخزرج هو جابر (راوي الحديث). فإنّما قال ذلك إظهاراً للحق واعترافاً بالفضل لأهله، فكأنما تعجب من البراء، كيف قال ذلك مع أنّه أوسي ..."[٥].

يقول بعضهم: إنّ اهتزاز العرش ناجم عن فرحه بقدوم روح سعد، فقد جعلوه من المجاز المرسل، الذي جاء فيه المضاف كقوله: "واسأل القرية"[٦]، أي: أهلها. والتقدير: اهتزّ حملة العرش لموت سعد، والمراد بالاهتزاز الاستبشار والسرور والقبول. وقد يكون من باب الكناية؛ ويبدو أنّ هذا التأويل أقربها للصحة، لأنّ العرب إذا عظموا الأمر، نسبوه إلى عظيم، فيقولون: قامت القيامة لموت فلان. وهذه منقبة عظيمة لسعد، فالرسول عليه السلام أراد أن يبين فضيلة سعد ومكانته، فكنّى عن صفة تعظيم شأن وفاته باهتزاز عرش الرحمن له تمشياً مع الأسلوب العربي في نسبة تعظيم الشيء إلى شيء مُعَظَم. فعبارة (اهتز عرش الرحمن) كناية عن صفة.

ومن أمثلة الكناية عن صفة أيضاً في صحيح البخاري، قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "من قال: سبحان الله وبحمده، في يوم مائة مرة؛ حطت خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر"[٧].

---

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٣، ص ١٣٨٤، حديث رقم ٣٥٩٢، باب مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه.

٢ مسلم بن الحجاج، أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، **صحيح مسلم**، ج٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ص٢٢.

[٣] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ص١٥٥.

[٤] **نفسه**، ص١٥٥.

[٥] **نفسه**، ص١٥٥.

[٦] **يوسف**، آية ٨٢.

[٧] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٥، ص٢٣٥٢، حديث رقم ٦٠٤٢، باب فضل التسبيح.

فعبارة (مثل زبد البحر) كناية عن المبالغة في الكثرة، والزبد من البحر وغيره كالرغوة تعلو سطحه.

ومن الأمثلة أيضاً، قول النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى، إذا لم تستح، فاصنع ما شئت"[١]، ففي هذا الحديث تمثيل على الكناية، فهو كنايه عن الحياء، ومدى أثره في حياة الناس.

ومن الأمثلة، ما جاء في قول إحدى النسوة في حديث أم زرع: "زوجي رفيع العماد، طويل النجاد، عظيم الرماد، قريب البيت من الناد"[٢]. ففي هذا الحديث كنايات عن صفة كثيرة على النحو الآتي: فقد كنّتْ برفعة عماده عن شرفه ومنزلته؛ لأنّ رفع العماد يلازم الشرف غالباً. وكنّتْ عن طول قامته بطول نجاد سيفه؛ لأنّ من طالت قامته طال نجاد سيفه. وكنّتْ بعظيم رماده عن كثرة ضيافته وإطعامه؛ لأنّ الرماد لا يعظم إلا عن كثرة الطبخ والإحراق للحطب الكثير، وكنّتْ بقرب بيته من المجلس عن كرمه؛ لأنّ البخلاء كانوا يبعدون بيوتهم عن المجلس كيلا يستتبعوا الأضياف منه، وكانوا ينزلون في المواضع المنخفضة لئلا يراهم الضيفان فيأتوهم"[٣]. فالكنايات السابقة جميعها كنايات عن صفة.

ومن أنواع الكناية التي ذكرها البلاغيون، الكناية عن موصوف، "وبها تذكر الصفة ويستر الموصوف، مع أنه هو المقصود، والصفة هي اللازم من الموصوف، ومنها تنتقل إليه"[٤]، ومن الأمثلة عليها: عن أنس بن مالك، قال: كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في سفر، وكان معه غلام له أسود يقال له أنجشة يحدو، فقال له رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "ويحك يا أنجشة، رويدك بالقوارير"[٥]. فقد كنّى الرسول ــ عليه السلام ــ بالقوارير التي يسهل كسرها عن النساء لضعفهن.

---

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٥، ص٢٢٦٨، حديث رقم ٥٧٦٩، باب إذا لم تستح، فاصنع ما شئت.

[٢] **نفسه**، ج٥، ص١٩٨٨، حديث رقم ٤٨٩٣، باب حسن المعاشرة مع الأهل.

[٣] أبو العدوس، يوسف، **المجاز المرسل والكناية (الأبعاد المعرفية والجمالية)**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمَّان، ص١٦٧.

[٤] **نفسه**، ص١٧١.

[٥] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٥، ص٢٢٨١، حديث رقم ٥٨٠٩، باب ما جاء في قول الرجل ويلك.

النَّقْلُ الْمَجَازِيُّ (التَّطَوُّرُ الدِّلالِيُّ):

اللغة كائن حي تنمو وتستعمل وتنتقل من جيل لآخر لتعبر عن أفكار أصحابها وحياتهم، وما دام الفكر البشري في حالة تطور مستمر، فاللغة كذلك؛ لأنها آلته ووعاؤه، فهي تُجاريهِ في الرقي والاتساع والنمو وتجدد الدلالة، فاللغة ليست ساكنة على الرغم من أنّ تقدمها قد يبدو بطيئاً في بعض الأحيان، "فالأصوات والتراكيب وصيغ الكلمات ومعانيها معرضة كلها للتغير والتطور"[١].

لقد أدرك علماء الدلالة أنّ التطور الدلالي هو تغيير الألفاظ لمعانيها؛ ذلك أنّ الألفاظ ترتبط بدلالتها ضمن علاقة متبادلة، فيحدث التطور الدلالي كلما حدث تغير في هذه العلاقة.

والنقل المجازي يعني استعارة لفظة شيء لم تكن موضوعة له في الأصل، فيشيع استعمالها، وتصبح غالبة على المنقول إليه. ويتم هذا الفعل الاستعاري سواء وجدت المناسبة بين اللفظ والمعنى أم لم توجد. وفصل البلاغيون درجات التعالق والتناسب بينها، فإذا قوي التعالق بين محليّ الحقيقة والمجاز، سمّوه ظاهراً، وإنْ ضعفت أسباب التعالق سمّوه تعقيداً، وفي كلتا الحالتين تأكيد على أهمية الاستعمال. والنقل المجازي يعدّ أحد وجوه الاتساع في المعنى، ولقد كثر استخدامه في الحديث الشريف، نذكر منه بعض الألفاظ التي جاءت في البخاري:

١. الظعينة: أطلقت هذه اللفظة قديماً على المرأة في الهودج، ثم نقل إلى الهودج تارة، وإلى البعير الذي يحمله تارة أخرى، وقد غلب الاستعمال المجازي بعلاقة المجاورة المكانية، وقد وردت في البخاري:
قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "... انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ؛ فإن بها ظعينة[٢]، ومعها كتاب، فخذوه منها ..."[١].

---

[١] الصالح، **دراسات في فقه اللغة**، ص٩٩.

٢ **الظعن**: جمع ظعينة، وهي النساء. وفي المحكم: هو جمع ظاعن، وسميت النساء بها؛ لأنهن يظعن بارتحال أزواجهن، ويقمن بإقامتهم؛ تقول: ظعن يظعن ظعنا وظعونا، ذهب وأظعنه هو، والظعينة الجمل يظعن عليه. والظعينة: الهودج؛ تكون فيه المرأة، وقيل: هو الهودج، كانت فيه امرأة أو لم تكن، وعن ابن السكيت: كل امرأة ظعينة سواء أكانت في هودج أو غيره، وقال ابن سيده في المخصص: الجمع ظعائن، وظعن، وأظعان، وظعنات. الأخيرتان جمع الجمع. وفي الجامع: ولا يقال ظعن إلا للإبل التي عليها الهوادج. وقيل: الظعن=

١. العقيقة: هي في الأصل الشعر الذي يخرج على الولد من بطن أمه، ثمّ نقل إلى الذبيحة التي تنحر عند حلق ذلك الشعر على سبيل المجاز بعلاقة المجاورة الزمنية. ومن ذلك، قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "الغلام مرتهن بعقيقته، تذبح عنه يوم السابع، ويسمى، ويحلق رأسه"[٢].

٢. البيت: كلمة البيت في اللغة العربية انتقلت من الدلالة على المسكن المصنوع من الشّعر إلى البيت الكبير الضخم المتعدد المساكــن، وقد وردت في قولــه ــ صلى الله عليــه وسلم ــ : "فرج عن سقف بيتي ــ وأنا بمكة ــ فنزل جبريل ..."[٣].

٣. الرسول: انتقلت دلالة هذه اللفظة من المهنة، وارتقت إلى رسالة ربّانية.

فقد وردت بمعنى (مرســل) في قولــه عليــه السلام: "وأنا رســول من ورائــي مــن قومي ..."٤.

٥. ولد: تدل في الأصل على عموم المولود، ذكرًا كان أم أنثى، كمــا فــي قولــه تعــالى: "يوصيكم الله في أولادكم للذّكر مثل حظّ الأنثيين"٥، ولكنها في الاستعمال ارتبطت بالــذّكَر دون الأنثى، كما جاءت في حديثه ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده"[٦].

=الجماعة من النساء والرجال؛ ينظر: ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هــ)، **المُخَــصَّص**، السفر السابع، تحقيق: دار الأفاق الجديدة، بيروت، المكتب التجاري للطباعة، بيروت، ص١٣٦، باب ما جاء من صفات المؤنث على فاعل. وقال ابن فارس في معجمه مقاييس اللغة: " ... فقال قوم: هي المرأة، وقــال آخرون: الظعائن: الهوادج، كان فيها نساء أو لم يكن. وهو من باب الاستعارة. وأما الظعــائن فــالهوادج = =كانت فيها نساء أو لم تكن، وكان اسمها سارة. وقيل: أم سارة، وقيل: كنود مولاة لقــريش"؛ يُنظَــر: ابــن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، مجلد٢، ص٩٨.

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٣، ص١٠٩٥، حديث رقم ٢٨٤٥، باب الجاسوس.

٢ **نفسه**، ج٥، ص٥١٥٥، حديث رقم ٢٠٨٣، باب إماطة الأذى عن الصبي في العقيقة.

[٣] **نفسه**، ج١، ص١٣٥، حديث رقم ٣٤٢، باب كيف فرضت الصلوات من الإسراء.

[٤] **نفسه**، ج١، ص٣٥، حديث رقم ٦٣، باب ما جاء في العلم.

[٥] **النساء**، آية ١١.

[٦] **البخاري**، الجامع الصحيح، ج١، ص١٤، حديث رقم ١٤، باب حب الرسول (ص) من الإيمان.

الْمَجَازُ الْمُرْسَلُ:

المجاز هو ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة، وبمعنى آخر: هو نقل المعنى عن اللفظ الموضوع له إلى لفظ آخر غيره[١]، وهو مأخوذ من جاز من هذا الموضع إلى هذا الموضع إذا تخطاه إليه.[٢]

والمجاز المرسل: "هو الكلمة المستعملة قصدًا في غير معناها الأصلي، لملاحظة علاقة غير المشابهة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الوضعي"[٣]. تناول البلاغيون والنقاد المجاز المرسل وعدوا علاقاته من التوسع في اللغة[٤]؛ فقد وقف الجاحظ غير مرة عند صور من المجاز المرسل، منها، قوله تعالى: "يخرج من بطونها شرابٌ مختلفٌ ألوانه"[٥]، وقال: "فالعسل ليس بشراب، وإنما هو شيء يحوّلُ بالماء شراباً أو بالماء نبيذاً، فسمّاه كما ترى شراباً، إذْ كان يجيء من الشراب"[٦]، أي أنّ تسمية العسل شراباً من تسمية الشيء بإسم ما يؤول إليه، فهي مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يكون، وذكر أيضاً "أنّ العرب بمثل هذه المجازات افتخرت واتسعت"[٧].

---

[١] ابن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ج١، ص٧٥.

[٢] ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (جوز).

[٣] الهاشمي، السيد أحمد، **جواهر البلاغة**، علق عليه ودققه: سليمان الصالح، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ ـــ ٢٠٠٥م، ص٢٦٥.

[٤] العلاقات في المجاز المرسل كثيرة، ذكر الخطيب القزويني منها ثماني علاقات، وذكر ابن الأثير عن أبي الحامد أربع عشرة علاقة، وأوصلها السيوطي إلى حوالي عشرين علاقة، وبلغت عند الإمام بدر الدين الزركشي ستاً وعشرين علاقة، ثم ألحق بالعلاقة الأخيرة خمس علاقات، رأى أنها تشبهها، فتصير جملة العلاقات إحدى وثلاثين علاقة، ولعلّ ذلك ما عناه السبكي بقوله: إنها عند بعضهم تزيد على ثلاثين علاقة. ومن هذه العلاقات التي ذكرها البلاغيون: الغائبية، وتنقسم إلى: السببيَّة، وَالمسببيَّة، والآليَّة، وَاللازميَّة، وَالملزوميَّة، والكميَّة، وتنقسم إلى: الكلّيَّة وَالجزئيَّة وَالعموم وَالخُصُوص. وَالزمان، وَتنقسم إلى: ما كان وَما يكون. وَالمكان وَتنقسم إلى: الحالّيَّة والمحليَّة وَالمجاورة؛ يُنظَر: أبو العدوس، **المجاز المرسل والكناية**، ص٤٩، ٥٠.

[٥] **النَّحْل**، آية ٦٩

[٦] الجاحظ، **الحيوان**، ج٥، ص٤٢٥.

[٧] **نفسه**، ج٥، ص٤٢٦.

إنّ المجاز المرسل من الوسائل التي تساعد على بلاغة التعبير، وعلى جمال وقعـه فـي نفوس المتذوقين، ذلك أنّ المعنى ينقل من مدلول اللفظة الأصلي أو الوصفي إلى مدلول جديـد أكثر اتساعاً، وأبعد أفقاً، وأدعى إلى التأمل. وأسلوب المجاز المرسل فـي الحـديث الـشريف أسلوب تصويري يفيد المعاني تقريراً، ويزيدها تأكيداً. فضلاً عن الإيجاز وإعطاء المضمون في ثوب خيالي. وهو من الأساليب التي جاءت في الحديث ناصعة بارعة، بالفطرة المصفاة، والطبع الموهوب والتهيئة الإلهية. وهنا نذكر بعض علاقات المجاز المرسل الدالة على التوسع مما جاء في صحيح البخاري:

١. العلاقة المحلية: وهي من علاقات المكان والتي تعني: تسمية الشيء باسم محله، ومـن الأمثلة عليـها: عن أنس بن مالك ــ رضي الله عنـه ــ قال: خرجـت مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى خيبر أخدمه، فلما قدم النبي ــ صلى الله عليه وسـلم ــ راجعا، وبدا له أُحد قال: "هذا جبل يحبنا ونحبه"[١]. فمن الواضح أنّ الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ لم يرد الجبل، وإنما أهل الجبل، فالعلاقة بين الجبل والأهل ليست علاقـة المشابهة وإنما علاقة المحل والحال، فهو عندما يذكر الجبل يريد أهل الجبل. ويـضيف الشريف الرضي: "وهذا القول محمول على المجاز؛ لأنّ الجبل على الحقيقة لا يصح أنْ يُحِبّ ولا يُحَبَّ، إذْ محبة الإنسان لغيره إنما هي كناية عن إرادة النفع لـه، أو التعظـيم المختص به، وكلا الأمرين لا يصح على الجماد، فالمراد إذاً إنّ (أُحد) جبل يحبنا أهله، ونحبُّ أهله، وأهله هم أهل المدينة من الأنصار أوسهم وخزرجهم. وغير خافٍ حـبهم النبي عليه الصلاة والسلام، وحبهم له، وتعظيمهم له وإعظامه لقدرهم"[٢].

ومن الأمثلة على علاقـة المحل، عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "أمرت بقرية تأكل القرى يقولون: يثرب، وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد"[٣]. ففي قوله: (قرية تأكل القرى) مجاز مرسل علاقته المحلية، حيث

---

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٣، ص١٠٥٨، حديث رقم ٢٧٣٢، باب فضل الخدمة في الغزو.

[٢] الرضي، الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين بن أحمد الموسوي (ت ٤٠٦هـ)، **المجازات النبوية أو مجازات الآثار النبويـة**، تحقيق وتعليق: مروان العطية ومحمد رضوان الدايـة، ١٤٠٨هـ ـــ ١٩٨٧م، ص٣٠٥.

[٣] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٢، ص٦٦٢، حديث رقم ١٧٧٢، باب فضل المدينة وأنها تنفي الناس.

ذكر المحل(القرية)، وأراد أهلها. فالرسول عليه السلام يريد الهجرة إلى المدينة، والمقصود "إنّ أهلها يقهرون أهل القرى فيملكون بلادهم، ويغتنمون أموالهم، فكأنهم لهذه الأحوال يأكلونهم"[١].

٢. ومن علاقات المجاز المرسل التي تعدد ذكرها في صحيح البخاري علاقة السببية، نذكر منها عن أبي هريرة: أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: "يد الله مــلأى، لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار". وقال: "أرأيتم ما أنفق منذ خلق الــسماوات والأرض، فإنه لم يغض ما في يده". وقال: "وكان عرشه على الماء، وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع"[٢]. فاليد هي سبب الفضل وسبب في العطاء، "والمراد باليد هنا نعمة الله، ووصفها بالامتلاء لكثرة منافعها وعموم مرافدها، فجعلها كالعين الثرة التي لا يفيضها الموائح[٣]، ولا تنقصها النوازح"[٤].

ومن الأمثلة على العلاقة السببية، قوله ــ عليه السلام ــ لأزواجه، عن عائشة، ــ رضي الله عنها ــ أن بعض أزواج النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قلن له: أيّنا أسرع بك لحوقا ؟ قال: "أطولكن يدا". فأخذوا قصبة يذرعونها، فكانت (سودة) أطولهن يداً، فعلمنا بعد أنما كانت طول يدها الصدقة، وكانت أسرعنا لحوقا به، وكانت تحب الصدقة"[٥].

فقوله عليه السلام: "أطولكن يدا" مجاز مرسل علاقته السببية، "فاليد هنا مجاز مرســل؛ لأنهــا أطلقت على النعمة إذا كان بمعنى الطول المقابل للقصر، فإنّ اليد مجاز مرسل لإطلاقــه علــى النعمة لعلاقة السببية، ولفظ أطول في الحديث ترشيح للمجاز المرسل في اليد، وهو مستعمل في غير معناه الحقيقي؛ لأنّ (أطول) مستعمل هنا في بسط اليد بالعطاء، فيكون استعارة. والجــامع بين أطول وبسط اليد الزيادة والكثرة في كل منها، ولا مانع من كون ترشيح المجــاز المرســل استعارة؛ لأنّه لا يتعين فيه أن يكون حقيقة، وإذا كان أطول من الطَّول بالفتح الذي هو الإعطاء

---

[١] الشريف الرضي، **المجازات النبوية**، ص٣٠٥.

[٢] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٦، ص٢٦٩٧، حديث رقم ٦٩٧٦، باب قوله تعالى: " **لما خلقت بيدي**".

[٣] **الموائح جمع مائحة:** وهي الآلات التي تخرج الماء من العيون والآبار.

[٤] **النوازح جمع نازحة:** وهي مثل الموائح؛ يُنظَر: الشريف الرضي، **المجازات النبوية**، ص٨٨.

[٥] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٢، ص٥١٥، حديث رقم ١٣٥٤، باب أيّ الصَّدقة أفــضل وصــدقة الــشَّحيح الصَّحيح.

والفضل، فلا يكون لفظ أطول ترشيحاً ولا تجريداً للمجاز المرسل في لفظ (يد)؛ لأنـــه يناســب النعمة واليد جميعا، إذ يقال: هذه نعمة أطول، وتلك يد أطول. فلفظ أطول على هذا مستعمل في معناه الحقيقي، ولفظ (يد) مستعمل في النعمة، وهو مجاز مرسل علاقته السببية..."[١]. فبمـــا أن لفظة (يد) استخدمت للنعمة والفضل فالأولى أن تكون مجازًا مرسلاً علاقته السببية.

٣. ومن علاقات المجاز المرسل: العلاقة الآلية، ويقصد بها كون الشيء واسطة في التأثير، عليه يتوقف التأثير والتأثر، وبذلك يستعمل اللفظ الدال على آلة الشيء مكـــان الـــشيء نفسه[٢]، وهذا يرد بكثرة في صحيح البخاري. نذكر منه: قول النبي ـــ صلى الله عليـــه وسلم ـــ : "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر مـــا نهـــى الله عنه"[٣]. فاللسان هنا عبارة عن آلة، فهو سبب في الفضل أو الرذيلة.

٤. ومن علاقات المجاز المرسل: العلاقة الملزومية (إطلاق اسم الملزوم علـــى الـــلازم) وتعني: "التعبير بالملزوم عن اللازم، وذلك حين يكون المعنى الحقيقي للكلمة في العبارة ملزماً للمعنى المجازي لها"٤. ومثال ذلك في صحيح البخاري: عن عائشة ـــ رضي الله عنها ـــ قالت: قال النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ : "لا تسبوا الأموات، فـــإنهم قـــد أفضوا إلى ما قدموا"[٥].

"ما قدّموه هو أعمالهم وأقوالهم التي يترتب عليها جزاؤها، والجزاء هو الأمـــر الـــذي أفضوا إليه، فهو من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم"[٦].

٥. ومن العلاقات: العلاقة اللازمية: وهي كون الشيء يلزم وجوده عند وجود شيء آخـــر، أي حين يكون المعنى الحقيقي للكلمة المذكور في العبارة لازماً للمعنى المجازي لهـــا[٧]

---

[١] ينظر: أبو العدوس، **المجاز المرسل والكناية**، ص٥٣ ـــ ٥٤.

[٢] **نفسه**، ص٦١.

[٣] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٥، ص٢٣٧٩، حديث رقم ٦١١٩، باب الانتهاء من المعاصي.

[٤] أبو العدوس، **المجاز المرسل والكناية**، ص٦٤.

[٥] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١٠، ص٤٧٠، حديث رقم ١٣٢٩، باب ما ينهى من سبِّ الأموات.

[٦] أبو العدوس، **المجاز المرسل والكناية**، ص٦٥.

[٧] **نفسه**، ص٦٦.

ومثال ذلك قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "وإني والله ــ إن شاء الله ــ لا أحلف على يمين، فأرى غيرها خيرا منها، وإلا كفرت عن يميني، وأتيت الذي هو خير، أو أتيت الذي هو خير، وكفرت عن يميني"[١].

فاليمين يعني القسم الذي يحلف به الشخص على فعل شيء، أو تركه، أو وجوده على صفة، "فهي لا يحلف عليها، وإنما تحلف عليه، غير أنه لا يمين دون محلوف عليه، فكلما وجدت اقترنت به، ولشدة ما بينهما من اللزوم عبّر الرسول عليه السلام باليمين وأراد لازمها ... ومثل هذا التعبير بين اللازم وملزومه من المجاز المرسل وعلاقته اللازمية"[٢].

٦. ومن علاقات المجاز المرسل: علاقة الجزئية: ويعني البلاغيون فيها تسمية الشيء باسم جزئه، بحيث يستعملون اللفظ الدال على جزء الشيء، ويريدون الشيء كله[٣].

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعا، ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما، اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا، وأضلوا"[٤]. فقد ذكر الجزء (رؤوس) والتي هي جمع (رأس) وأراد الجسم كله؛ فهي مجاز مرسل علاقتها الجزئية.

٧. ومن علاقات المجاز المرسل المكانية، علاقة المجاورة: وتعني "التعبير بالمجاور عما جاوره، وذلك حين يكون المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في العبارة مجاوراً للمعنى المجازي لها"[٥] ومن الأمثلة عليها في صحيح البخاري: قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ: "مثل الجليس الصالح، والجليس السوء، كمثل صاحب المسك، وكير الحداد، لا يعدمك

---

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٦، ص٢٤٤٤، حديث رقم ٦٢٤٩، باب الأيمان وَالنُّذُور.

[٢] أبو العدوس، **المجاز المرسل والكناية**، ص٦٦، ٦٧.

[٣] **نفسه**، ص٧٠.

[٤] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص٥٠، حديث رقم ١٠٠، باب كيف يقبض العلم.

[٥] أبو العدوس، **المجاز المرسل والكناية**، ص٨٢.

من صاحب المسك، إما تشتريه، أو تجد ريحه. وكير الحداد يحرق بدنك، أو ثوبك، أو تجد منه ريحا خبيثة"[١].

فمن الممكن اعتبار لفظة (الكير) مجازًا مرسلاً "على القول بأنّ الكير هو البناء الذي يركب عليه الزّق[٢]، فقد أطلق لفظ الكير وأريد به الزّق، على سبيل المجاز المرسل الذي علاقته المجاورة"[٣].

٨. ومن علاقات المجاز المرسل الزمانية، اعتبار ما سيكون(المستقبلية): وهي تسمية الشيء باعتبار ما سيؤول إليه، أي ما سيكون عليه الشيء في المستقبل، ومثال ذلك قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "من قتل قتيلا له عليه بينة، فله سلبه"[٤]. فعبارة (قتل قتيلا) استخدمت استخداماً مجازياً على اعتبار أنّ القتيل لا يقتل، فهي مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يكون وما سيؤول إليه الأمر.

---

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٢، ص٧٤١، حديث رقم ١٩٩٥، باب في العطّار وبيع المسك.

[٢] الزّق: وعاء من جلد دون أن يُحلَقَ شعره.

[٣] أبو العدوس، **المجاز المرسل والكناية**، ص٨٣.

[٤] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٤، ص١٥٧٠، حديث رقم ٤٠٦٦، باب قوله تعالى: "**ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم...**"، **التّوبة**، آية ٢٥.

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ: التَّوسُّع في التَّضْمِينُ

التضمين لغة: مصدر (ضمّن) ويقال: ضمّن الشيء الشيء: أودعه إياه[١].

اصطلاحاً: أن تتضمّن لفظة معنى لفظة أخرى، والتضمين عند أهل العربية يعني:

١. إيقاع لفظ موقع غيره لتضمنه معناه[٢].
٢. حصول معنى في لفظ من غير ذكر له باسم هو عبارة عنه، وهذا ما قاله الباقلاني في إعجازه، حيث عدّ التضمين نوعاً من الإيجاز[٣].
٣. "إشراب كلمة معنى كلمة أخرى، فتؤدي وظيفتها في التركيب، وهو مفهوم يمكن أن يكون ضرباً من التوسع في اللغة، فإنْ أدّى حرف معنى حرف آخر، فهو تضمين، وإنّ أدّى فعل لازم وظيفة فعل متعد، فهو تضمين، وإن أُشرب الاسم معنى الحرف، وأدّى وظيفته في التركيب، فهو تضمين، فباب التضمين واسع في اللغة"[٤].

والتضمين عند أهل النحو: أن يؤدي فعل أو ما في معناه في التعبير مؤدّى فعل آخر، أو ما في معناه، فيعطى حكمه في التعدية واللزوم[٥]، وأضافوا أنّ التضمين مجاز مرسل؛ لأنه استعمل اللفظ في غير معناه لعلاقة بينهما وقرينة[٦]. وقيل: إنّ التضمين جمع بين الحقيقة والمجاز لدلالة

---

[١] ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ضمن).

[٢] ينظر: أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسين الكفوي(ت١٠٩٤هـ ــ ١٦٨٣م)، **الكُلّيَّات**، أعدَّه: عدنان درويش، ومحمد المصري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨١م، ص١٤٢؛ وَالبستاني، بطرس، **محيط المحيط**، مكتبة لبنان، مطابع مؤسسة جواد، لبنان، بيروت، ١٩٨٣م، ص١٢٥٦.

[٣] ينظر: **السيوطي**، الإتقان، ج٢، ص٧٣.

[٤] حامد، أحمد حسن، **التضمين في العربية**، ط١، الدار العربية للعلوم، بيروت، ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠١م، ص٤٣.

[٥] ينظر: يعقوب، إميل بديع وَآخر، **المعجم المُفصَّل في اللُّغة وَالأدب**، ط١، المجلد الأول، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م، ص٤٢٦.

[٦] ينظر: الجواري، أحمد عبد الستار، حقيقة التضمين ووظيفة حروف الجر، مجلد ٣٢، ج٣، **مجلة المجمع العلمي العراقي**، ١٩٨١م، ص١٥٩.

الفعل على معناه بنفسه، وعلى معنى المحذوف بالقرينة[١]. ويتفق ابن هشام مع القول الأخير؛ ففائدة التضمين عنده أن تؤدي كلمة مؤدّى كلمتين[٢].

ولقد عدّ ابن المعتز (٢٩٦هـ) التضمين من محاسن الكلام[٣]، وتحدّث ابن طباطبا العلوي (ت٣٢٢هـ) في كتابه "عيار الشعر" عن المعاني المشتركة بين الشعراء، حيث قال: "وإذا تناول الشاعر المعاني التي قد سُبق إليها، فأبرزها في أحسن من الكسوة التي عليها لم يعب، بل وجب له فضل لطفه وإحسانه فيه"[٤].

وأما ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) في كتابه "المثل السائر"، فقد قسّم التضمين إلى قسمين: التضمين الحسن، والتضمين القبيح، فالتضمين الحسن: هو الذي يكتسب به الكلام طلاوة، فهو أن يضمن الآيات والأخبار النبوية، وذلك بشكل كلي أو جزئي[٥]. وأما التضمين المعيب فهو تضمين الإسناد عند غيره، وذلك يقع في بيتين من الشعر أو فصلين من الكلام المنثور، على أن يكون الأول منهما مسنداً إلى الثاني، فلا يقدم الأول بنفسه، ولا يتم معناه إلا بالثاني، وإن كان هذا الأمر غير معيب عند ابن الأثير إذّ لا فرق عنده بين البيتين من الشعر في تعليق أحدهما بالآخر، وبين الفقرتين من الكلام المنثور في تعلق إحداهما بالأخرى[٦].

والتضمين جزء من النيابة؛ فإشراب لفظ معنى لفظ آخر، يعني: أن ينوب لفظ عن لفظ آخر فيؤدي معناه، وإن كانت النيابة أوسع من ذلك، واستخدم التضمين في الحديث الشريف في مواطن كثيرة، على النحو الآتي:

---

[١] الجواري، **حقيقة التضمين ووظيفة حروف الجر**، ص١٥٩؛ وَيُنظَر: الزركشي، **البرهان**، ج٣، ص٣٣٩.

[٢] ينظر: ابن هشام، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ج١، ص٨٩٧.

[٣] ابن المعتز، **كتاب البديع**، ص٦٤.

[٤] ابن طباطبا، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (ت٣٢٢هـ)، **عيار الشعر**، تحقيق: د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٠م، ص٩١.

[٥] ينظر: ابن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ج٢، ص٣٢٣.

[٦] **نفسه**، ص٣٢٥.

أوَّلاً: تَضْمِينُ فِعْلٍ مَعْنَى فِعْلٍ: بمعنى أن يتضمن فعل معنى فعل آخر، يعني أن يُستعمل الأول بمعنى الثاني تماماً كما جاء في صحيح البخاري، في الأمثلة التالية:

قال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "أبردوا بالصلاة؛ فإن شدة الحر من فيح جهنم"[١]. إذّ يتبين من سياق الحديث أنّ فعل الأمر (أبردوا) من الإبراد، وهو الدخول في البرد، بمعنى "أخِّروا صلاة الظهر"[٢].

وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول: "مثل المجاهد في سبيل الله ــ والله أعلم بمن يجاهد في سبيله ــ كمثل الصائم القائم، وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه، أن يدخله الجنة، أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة"[٣].

يتضح من سياق الحديث السابق أنّ الفعل (توكل) تضمّنَ معنى الفعل (تعهد)، وتعني أيضاً: "ضمن وتكفل على وجه التفضل منه سبحانه"[٤]، كما أنّ الحرفين (بأنّ) تضمنا معنى الحرف (عندما). وهذا غير شائع في اللغة، وهو من قبيل التوسع.

ومن الأمثلة أيضاً: عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ ، أنه سمع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول: "إنما مثلي، ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله، جعل الفراش، وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها. فجعل ينزعهن، ويغلبنه، فيقتحمن فيها،

---

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٣، ص١١٩٠، حديث رقم ٣٠٦٨، باب صفة النار وَأنَّها مخلوقة.

[٢] ينظر في: العظيم آبادي، محمد شمس الحق (ت ١٣٢٩هـ)، **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، ط٢، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، ص٥٤؛ وَالمباركفوري، أبو العلا محمد بن عبد الرحمن، بن عبد الرحيم (ت١٤٢٧هـ)، **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت)، ص٤١٤؛ وَالمناوي، عبد الرؤوف، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، ط١، ج١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ، ص٢٨١.

[٣] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٣، ص١٠٢٧، حديث رقم ٢٦٣٥، باب أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله.

[٤] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج٦، ص٧.

فأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تقحمون فيها"[١]. يتضح من معنى الحديث أنّ الفعل (جعل) من (جعل الفراش) يتضمن معنى الفعل أخذ، أو بدأ.

ثانياً: نِيَابَةُ الْمَصْدَرِ عَنِ اسْمِ الْفَاعِلِ: كما يظهر في حديث البخاري: عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: "سبعة يظلهم الله تعالى في ظله، يــوم لا ظل إلا ظله: إمام عَدْلٌ، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه، وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة، فأخفاها؛ حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا، ففاضت عيناه"[٢].

يظهر أنّ المصدر (عَدْل) ــ وهو من الفعل (عَدَلَ) ــ سدّ مسد اسم الفاعل(عــادل)[٣]؛ إذْ إنّ المعنى: إمام عادل، ولا شك أنّ هذا من باب التوسع في المعاني والأساليب.

ثالِثاً: نِيَابَةُ الْمَصْدَرِ عِنِ اسْمِ الْمَفْعُولِ: فقد ناب المصدر (ردٌّ) عن اسم المفعول(مردود)، في حديث البخاري: عن عائشة ــ رضي الله عنهاــ قالت: قال رسول الله ــ صلى الله عليــه وسلم ــ : "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو ردٌّ"[٤]. فعبارة (فهو ردّ) تعني أنّ الــصلح باطل ومردود ولا يعتدّ به. وجاء في عمدة القاري: "فهو ردٌّ: أي مردود، ومن بــاب إطــلاق المصدر على اسم المفعول، كما يقال: هذا خلْق الله، أي: مخلوقــه. وهــذا نَــسْج فــلان، أي: منسوجه. وحاصل معناه أنه باطل، غير معتد به، وفيه رد المحدثات، وأنها ليست من الــدين؛ لأنه ليس عليها أمره. والمراد به أمر الدين"[٥].

---

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٥، ص٢٣٧٩، حديث رقم ٦١١٨، باب الانتهاء عن المعاصي.

[٢] **نفسه**، ج٢، ص٥١٧، حديث رقم ١٣٥٧، باب الصَّدقة باليمين.

[٣] لقد ورد الحديث السابق برواية مختلفة (الإمام العادل)، ينظر: البخاري، **الجــامع الــصحيح**، ج١، ص٥١٧، حديث رقم ٦٢٩، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، وفضل المساجد.

[٤] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٢، ص٩٥٩، حديث رقم ٢٥٥٠، باب إذا اصطلحوا على صلح جور، فالــصُّلح مردود.

[٥] العيني، **عمدة القاري**، ج١٣، ص٢٧٤، كتاب الصُّلح.

رَابِعاً: نِيَابَةُ التَّنْوِينِ عَنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ: كما جاء في الحديث: عن أبي عثمان، قال حدثني أسامة بن زيد ــ رضي الله عنهما ــ قال: أرسلت ابنة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ إليه إن ابنا لي قبض، فائتنا، فأرسل يقرىء السلام، ويقول: "إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكلٌّ عنده بأجل مسمى، فلتصبر، ولتحتسب"[١]. فكلمة (كلٌّ) مفهومة ضمناً (كلّ شيءٍ)، إذْ إنّ التنوين فيها ناب مناب المضاف إليه.

ومن الأمثلة أيضاً الحديث الذي مثّلنا عليه في نيابة المصدر عن المضاف إليه، ولكن بجزئيّة مختلفة: "سبعة يظلهم الله تعالى في ظله، يوم لا ظل إلا ظله"[٢]. فلفظة (سبعةٌ) مفهومة ضمناً بـ(سبعة رجال) ... فالتنوين فيها ناب مناب المضاف إليه. ويُدْرِج كثير من اللغويين هذا المثال وسابقه في موضوع الحذف[٣].

خَامِساً: تَضْمِينُ حَرْفٍ مَعْنَى حَرْفٍ أَوْ أَكْثَر: ولعل هذا النوع من التضمين من أكثر الأنواع شيوعاً، لا سيما في القرآن الكريم والأدب العربي، وإن كان وروده في الحديث أقل من ذلك، ومن أمثلة وروده في البخاري: عن ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ قال: لما مر النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالحجر، قال: "لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم؛ أن يصيبكم ما أصابهم، إلا أن تكونوا باكين"، ثم قنع رأسه، وأسرع السير حتى أجاز الوادي[٤]. فقوله: (أنْ يصيبكم)، تعني (كي لا يصيبكم). فالحرف المصدري (أنْ) قد تضمن معنى الحرفين (كي لا)، ويمكن تقدير كلمة محذوفة قبل (أن يصيبكم)، وهي (خوفَ أو كراهة)، وهذا ما قدَّره الإمام العيني إذْ قال: "قوله أن يصيبكم بفتح الهمزة: مفعول له، أي: كراهة الإصابة"[٥].

وعن جابر بن عبد الله ــ رضي الله عنهما ــ قال: كان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم يقول: "أيهم أكثر أخذا للقرآن". فإذا أشير له

---

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص٤٣١، حديث رقم ١٢٢٤، باب وما يرخص من البكاء في غير نوح.

[٢] نفسه، ج٢، حديث رقم ١٣٥٧، ص٥١٧، باب الصدقة باليمين.

[٣] موضوع الحذف سيأتي بعد هذا المبحث.

[٤] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٤، ص١٦٠٩، حديث رقم ٤١٥٧، باب نزول النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ الحجر.

[٥] العيني، **عمدة القاري**، ج١٨، ص٥٦.

إلى أحدهما، قدمه في اللحد، وقال: "أنا شهيدٌ على هؤلاء يوم القيامة". وأمر بدفنهم في دمـــائهم، ولم يغسلوا، ولم يصل عليهم[1].

فقوله: "أنا شهيدٌ على هؤلاء يوم القيامة"، تعني: "أشهد لهم أنهم بذلوا أرواحهم في سبيل الله تعالى، وأشفع لهم، وأصونهم من مكاره ذلك اليوم"[2]. وجاء في تحفة الأحوذي: أي، أنــا شــفيع لهم، وأشهد أنهم بذلوا أرواحهم في سبيل الله، انتهى". وأشار إلى أنّ (على) بمعنى الــلام. قــال الطيبي: "تعديته بعلى تدفع هذا المعنى، ويمكن دفعه بالتضمين. ومنه قوله تعالى: " والله على كُلِّ شيء شهيد"[3].

ومن الأمثلة أيضاً: عن سهل بن سعد قال: قال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفا، أو سبعمائة ألف ــ شك في أحدهما ــ متماسكين، آخــذ بعــضهم ببعض، حتى يدخل أولهم، وآخرهم الجنة، ووجوههم على ضوء القمر ليلة البدر"[4].

فعبارة: (ووجوههم على ضوء القمر ليلة البدر) الواو للحال، وحرف الجر (على) هنا حــلّ محل (الكاف)، إذّ المعنى: إنّ وجوههم كضوء القمر.

---

[1] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص٤٥٠، حديث رقم ١٢٧٨، باب الصلاة على الشهيد.

[2] **نفسه**، ج١، ص٤٥٠، حديث رقم ١٢٧٨، باب الصلاة على الشهيد.

[3] المباركفوري، **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، ص١٠٨، باب ما جاء في ترك الصَّلاة علــى الــشَّهيد، **سورة المجادلة**، آية ٦.

[4] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٥، ص٢٣٩٦، حديث رقم ٦١٧٧، باب يدخل الجنَّة سبعون ألفاً بغير حسابٍ.

الْمَبْحَثُ الرَّابِعُ: التَّوسُّع فِي الْحَذْف

"هو بابٌ دقيقُ المسلك لطيفُ المأخذ عجيبُ الأمر شبيه بالسِّحر فإنَّك ترى به ترك الذِكْر أفصحَ من الذكر والصمت عن الإفادة أزيدَ للإفادة وتجدُك أنطقَ ما تكونُ إذا لم تنطِقْ وأتمَّ ما تكون بياناً إذا لم تُبِن"١ .

الحذف في اللغة: جاء في لسان العرب: "حذف الشيء يحذفه حذفاً: قطعه من طرفه، وعن الجوهري، حذْفُ الشيء إسقاطه، ومنه حذفت الشعر إذا أخذت منه، وفي الحديث: حذف السلام من الصلاة سنة، وهو تخفيفه وعدم الإطالة فيه ..."[٢].

والحذف عند أهل اللغة: هو إسقاط الشيء لفظاً ومعنى[٣]. ويعرفه الرماني بقوله: "هو إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال، أو فحوى الكلام"[٤].

والحذف اصطلاحاً: "إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل"[٥].

أمّا الحذف عند البلاغيين، فهو: "صورة بناء تقضي بإضمار دالٍّ أو عدة دالاّتٍ على المحور النظمي، ويلجأ المتلقي لتعويض النقص وفهم المرسلة اللغوية بطريقة عفوية أو إرادية إلى كفايته اللغوية، وإلى سياق الكلام، وإلى معطيات موقف المتكلم وشروطه، وبذلك يمكن أن يكون الحذف صورة بناء لغوي تلقائي، أو استعمالاً أسلوبياً بلاغيا، أو الاثنين معاً. هذا ويشمل الحذف كل العناصر اللغوية في التكلم من الصوت إلى العبارة، مروراً بالاسم، الفعل، الصفة، الفاعل..."[٦]، ومنهم من عدّه ضرباً من الإيجاز[٧]. ويقول صاحب البرهان: ليس كل حذف

---

[١] الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ج١، ص١٢١

[٢] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (حذف).

[٣] ينظر: أبو البقاء، **الكُلِّيَّات**، ص٣٨٤؛ وَالبستاني، **محيط المحيط**، ص١٥٦.

[٤] الرماني، **في إعجاز القرآن**، ص٧٦.

[٥] الزركشي، **البرهان**، ج٣، ص١٠٢.

[٦] إميل يعقوب وَآخرون، **قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية**، ص١٨٣.

[٧] ينظر: الزركشي، **البرهان**، ج٣، ص١٠٢؛ وَالسيوطي، **الإتقان**، ج٢، ص٧٠.

مجازاً، وقال: "وقال الزنجاني في المعيار: إنما يكون مجازاً إذا تغير حكم، فأما إذا لم يتغير حكم كقولك: زيد منطلق وعمرو، بحذف الخبر، فلا يكون مجازاً إذْ لم يتغير حكم ما بقي من الكلام"[١].

وقد اهتمّ العرب بالحذف بقصد الإيجاز وإعلام السامع الشيء أو المعلومة بأقل قدر ممكن من الكلمات، وقد كثر في كتاب الله تعالى، وحديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ . يقول الجرجاني عنه: هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، فالصمت عند الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك ألطف ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبن، وهذه جملة قد تنكرها حتى تَخْبُرَ، وتدفعها حتى تنظر[٢]. وقد عقد ابن جني باباً أسماه (شجاعة العربية) قال فيه: "قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه"[٣].

والحذف في العربية كثير واسع، فلا يخلو منه باب من أبواب العربية، وهو على كثرته خلاف الأصل، لأنّ الأصل هو الذكر. وبما أنّ موضوع الرسالة عن الاتساع، فأقول: إنّ ليس كل حذف اتساعاً؛ ذلك أنّ الاتساع ضرب من الحذف، والمقصود بهذا الحذف: إنك تستطيع أن تقيم العامل مقام المحذوف، وتعربه بإعرابه، على عكس الحذف الذي لا يعدّ من الاتساع، إذْ تحذف العامل فيه، وتدع ما عمل فيه على حاله في الإعراب. ويكون الاتساع الذي هو ضرب من الحذف في إقامة المضاف إليه مقام المضاف، على نحو: (واسأل القرية)، والاتساع في الظروف[٤]، وسمَّى البلاغيون هذا النوع من المجاز بالحذف، وهو الذي اشتهر فيما بعد بالمجاز المرسل[٥]. وقال صاحب الإيضاح: "اعلم أنّ الحذف على وجهين، أحدهما: أن لا يقام شيء قيام المحذوف، والثاني: أنْ يقام مقامه ما يدل عليه"[٦]، وهذا النوع من الحذف هو المقصود بالاتساع،

---

[١] الزركشي، بدر الدين، **البرهان في علوم القرآن**، ج٣، ص١١٧.

[٢] الجرجاني، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، ج١، ١٢١.

[٣] ابن جني، **الخصائص**، ج٢، ص٣٦٠.

[٤] ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل (ت٣١٦هـ)، **الأصول في النحو**، ط٣، ج٢، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨م، ص٢٥٥.

[٥] القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ص٢٦٢.

[٦] **نفسه**، ص٢٦٢.

وهو حذف يقوم مقامه ما يدل عليه، فلا يحتاج التركيب إلى تقدير محذوف من الناحية الإعرابية؛ لأنه تركيب مكتمل العناصر من الناحية الشكلية. ومن الملاحظ أن هذا الحذف تارةً يكون في اللفظة المفردة، وتارةً أخرى في الجملة الاسمية أو الفعلية، أو حتى شبه الجملة كما سنلحظ ذلك من خلال مواطن الحذف التالية:

١. **حَذْفُ فَاءِ الشَّرْطِيَّةِ مَع جَوَابِ أَمَّا:** "تدخل الفاء وجوباً في خبر المبتدأ بعد (أمّا) والغرض منها إنما يكمن في الدلالة على أنّ ما ارتبطت به جواب الشرط محذوف، الذي دلّ على ذلك؛ ذلك أنّ حذف الفاء في موقع اللزوم يؤدي إلى انعدام الرابطة بين الشرط المقدر والجواب، ويظهر التركيب قلقاً غير متماسك"[١]. وربما حذفت الفاء مع جواب (أمّا) وذلك مع قول أغنى عنه المحكي به، كقوله تعالى: "فأمَّا الذين اسودّت وجوههم ..."[٢] ، أي، فيقال: لهم أكفرتم.

وكقوله صلى الله عليه وسلم: "أما بعد، ما بال رجال يشترطون شروطا ليست في كتاب الله، ما كان من شرط ليس في كتاب الله، فهو باطل، وإن كان مائة شرط قضاء الله أحق. وشرط الله أوثق، وإنما الولاء لمن أعتق"[٣]. والتقدير: (فما بال رجالٍ). فقد أغنى التركيب الشرطي (أما بعد) عن ذكر الفاء الرابطة في هذا السياق الذي لا يحتمل المهلة أو التعقيب، بل إنّ الرسول ـ عليه السلام ـ يسرع متجهاً لطرح أمرٍ عظيم، وما يترتب عليه أعظم بكثير، ولم يتأثر السياق نتيجة لحذف الفاء، وبقي متماسكا.

٢. **حَذْفُ جَوَابِ الشَّرْطِ:** لغتنا العربية زاخرة بالجمل الشرطية التي حذف جوابها، لما يتضمنه معنى الحذف من التفخيم والتعظيم وغيرهما ... فالناحية البلاغية أكثر ما تبرز في حذف جواب الشرط، والشواهد كثيرة، نذكر بعض ما جاء منها في صحيح البخاري:

---

[١] أبو صعيليك، حامد، **الرابط اللفظي في لغة الحديث الشريف ـ مختصر البخاري للزبيدي أنموذجاً**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ١٩٨٩م، ص

[٢] **آل عمران**، آية ١٠٦.

[٣] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٢، ص٧٥٩، حديث رقم ٢٠٦٠، باب إذا اشترط شروطاً في البيع.

ــ عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ : أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: "من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة، حطت خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر"[١]. فتقدير جواب الشرط المحذوف: (وإن كانت مثل زبد البحر فهي محطوطة)، أي: خطاياه.

ــ وكذلك قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "فهلا جلست في بيت أبيك وأمك، حتى تأتيك هديتك، إن كنت صادقا"[٢]. فجواب الشرط المحذوف هنا جملة فعلية، تقديره: (إن كنت صادقاً فاجلس).

ــ وقوله عن جابر بن عبد الله ــ رضي الله عنهما ــ قال: قال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "مثلي ومثل الأنبياء، كرجل بنى دارا، فأكملها، وأحسنها إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها، ويتعجبون، ويقولون: لولا موضع اللبنة"[٣]. فجواب الشرط محذوف تقديره: (لولا موضع اللبنة موجود، لقالوا: إنَّ هذه الدار رائعة ومكتملة تماماً).

٣. **حَذْفُ الْمُبْتَدَأ** الذي يمثل مع خبره جملة اسمية تخبر عن مبتدأ سابق. ومن الأمثلة عليه في صحيح البخاري: " قال عبد الله بن عمرو: قال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "حوضي مسيرة شهر. ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء؛ من شرب منها، فلا يظمأ أبدا"[٤]. والتقدير: (حوضي طوله مسيرة شهر). فالمخاطب في هذا الحديث يتساءل عن ماهية الشيء الذي مسيرته شهر! أهو طول الحوض؟ أم عمقه؟ أم طول أضلاعه؟ وما عدد هذه الأضلاع؟ فالحذف أفاد التعميم، وجعل النفس تذهب كل مذهب.

٤. **حَذْفُ الْخَبَرِ**: وهو على أنواع كثيرة، منها: حذف خبر المبتدأ، وحذف خبر ليس، وحذف خبر لا النافية للجنس، وحذف الخبر الواقع في جواب لولا، وغيرها ... .

---

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٥، ص٢٣٥٢، حديث رقم ٦٠٤٢، باب فضل التَّسبيح.

[٢] **نفسه**، ج٦، ص٢٥٥٩، حديث رقم ٦٠٤٢، باب احتيال العامل ليهدى له.

[٣] **نفسه**، ج٣، ص١٣٠٠، حديث رقم ٣٣٤١، باب خاتم النَّبيِّين.

[٤] **نفسه**، ج٥، ص٢٤٠٥، حديث رقم ٦٢٠٨، باب في الحوض.

ــ ومن أمثلة حذف خبر المبتدأ في صحيح البخاري: عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: " والذي نفسي بيده، لأذودن رجالا عن حوضي، كما تذاد الغريبة من الإبل عن الحوض"[١]. وتقدير الخبر المحذوف: (والذي نفسي بيده قسمي).

ــ ومن أمثلة حذف خبر لا النافية للجنس، عن أنس ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: "لا عدوى، ولا طيرة، ويعجبني الفأل الصالح الكلمة الحسنة"[٢]. والتقدير: لا عدوى (موجودة)، ولا طيرة (موجودة).

ــ ومن أمثلة حذف خبر ليس، عن أبي هريرة، عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: "ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس"[٣]. فالخبر محذوف وتقديره: (ليس الغنى ناجماً، أو ناتجاً).

ــ ومن أمثلة الخبر الواقع في جواب (لولا)، عن جابر بن عبد الله ــ رضي الله عنهما ــ قال: قال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "مثلي ومثل الأنبياء، كرجل بنى دارا، فأكملها، وأحسنها، إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها، ويتعجبون، ويقولون: لولا موضع اللبنة[٤]. وتقدير الخبر المحذوف: (لولا موضع اللبنة مبنيّ).

وقد يتبين من خلال حذف الخبر في الأحاديث النبوية السابقة، أنّ هذا الحذف يدخل في باب الحذف النحوي لا البلاغي، إذّ إنّ هدفه الاختصار والتسهيل. ويعدّ هذا الحذف من الحذف الواجب الذي اعتاد العرب عليه.

---

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٢، ص٨٣٤، حديث رقم ٢٢٣٨، باب من رأى أن صاحب الحوض والقربة أحقّ بمائه.

[٢] **نفسه**، ج٥، ص٢١٧١، حديث رقم ٥٤٢٤، باب الفال.

[٣] **نفسه**، ج٥، ص٢٣٦٨، حديث رقم ٦٠٨١، باب الغنى عن النَّفس.

[٤] **نفسه**، ج٣، ص١٣٠٠، حديث رقم ٣٣٤١، باب خاتم النَّبيِّين.

٥. **حَذْفُ كَانَ وَاسْمِهَا:** من أنواع الحذف الشائعة في العربية حذف كان واسمها، ولكن هذا الحذف ليس مطرداً، بل هو مقصور على (ولو) المسبوقة بأمر أو نهي والمتبوعة باسم، على نحو قوله صلى الله عليه وسلم:

ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: "لو يعلم الناس ما في النداء، والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه، لاستهموا. ولو يعلمون ما في التهجير، لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح، لأتوهما، ولو حبوا"[1]. فقد حذفت كان واسمها، وتقدير المحذوف: (ولو كان إتيانهم حبوا).

ــ وقوله: "فليتقينَّ أحدكم النَّار، ولو بشقِّ تمرةٍ؛ فإن لم يجد، فبكلمةٍ طيِّبةٍ"[2]. والتقدير: (فليتقينَّ أحدكم النَّار، ولو كان اتقاؤك بشقٍّ تمرةٍ).

ويظهر من الحديثين السابقين أنّ غاية الحذف مقصورة على الاختصار؛ إذْ يظهر في السياق أنّ المعنى مفهوم ضمناً، ولا داعي للحشو الزائد الذي يخل ببلاغة العبارة.

٦. **حَذْفُ الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ:** ويُلجأ إلى حذف كل من الفعل والفاعل، عندما يوجد في السياق ما يدل عليهما، ومن الأمثلة على ذلك في صحيح البخاري: عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بشريك بن سحماء، فقال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "البينة أو حدٌّ في ظهرك"[3].

(البينة): مفعول به لفعل وفاعل محذوفين تقديرهما: "أقم البينة، وهي أربعة شهود عدول من الرجال. (حد في ظهرك): جزاؤك حد القاذف، وهو ثمانون جلدة على ظهرك وأعضائك إن لم تحضر البينة"[4]. وسياق هذا الحديث أنّ رجلاً اسمه هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ متهماً إياها بالزنا من رجل اسمه (شريك بن سحماء). ففي هذا الموقف الصعب تتطلع النفوس باهتمام بالغ منتظرة ردّ النبي عليه السلام. وكان ردّ الرسول الكريم ردّاً سريعاً موجزاً بليغاً (البينة) بدلاً من قوله (عليك أن تعطيني البينة).

---

[1] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٢، ص٩٥٥، حديث رقم ٢٥٤٣، باب القرعة في المشكلات.

[2] **نفسه**، ج٢، ص٥١٢، حديث رقم ١٣٤٧، باب الصَّدقة قبل الرَّدِّ.

[3] **نفسه**، ج٢، ص٩٤٩، حديث رقم ٢٥٢٦، باب إذا ادَّعى أو قذف فله أن يلتمس البيِّنة وينطلق لطلب البيِّنة.

[4] **نفسه**، ج٢، ص٩٤٩، حديث رقم ٢٥٢٦.

٧. **حَذْفُ الْمَفْعُولِ بِهِ:** لعلّ الأمثلة التي ذُكِر فيها حذف للمفعول به تحمــل دلالات بلاغيــة واسعة فإذا حذف المفعول به خصوصًا: "فإنَّ الحاجة إليه أمسّ، وهو بما نحن به أخصّ واللطائف كأنها فيه أكثر، وما يظهر بسببه من الحسن والرونق أعجب وأظهر"١. ولقــد كثر حذف المفعول به في القرآن، كما أنه موجود في الحديث الشريف، وإن كان أقــل، ومن ذلك:

ــ "عن عبد الله بن الحارث، رفعه إلى حكيم بن حزام ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رســول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "البيعان بالخيار ما لم يتفرقا. أو قال: "حتى يتفرقا"، فإن صدقا، وبيّنا، بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا، محقت بركة بيعهما"[٢].

فتقدير المحذوف: (إن صدقا وبيّنا العيوب)، (وإن كتما العيوب). إذّ أفــاد هــذا الحــذف العموم، فإنّ أي كتمان أيًّا كان نوعه ودرجته، قد يؤدي إلى محق البركة؛ ذلك أنّه يجب علــى البائع أن يبين بضاعته بياناً شاملاً. فلو ذكر الحديث المفعول به لكان واجب التبيين مقــصوراً على هذا المفعول المذكور. وكذلك الفعل (كتم) لو ذكر مفعوله، لجعل المحرم كتمانه مقــصورا على هذا المذكور، يفهم من ذلك أنه يجوز كتمان البقية، فذكر المفعول به في هذه الحالة يــؤدي إلى معنى غير مقصود، إذّ الحذف لا بدّ منه.

٨. **حَذْفُ الْجَارِّ وَالْمَجْرُور:** كما في قوله، عن أبي هريرة: عن النبي ــ صلى الله عليــــه وسلم ــ قال: "سبعة يظلهم الله في ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه، وتفرقا عليه، ورجل طلبته امــرأة ذات منصب وجمال، فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق أخفى؛ حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه"[٣].

في الحديث السابق حذف الجار والمجرور من (ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال)، والتقدير: (ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال إلى الزنا أو الفاحشة). فالحذف هنــا أفــاد

---

[١] الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ج١، ص١٢٧.

[٢] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٢، ص٧٣٢، حديث رقم ١٩٧٣، باب إذا بيّن البيعان ولم يكتما ونصحا.

[٣] **نفسه**، ج١، ص٢٣٤، حديث رقم ٦٢٩، باب من جلس في المسجد ينتظر الصَّلاة، وفضل المساجد.

التعميم، إذْ إنّه لو أثبت الجار والمجرور لانحصرت دعوة المرأة فيه، ولكان عدم إجابة الدعوة إلى ما دون الزنا لا تدخل الرافض في ظل الله، ولكن عندما حذف الجار والمجـرور أصـبح رافضًا دعوة المرأة الجميلة ذات المنصب إلى أي فاحشة يثيبه الله ثواباً عظيما.

٩. **حَذْفُ الْمُضَافِ:** حذف المضاف نوع من أنواع الاتساع التي يكثر استخدامها في لغتنـا العربية؛ لأنها تميل إلى الإيجاز والاختصار، وينشأ عن هذا الحذف نوع من المجـاز؛ بسبب نقل الكلمة من حكم كان لها، إلى حكم ليس في حقيقته فيها. قال ابن عطية[١] فـي معرض تفسيره لسورة يوسف: حذف المضاف هو عين المجاز أو معظمه. ووافقه على هذا القرافي[٢]، إذ أشار إلى حذف المضاف في قوله تعالى: "واسأل القرية"[٣]، أي أهلها. إذ لا يصح إسناد السؤال إليها، فحذف المضاف عنده في الآية السابقة ضرب من المجاز. وكذلك رأي سيبويه[٤]، إذ عدّ "أنّ الفعل استعمل في اللفظ لا في المعنى، وعمل الفعل في القرية كما كان عاملاً في الأهل لو كان ها هنا"؛ أي أنّ (القرية) مفعول به لفظاً، وقـد نصبت بالفعل (اسأل)، ولكن المفعول به الحقيقي هو المضاف المحذوف (أهـل)، فـإن حذف المضاف عند سيبويه أيضاً نوع من المجاز.

ويرد حذف المضاف على نوعين:

١. أن يحذف المضاف ويقوم المضاف إليه مقامه في الإعراب، وهو الأكثر شـيوعاً فـي اللغة.
٢. أن يحذف المضاف مع بقاء عمله في المضاف إليه، أي مع بقاء الأثر الإعرابي الـدال عليه.

ومن الأمثلة على النوع الأول في صحيح البخاري، عن أنس ــ رضي الله عنـه ــ عـن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يرويه عن ربه، قال: "إذا تقرب العبد إليَّ شبرا، تقربت إليـه ذراعا، وإذا تقرب إليَّ ذراعا، تقربت منه باعا، وإذا أتاني يمشي، أتيته هرولة"[٥].

---

[١] ينظر: الزركشي، **البرهان**، ج٣، ص ١٠٣؛ وَالسيوطي، **الإتقان**، ج٢، ص٥٣.

[٢] ينظر: السيوطي، **الإتقان**، ج٢، ص٥٣.

[٣] **يوسف**، آية ٨٢.

[٤] ينظر: سيبويه، **الكتاب**، ج١، ص٢٧٢.

[٥] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٦، ص٢٧٤١، حديث رقم ٧٠٩٨، باب ذكر النَّبيِّ (ص) وروايته عن ربِّه.

فتقدير حذف المضاف، أي: أتاني (ماشيًا). حيث يقدّر النحاة المضاف محذوفاً إذا جـاءت الحال مصدراً، ويشترطون أنّ الحال يجب أن تكون وصفاً غالباً، كاسم الفاعل واسم المفعـول، والصفة المشبهة. وإذا جاءت الحال على غير هذا، كأن تأتي مصدراً أوّله النحاة عدة تأويلات[1]، ومنها: أنها مصادر على حذف مضاف. ومن الأمثلة، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنـه ــ قال: قدم على النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ سبي، فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي، إذا وجـدت صبيا في السبي، أخذته، فألصقتـه ببطنها وأرضعتـه، فقال لنا النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "أترون هذه طارحة ولدها في النار". قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحـه. فقال: "لله أرحم بعباده من هذه بولدها"[2]. فتقدير حذف المضاف هنا: (لله أرحم بعباده من رحمـة هذه بولدها)؛ فغاية الحذف في هذا الموضع هو الإيجاز، حتى يتحقق العنصر البلاغي.

١٠. **حَذْفُ أنْ الْمَصْدَرِيَّة:** يفضل النحاة حذف أن المصدرية بعد واو العطف التي تعطـف فعلاً منصوباً بأن على فعل آخر؛ ذلك أنّ تكرار (أن) سيبدو مملاً. في حين يُلجأ إلى تكرار (لم وَ لن) خوف الالتباس بين نفي الفعل الثاني أو إثباته؛ لأنّ (أن المصدرية) لا تفيد النفي، فلا مجال لحدوث اللبس في حال عدم تكرارها بعد واو العطف، ومن الأمثلة، قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "إني لم أومر أن أنقب قلوب النـاس، ولا أشـق بطـونهم"[3]. وتقدير أن المصدرية المحذوفة: (ولا أنْ أشق بطونهم). فحذفها لا يخل بالعبارة، بل يزيدها قوة.

١٠. **حَذْفُ مَقُولِ الْقَوْلِ:** ولا شك أنّ الحذف هنا سيكون أبلغ من الذكر، وأحسن للتصوير، ومن أمثلته: عن عقبة بن الحارث: أنه تزوج ابنة لأبي إهاب بن عزيز، فأتته امـرأة، فقالت: إني قد أرضعت عقبة، والتي تزوج. فقال لها عقبة: ما أعلم أنك أرضـعتني ولا

---

[1] ينظر: أبو الحسن الأشموني، علي بن مُحمَّد، (ت٩٢٩هـ)، **شرح الأشموني على ألفيَّة بن مالـك**، ط١، ج١، دار إحياء الكتب العربية، ص٥٢٥.

[2] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٥، ص٢٢٣٥، حديث رقم ٥٦٥٣، باب أخذ النَّبيِّ (ص) إبراهيم، فقبَّله وشمَّه.

[3] **نفـسه**، ج٤، ص١٥٨١، حديث رقم ٤٩٤، باب بعث النَّبيِّ علي بن أبي طالب وَخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجَّة الوداع.

أخبرتني. فركب إلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالمدينة، فسأله، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "كيف وقد قيل ؟"، ففارقها عقبة، ونكحت زوجا غيره[١].

فالمحذوف هنا تقديره: (كيف تبقيها عندك وتباشرها، وتفضي إليها، وقد قيل: إنها أختك في الرضاعة). فالرسول ــ عليه السلام ــ لم يشأ أنْ يحرج عقبة، ولم يرد أن يقول له أمام الناس: (هل تقبل أن تتزوج أختك)؛ فغاية الحذف جاءت من باب كراهية الرسول؛ لنطق الكلمات المحذوفة.

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص٤٥، حديث رقم ٨٨، باب الرِّحلة في المسألة النَّازلة، وتعليم أهله.

الْفَصْلُ الثَّالِثُ

الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

التَّوَسُّعُ فِي التَّرَاكِيبِ النَّحْوِيَّةِ

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ: التَّوَسُّعُ لاخْتِلافِ الإعْرَابِ

الْمَبْحَثُ الثَّانِي: التَّوَسُّعُ لاخْتِلافِ تَعْلِيقِ الظَّرْفِ وَالْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ: التَّوَسُّعُ لاخْتِلافِ عَوْدِ الضَّمِيرِ

الْمَبْحَثُ الرَّابِعُ: التَّوَسُّعُ لِلتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ: التَّوَسُّعُ لاخْتِلافِ الإعْرَابِ

يقر الباحثون أن العربية هي من أقرب اللغات إلى السامية الأم؛ وذلك لأن اللغات الأخرى قد تخلّت عن بعض خصائص الأم، وتطورت تطورا جعلها تبتعد عنها، في حين أنّ العربية قد احتفظت بكثير من خصائصها الأم أكثر من شقيقاتها الساميات[١]، فنجد في الساميات اشتقاقاً، ولكن قوالب المشتقات فيها لم تتميّز بأوزانها ومعانيها، كما تميز تطور اللغة العربية، وفيها حروف لم تعرف في غيرها من العائلات اللغوية، ولكن من اللغات ــ سامية كانت أو آريّة أو طورانية ــ لم تتحرر فيها المخارج بحروفها ولا الحروف بمخارجها كما تحررت لغة الضاد.

ومن الخصائص التي ما زالت العربية محتفظة بها، وورثتها من الأمم السامية خصيصة الإعراب التي فقدت من اللغات السامية كافة، ولكنها بقيت محافظة على نضارتها وقيمتها في لغتنا العربية، "فقد احتفظت اللغة العربية بظاهرة الإعراب، وهي من صفات العربية الموغلة في القِدم، في حين أن سائر اللغات السامية ــ عدا الأكَّاديَّة ــ قد فقدت الإعراب من أقدم العصور، وقد دلّ على هذا الإعراب بقايا نجدها في العبرية والحبشيّة"[٢]، وهذا الأمر يؤكده المستشرقون بأنّ "اللغة العربية المألوفة لنا قد احتفظت بعناصر قديمة ترجع إلى الساميّة الأم أكثر ممّا احتفظت به الساميات الأخرى، ففيها من الأصوات ما ليس في غيرها من اللغات الساميّة، وفيها ظاهرة الإعراب ونظامه الكامل"[٣].

ويرى العقاد أنّ ظاهرة الإعراب قد ترعرعت وازدهرت وتطورت في ظل العربية، فيقول: "ما من قاعدة من قواعد اللغات السامية تابعت نموّها ونضجت في تطورها كما نضجت في لغتنا العربية، بعد ذلك التقدّم المتطاول من أقدم العصور.في اللغات السامية إعراب ولكنه قاصر غير مطّرد ولا متناسق في مواضعه، ولم يبلغ قط مبلغ القانون الذي تُعرف منه حدود الاطراد وحدود الاستثناء"[٤].

---

١ حجازي، محمود فهمي، **اللغة العربية عبر القرون**، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٧٨م، ص٢١.

٢ السامرائي، إبراهيم، **فقه اللغة المقارن**، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٨م، ص١٥.

٣ أنيس، إبراهيم، **في اللهجات العربية**، ط٤، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٣م، ص٣٣.

٤ العقاد، عباس محمود، ١٩٦٣م، **أشتات مجتمعات في اللغة والأدب**، القاهرة، دار المعارف، ص ٢٧.

ويعلّل الباحثون بقاء هذه الظاهرة محافظة على ثباتها ونضجها، في حين أنها انقرضت من سائر اللغات السامية، بأنَّ "اللغة العربية قد انعزلت في الصحراء بعيداً عن عوامل التأثير والتأثر باللغات المعاصرة لها، والتي كانت تتأثر في الواقع باللغات الغالبة عليها، كالفارسية والرومية والإغريقية"[١].

فاللغة العربية قد نأت بنفسها في الصحراء بعيداً عن مظاهر التأثر والتأثير باللغات المحيطة بها، ذلك التأثير الذي كان يحدث عن طريق الاتصال التجاري أو الاستعماري عن طريق الحروب، إذ كانت لغة الأمم الغالبة المسيطرة تؤثر في لغة الأمة المغلوبة. ومع توالي الأيام والأزمان كانت لغة الأمم المغلوبة تفقد شخصيتها وهويتها وتذوب في ثقافة الغزاة وحضارتها، ومن الأمور التي تفقدها هذه الأمم المغلوبة: اللغة، وهو ما لم يحدث للّغة العربية عند انعزالها في مجاهل الصحراء، إذّ لا مطمع للغزاة في تلك المناطق القاحلة المقفرّة، وإنما كانوا يسيطرون على القبائل التي كانت على أطراف الصحراء أمثال المناذرة والغساسنة واليمن، وبهذا حافظت العربية على هويتها وشخصيتها الأصيلة وحافظت على مميزاتها ونقائها اللغوي إلى حد كبير.

إضافةً إلى ذلك صار الإعراب "الحد الفاصل بين مرحلتين متميزتين في تاريخ العربية، ونعني بهما: العربية الفصحى في ثوبها القديم الذي ورثته عن اللغة السامية الأصيلة، والعربية الحديثة التي تفرّعت إلى لهجات متعددة تخلّى فيها الناس عن الإعراب في لغة الكلام العادي"٢، وغدا الإعراب "هو الفارق الذي يميز عند المثقفين العرب بين العربية والفصحى وجميع القوالب والأساليب المولدة، حتى اللهجات الدارجة واللغات العامية العربية"[٣].

وعلى الرغم من ذلك وثبوت أصالة الإعراب في اللغة العربية منذ أقدم عصورها، إلا أننا نجد من يطعن في أصالته٤، ويهدف إلى تخريب العربية وتشويه معالم أصالتها وجمالها. فمنهم من يقول: لو كان الإعراب أصيلاً وثابتاً لما فقدته اللهجات التي آثرت تسكين أواخر الكلمات،

---

١ شاهين، عبد الصبور، **في علم اللغة العام**، ط٣، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠م، ص ٢٢٠.

٢ البركاوي، عبد الفتاح، **الفصحى ولهجاتها**، ط١، القاهرة، ١٩٨٤م، ص١٢١.

٣ عبد التواب، رمضان، **العربية (دراسات في اللغة واللهجات والأساليب): يوهان فك**، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٠م، ص١٤.

٤ منهم: إبراهيم أنيس وَإبراهيم السامرائي.

ولولا القرآن الكريم الذي يجب المحافظة عليه بلفظه وشكله وإعرابه، لأضحى الإعراب حلية أو زينة من شأنها أن تزول. فإبراهيم أنيس يقول: "إنّ الإعراب قصة وضعها النحاة استمدّوا خيوطها من ظواهر لغوية متناثرة بين قبائل الجزيرة العربية ثم حيكت وتمّ نسجها حياكة محكمة في أواخر القرن الأول الهجري على يد قوم من صنّاع الكلام نشأوا وعاشوا معظم حياتهم في البيئة العراقية"[١].

لقد أقرّ النحاة أنّ الإعراب فرع للمعنى ولازمة من لوازمه، لذا نجدهم قد أوجبوا على المعرب " أن يفهم ما يريد أن يعربه مفرداً كان أو مركباً قبل الإعراب، فإنّه فرع للمعنى"[٢].

ويرى المبرد أنّ: "كل ما يصلح به المعنى فهو جيد، وكل ما أُفسد به المعنى فمردود"[٣]، وإنّ عدم التزام النحاة (قاعدة الإعراب فرع للمعنى) صرفهم إلى التعليل والتأويل. فالنحاة كانوا يرون في النحو وسيلة للأداء السليم، فلم يكونوا ليجيزوا وجهين أو أكثر جائزين لفظاً إلا إذا كان لكل منهما معنى خاصٌ يستدلّ عليه من خلال علامات الإعراب، ومن المقرر عندهم أنّ الإعراب يؤثر "إذا كان بحيث يصحّ اختلاف المدلول"[٤]. فهنا تبرز فضيلة الإعراب في التفريق بين المعاني، وكذلك فإنّ التمسك بصحة المعنى يؤدي إلى الإعراب الصحيح"[٥]. ومن هنا نتوصّل إلى أنّ الإعراب يختلف باختلاف المعاني المعتورة للتراكيب. وهذا يعود بنا إلى القاعدة التي بدأنا بها من أنّ الإعراب فرع للمعنى، وعليه: "فكل تركيب له معناه الخاص به وله ــ تبعاً لذلك ــ وجه إعرابي واحد، وليس ثمّ أكثر من وجه في الإعراب، إلا لأكثر من وجه من وجوه المعنى والتراكيب"[٦]. ولعلّ من أهم الأسباب التي أدّت إلى وجود ظاهرة تعدد الأوجه الإعرابية في النحو:

---

١ يُنظَر: أنيس، إبراهيم، **من أسرار اللغة**، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٦م، ص١٨٣.

٢ الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج١، ص٣٠٢؛ وينظر السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج١، ص٣٨٢.

٣ المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (٢٨٥هـ)، **المقتضب**، ج٤، تحقيق عبد الخالق عضيمة، بيروت، عالم الكتب، ص٣١١.

٤ ابن برهان العكبري، أبو القاسم عبد الواحد بن علي (ت٤٥٦هـ)، **شرح اللّمع**، ط١، ج٢، تحقيق: فائز فارس، الكويت، المجلس الوطني للثقافة، ١٩٨٤م، ص٣٨٤.

٥ الزركشي، **البرهان**، ج١، ص٣٠٩.

٦ الحمادي، يوسف، **النحو في إطاره الصحيح**، القاهرة، مكتبة مصر، ص١٢٦.

أوّلاً: الاختلاف في الفهم.

ثانياً: النَّظرة السَّطحيَّة في قياس الأمثلة.

ثالثاً:الخلافات المذهبيَّة، وهي على أنواع:

أ. الخلافات المذهبيَّة العقائديَّة.

ب. الخلافات المذهبيَّة الفقهيَّة.

ج. الخلافات المذهبيَّة النَّحْويَّة.

إضافة إلى الأسباب الداخلية التي أدّت إلى وجود ظاهرة تعدد الأوجه الإعرابية التي لها مساس باللغة، كقضية اللفظ والمعنى، فكل تركيب له معناه الخاص به، وتبعاً لذلك المعنى، يجب أن يكون له وجه إعرابي واحد، وليس هناك أكثر من وجه إلا في حالة وجود وجوه من المعاني والتراكيب. وانطلاقا من هذه القاعدة، كان بعض النحاة ينتقلون من المعنى وتحليل السياق إلى الإعراب أو يلمحون الخلل الإعرابي، فيدركون أن ثمّة خللاً في المعنى.

وموضوع التوسع لاختلاف الإعراب تناثرت جزئياته بشكل لافت في الأحاديث النبوية الشريفة لا سيما في أحاديث صحيح البخاري، إذ نجد أنّ التوسع شمل المرفوعات والمنصوبات والمجرورات وغيرها، نذكر منها:

ـ ورد في الصحيحين: أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ركب حمارا عليه إكاف تحته قطيفة، فدكية، وأردف وراءه أسامة بن زيد ـ وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج ـ وذلك قبل وقعة بدر، حتى مر في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين، عبدة الأوثان واليهود، وفيهم عبد الله بن أبي بن سلول، وفي المجلس عبد الله بن رواحة. فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة، خمرَ عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم عليهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ثم وقف، فنزل، فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبدالله بن أبي ابن سلول: أيها المرء، لا أحسن من هذا، إن كان ما تقول حقا، فلا تؤذنا في مجالسنا، وارجع إلى رحلك، فمن جاءك منا، فاقصص عليه[١].

---

١ البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٥، ص٢٣٠٧، حديث رقم ٥٨٩٩، باب التَّسليم في مجلس فيه أخلاط.

في قول عبد الله بن أبي: (لا أحسن)، وجهان[١]: أحدهم الرفع على أنّه خبر لا، والاسم محذوف تقديره: لا شيء أحسن من هذا. والثاني: النصب، وفيه وجهان: أحدهما أنّه صفة لاسم لا محذوف ومن خبر لا، ويجوز أن يكون الخبر محذوفاً، وتكون (من) متعلقة بأحسن، أي: لا شيء أحسن من كلام هذا، في الكلام أو في الدنيا. والثاني أن يكون منصوباً بفعل محذوف تقديره: ألا فعلت أحسن من هذا ؟ وحذفت همزة الاستفهام لظهور معناها.

ـ ومن حديث أسامة: "دفع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من عرفة، فنزل الشِّعب، فبال، ثم توضأ، ولم يسبغ الوضوء. فقلت له: (الصلاة). فقال: (الصلاة أمامك). فجاء المزدلفة فتوضأ، فأسبغ، ثم أقيمت الصلاة، فصلى المغرب، ثم أناخ كل إنسان بعيره في منزله، ثم أقيمت الصلاة، فصلى ولم يصل بينهما[٢].

يقول العكبري[٣]: الوجه النصب على تقدير: أتريد الصلاة أو تصلي الصلاة ؟ فقال له ما معناه: الآن، لا، بل نؤخرها إلى أن نأتي بها مع العشاء الآخرة بالمزدلفة.

ـ وفي حديث وفاة إبراهيم : "إنما يرحم الله من عباده الرحماءَ"[٤]. يقول العكبري: يجوز في الرحماء النصب على أن تكون (ما) كافة، كقوله تعالى: "إنَّما حرَّم عليكم المَيْتة"، ويجوز الرفع على تقدير: إنّ الذي يرحمه الله"[٥].

ـ وفي الحديث: "قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "بُنِيَ الإسلام على خمسٍ: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم

---

١ العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت٦١٦هـ)، **إعراب الحديث النبوي**، تحقيق: حسن موسى الشاعر، وزارة الثقافة والشباب ، (د. ت)، ص٥٣.

٢ البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٢، ص٦٠١، حديث رقم ١٥٨٨، باب الجمع بين الصَّلاتين بالمزدلفة.

٣ العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، (ت ٦١٦هـ)، **إعراب الحديث النبوي**، تحقيق: عبد الإله نبهان، بيروت، دار الفكر المعاصر، ودمشق، دار الفكر، (د. ت)، ص٥٩.

٤ البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٦، ص٢٤٥٢، حديث رقم ٦٢٧٩، باب قوله تعالى: "**وَأقسموا بالله جهد أيمانهم**"، **الأنعام**، آية ٨.

٥ العكبري، **إعراب الحديث النبوي**، تحقيق: عبد الإله نبهان، ص٦٣.

رمضان"١. يجوز أن تكون (شهادة) بالجر، وكذلك ما بعده على البدل من (خمس)، وبالرفع على تقدير (هي شهادة)، وهو الأقرب[٢].

ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنّه قال: قلت: يا رسول الله :من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال: "لقد ظننت يا أبا هريرة، أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قبل نفسه"[٣].

لقد نصب (أولَ) هنا على الحال في معنى لا يسألني أحد سابقاً لك. وجاز[٤] نصب الحال على النكرة؛ لأنها في سياق النفي، فتكون عامة، كقولهم: ما كان أحدٌ مثلك؛ وما في الدار أحد خيراً منك.

ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يؤذي جاره، واستوصوا بالنساء خيرا؛ فإنهن خلقن من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه. فإن ذهبت تقيّمه، كسرته، وأن تركتهّ لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرا"[٥]. قال: فاستوصوا، أي: اقبلوا وصيتي، فعلى هذا في نصب (خير) وجهان[٦]:
أحدهما: مفعول (استوصوا)؛ لأنّ المعنى افعلوا بهنَّ خيراً.
والثاني: معناه اقبلوا وصيتي، وائتوا في ذلك خيراً، فهو منصوب بفعل محذوف، كقوله تعالى: "ولا تقولوا ثلاثةٌ انتهوا خيراً لكم" [٧]، أي انتهوا عن ذلك وائتوا خيراً[٨].

---

١ البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٦، ص١٢، حديث رقم ٨، باب الإيمان وقول النَّبيِّ ـ صلَّى الله عليه وَسلَّم ـ : "بُنِيَ الإسلام على خمسٍ".

٢ العكبري، **إعراب الحديث**، ص١٢٨.

٣ البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٥، ص٣٤٠٢، حديث رقم ٦٢٠١، باب صفة الجنَّة وَالنَّار.

٤ ينظر في: العكبري، **إعراب الحديث**، ص٢٦.

٥ البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٥، ص١٩٨٧، حديث رقم ٤٨٩٠ ، باب الوصاة بالنِّساء.

٦ ينظر: العكبري، **إعراب الحديث**، ص٢٦٧.

٧ **النساء**، آية ١٧١.

٨ ينظر: ابن الأنباري، **البيان**، ج١، ص٢٧٨.

ـ "وعن عمر بن الخطاب أنّ رجلاً على عهـد النبي ـ صلى الله عليـه وسلم ـ كان اسـمه عبد الله، وكان يلقب حماراً، وكان يضحك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان النبي قد جلده في الشراب، فأتي به يوماً، فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به ! فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا تلعنوه، فوالله ما علمت إلاّ أنّه يحب الله ورسوله"[1].

في حديثه : "لا تلعنوه ـ يعني حمارا ـ فوالله ما علمت أنّه يحب الله ورسوله"، في المعنى وجهان: أحدهما: أنّ (ما) زائدة، أي: فوالله علمت إنه، والهمزة على هذا مفتوحـة لا غيـر. الثاني: أن لا تكون زائدة، ويكون المفعول محذوفاً، أي: ما علمت عليه أو منه سوءاً، ثم استأنف فقال: إنه يحب الله ورسوله. فالهمزة على هذا مكسورة[2].

ـ وعن ابن شهاب قال: حدثني عروة أنّ ـ عائشة رضي الله عنها ـ زوج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حدثته أنها قالت للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : هل أتى عليك يوم أشدّ من يوم أحد ؟ قال: "لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشدُّ ما لقيت منهم يوم العقبة، إذْ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلّتني، فنظـرت فـإذا فيهـا جبريل، فناداني، فقال: إنّ الله قد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال فسلّم عليّ ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إنْ شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[3]، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا[4].

---

١ البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٦، ص٢٤٨٩، حديث رقم ٦٣٩٨، باب ما يكره من لعن شارب الخمـر وأنَّـه ليس بخارجٍ من الملّة،

٢ العكبري، **إعراب الحديث**، تحقيق:عبد الإله نبهان، ص٢٩٧.

٣ **الأخشبان:** جبلا مكة المطيفان بها: أبو قبيس وَالأحمر.

٤ البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٣، ص١١٨٠، حديث رقم ٣٠٥٩ ، باب إذا قال أحدكم آمين وَالملائكـة فـي السَّماء فوافقت إحداهما الأخرى غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه.

في إعراب (ذلك) ينبغي أن تكون في موضع نصب على تقدير (افعل ذلك)؛ لأنّ المَلَك كان مأموراً أن يفعل ما شاء رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، ويجوز أن يكون في موضع رفع، على تقدير (لك ذلك)[١].

ــ "وعن ابن شهاب عن هند بنت الحارث الفراسيّة أنّ أم سلمة زوج النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قالت: استيقظ رسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ليلةً فزعاً يقول: سبحان الله، ماذا أنزل الله من الخزائن، وماذا أنزل من الفتن !! من يوقظ صواحب الحجرات ــ يريد أزواجه ــ لكي يصلين. يا رب كاسيةٍ في الدنيا عاريةٍ في الآخرة"[٢].

الأفضل أن تكون كلمة (عاريةٍ) نعتا مجرورا، وقد تكون مرفوعة على تقدير حذف المبتدأ، أي: هنّ عاريات، ولكنّ الرفع ضعيف[٣]؛ لأنّ (ربّ) ليست اسماً يخبر عنه بل هي حرف جر.

ــ وعن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول: "إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم، اتّخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسُئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلّوا وأضلّوا"[٤].

في إعراب (انتزاعاً) عدة أوجه[٥]:

١. أن يكون مفعولاً مطلقاً، والعامل (يقبض) على مثال: رجع القهقرى.

٢. أن يكون مفعولا مطلقا مقدماً على عامله الذي من لفظه وهو (ينزعه)، وجملة ينزعه تكون حالا ًمن الضمير في (يقبض)، والتقدير: إنّ الله لا يقبض العلم حال كونه ينتزعه انتزاعاً من العباد.

---

١ العكبري، **إعراب الحديث**، ص٣٦٦.

٢ البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٦، ص٢٥٩١، حديث رقم٦٦٥٨، كتاب الفتن، باب لا يأتي زمانٌ إلاّ الذي بعده شرٌّ منه.

٣ العكبري، **إعراب الحديث**، ص٣٩٦.

٤ البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص٥٠، حديث رقم١٠٠، باب كيف يقبض العلم.

٥ ينظر: أبو بكر، **من بلاغة السنّة**، ص٣٨.

٣. أن يكون حالاً من العلم بمعنى منتزعاً، وَالتقدير: إنّ الله لا يقبض العلم حال كونه منتزعــاً. ويجوز أن تكون جملة ينتزعه في محل نصب صفة لانتزاعاً، ويجوز أيضاً أن تكــون صــفة لمنتزعٍ، وكل هذا من باب الاتساع.

ــ وعن واصل بن الأحدب عن المعرور، قال: لقيت أبا ذرٍّ بالربذة وعليه حِلّة وعلــى غلامــه حِلّة، فسألته عن ذلك، فقال: إنّي ساببتُ رجلاً، فعيّرته بأمه، فقال لي النبي ــ صــلى الله عليــه وسلم ــ : "يا أبا ذر أعيّرته بأمّه، إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خــوّلكم، جعلهــم الله تحــت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلــبهم، فإنْ كلفتموهم فأعينوهم"[١].

إعراب (إخوانكم خوّلكم)، يجوز فيها وجهان[٢]:

الأوّل: أن يكون (خولكم) مبتدأ، وَ(إخوانكم) خبر مقدّم.

الثاني: أن يكون كل منهما خبرا لمبتدأ محذوف تقديره هم إخوانكم وهم خولكم.

وإعراب الفاء في (فمن كان ...)، فهي عاطفة جملة على جملة، إذّ المعنى: وأنتم مالكون إياهم، ويجوز من باب الاتساع أن تكون سببية، ويبدو أنه الأصوب.

ــ عن أبي هريرة عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: إنّ الدين يسر، ولن يُشَادَ الدينَ أحد إلاّ غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة"[٣]. جــاء فــي بعض الروايات (الدينُ) مرفوعاً من غير ذكر كلمة أحد، فهو نائب فاعل على هذه الرواية، وفي رواية إسقاط (أحد) جاءت كلمة (الدينَ) منصوبة بـــ(يشاد) من غير ذكر الفاعل. يقول العينــي: الفعل (يُشَاد) فعل ليس له فاعل على رواية إسقاط (أحد)، وحذف الفاعل للعلم به، والدين: مفعول به، لكنّ الجمهور على أنّه مبني لما لم يسم فاعله[٤]، أما على رواية ذكر (أحد) فالأمر ظــاهر، فَــ(يشاد) مضارع منصوب.

١البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص٢٠، حديث رقم٣٠، باب المعاصي من أمر الجاهليَّة ولا يكفر صــاحبها بارتكابها إلا بالشِّرك،

٢ ينظر: أبو بكر، محمد بيلو أحمد، **من بلاغة السنّة**، مطبعة القاهرة، ١٩٧٩م، ص٤٤، ٤٥.

٣ البخاري، **الجامع الصحيح**، باب الإيمان وفي كتاب الرقاق؛ وَ**عمدة القاري**، ج٢٣، ص٦٣.

٤ ينظر: العيني، **عمدة القاري**، ج١، ص٢٣٨.

ـــ وفي قوله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ : "قمت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين، وإذا أصحاب الجدّ محبوسون غير أنّ أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار، وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء"١.

تعرب (محبوسون) خبرا لِـ(أصحاب)، و(إذا) ظرفا للخبر. ويجوز أن تنصب (محبوسين) على الحال، وتجعل (إذا) خبراً، والتقدير: فبالحضرة أصحاب الجد، فيكون (محبوسين) حالاً، والرفع أقوى، والعامل في الحال (إذا)، أو ما يتعلق به من الاستقرار، وَ(أصحاب) صاحب الحال.

ـــ وفي حديثه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ للأعرابي: "حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن نعيم بن عبد الله المجمر عن علي بن يحيى بن خلاد الزرقي عن أبيه عن رفاعة بن رافع الزرقي قال: كنا يوما نصلي وراء النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فلما رفع رأسه من الركعة قال: "سمع الله لمن حمده". قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمداً طيبا مباركا فيه. فلما انصرف، قال: "من المتكلم ؟". قال: أنا. قال: "رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أول"[٢].

في انتصاب (حمداً) وجهان: أحدهما: هو حال موطئة، أي لك الحمد طيباً، والعامل في الحال الاستقرار في (لك)، ونظيره قوله تعالى: "قرآناً عربياً"٣. والثاني: أن ينتصب على المصدر، أي نحمدك حمداً، وَ(لك الحمد) دال على الفعل المقدّر٤.

ـــ وفي حديثه: "من صام رمضان إيماناً واحتساباً"٥، في نصبه وجهان٦:
أحدهما: هو مصدر في موضع الحال، أي من صام مؤمناً محتسباً، كقوله تعالى: "يأتينك سعياً"١، أي: ساعيات.

---

١ البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٥، ص١٩٩٤، حديث رقم٤٩٠٠، باب لا تأذن المرأة في بيتها لأحدٍ إلا بإذنها.

٢ **نفسه**، ج١، ص٢٧٥، حديث رقم ٧٦٦، باب فضل اللّهم ربّنا لك الحَمْد.

٣ **الزُّمَر**، آية ٢٨.

٤ ينظر: العكبري، **إعراب الحديث**، تحقيق: حسن موسى الشاعر، ص١١٨.

٥ البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص٢٢، حديث رقم ٣٨، باب صوم رمضان احتساباً من الإيمان.

٦ ينظر: العكبري، **إعراب الحديث**، تحقيق: حسن موسى الشاعر، ص١٦٥.

والثاني: هو مفعول لأجله، أي للإيمان والاحتساب، ونظيره في الوجهين: قوله تعالى: "اعملوا آل داود شكراً"٢.

ــ وفي حديثه: "إنّ لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً"٣. تعرب (مائة) بدل منصوب من تسعة وتسعين، ويجوز٤ أن تكون بالرفع على تقدير هي مائة.

ــ وفي حديث عمرو بن عوف: "فوالله ما الفقرَ أخشى عليكم"٥. تعرب (الفقرَ): مفعولاً به منصوباً بأخشى، تقديره: ما أخشى عليكم الفقر. والرفع ضعيف؛ لأنه يحتاج إلى ضمير يعود عليه، وإنما يجيء ذلك في الشعر٦، وتقديره: ما الفقرُ أخشاه عليكم، أي: ما الفقر مخشياً عليكم، وهو ضعيف.

ــ وفي حديث أبي الدرداء، واسمه عويمر بن عامر: "إذا أقبل أبو بكر آخذاً ... هل أنتم تاركو لي صاحبي"٧. الوجه: تاركون؛ لأنّ الكلمة ليست مضافة؛ ولأنّ حرف الجر يمنع الإضافة. وإنما يجوز حذف النون في موضعين٨: أحدهما الإضافة، ولا إضافة هنا، والثاني: إذا كان في (تاركون) الألف واللام.

ــ وفي حديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "لا صاعين بصاع، ولا درهمين بدرهم"٩. وقد ورد في صحيح مسلم بصيغة أخرى: "لا صاعي تمر بصاع، ولا صاعي حنطة بدرهمين"١٠.

---

١ **البقرة**، آية ٢٦٠.

٢ **سبأ**، آية ١٣.

٣ البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم ٦٩٥٧ ،ج٦، ص٢٦٩١ ، باب إن لله مائة اسم إلا واحدا.

٤ ينظر: العكبري، **إعراب الحديث**، تحقيق: حسن موسى الشاعر، ص١٦٥.

٥ البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٥، ص٢٣٦١، حديث رقم ٦٠٦١، باب ما يحذر من زهرة الدُّنيا وَالتَّنافُس فيها.

٦ ينظر: العكبري، **إعراب الحديث**، تحقيق: حسن موسى الشاعر، ص١٩٠.

٧ البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٣، ص١٣٣٩، حديث رقم ٣٤٦١، باب قول النَّبيِّ لو كنت متَّخذاً خليلاً.

٨ ينظر: العكبري، **إعراب الحديث**، تحقيق: حسن موسى الشاعر، ص١٩١.

٩ البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٢، ص٧٣٢، حديث رقم ١٩٧٤، باب بيع الخلط من التَّمْر.

١٠ مسلم، **صحيح مسلم**، ج٣، ص١٢١٦، حديث رقم ١٥٩٥، باب بيع الطّعام مثلاً بمثل.

والشاهد في هذا الحديث ورود (لا) النافية للجنس، اسمها مثنّى، فقد اختلف النحاة في اسم لا النافية للجنس عندما يكون مثنىً أو جمعاً، فقد ذهب أبو العباس المبرّد إلى أنّ اسم (لا) إذا كان مثنى أو مجموعاً جمع مذكّر سالم. فهو معرب منصوب بالياء، وليس مبنياً كما ذهب إليه جمهور النحاة، واحتجّ لِما ذهب إليه بأنّ التثنية والجمع من خصائص الأسماء، وأنّ الاسم يُبنى لشبهه بالحرف[١].

ويرى الدكتور عودة أبو عودة "أنْ يكون اسم لا النافية للجنس مبنياً على ما كان يُنصب به؛ لأنّه يتركّب مع (لا) ويصير معها كالشيء الواحد، وإلى هذا ذهب معظم النحاة؛ فهو في المفرد يُبنى على الفتح؛ لأنّ نصبه كان بالفتحة، وهو في المثنّى وجمع المذكّر السالم يبنى على الياء؛ لأنهما كانا ينصبان بها، فكلمة (صاعين) في الحديث الشريف: اسم لا النافية للجنس مبني على الياء في محل نصب"[٢].

ـ وفي قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في سفر، فكنا إذا علونا، كبرنا. فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "أيها الناس، أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، ولكن تدعون سميعا بصيرا". ثم أتى عليَّ وأنا أقول في نفسي لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله. فقال : "يا عبد الله بن قيس، قل: لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله؛ فإنها كنز من كنوز الجنة". أو قال: "ألا أدلك على كلمة هي كنز من كنوز الجنة ؟ لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله"[٣].

إعراب كلمتي (حول، قوّة)، يجوز فيهما خمسة وجوه:
الأول: فتح الأول وفتح الثاني، أي: (لا حولَ ولا قوّةَ إلاّ بالله) على اعتبار لا النافية للجنس تعمل عمل إنّ، وهي حرف مبني على السكون.

---

١ المبرد، **المقتضب**، ج٤، ص٣٦٦.

٢ أبو عودة، **بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين**، ص٢٧٠.

٣ البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٥، ص٢٣٤٦، حديث رقم ٦٠٢١، ، باب الدُّعاء إذا علا عقبه.

ــ وحول: اسم لا مبني على الفتح في محل نصب، والخبر[1] تقديره لنا أو كائن أو موجود.

ــ أمّا إعراب ولا قوّة: الواو حرف عطف، ولا النافية للجنس، وقوة: اسم لا مبني على الفتح في محل نصب، والخبر محذوف تقديره موجود[2].

الثاني: فتح الأوّل ونصب الثانية، أي: "لا حولَ ولا قوّةً إلا بالله". فإعراب لا حول كما ورد في الوجه الأوّل، أمّا إعراب ولا قوّةً: اسم معطوف ــ على محل اسم لا قبلها ــ منصوب وعلامة نصبه تنوين الفتح الظاهر على آخره٣.

الثالث: فتح الأوّل ورفع الثاني (لا حولَ ولا قوّةُ إلاّ بالله)؛ على اعتبار إعراب ولا قوة: الــواو حرف عطف، ولا حرف نفي زائد للتوكيد، وقوّة: اسم معطوف على محل لا الأولى مع اسمها؛ لأنّ محلهما هو الرفع بالابتداء مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره٤.

الرابع: رفع الأولى ورفع الثانية، أي: (لا حولٌ ولا قوّةٌ إلاّ بالله). وإعرابها: كالتالي:

ــ لا: حرف نفي يعمل عمل ليس مبني على السكون.

ــ حولٌ: اسم لا مرفوع وعلامة رفعه تنوين الضم الظاهر على آخره.

ــ ولا: الواو حرف عطف، لا:حرف نفي زائد مبني على السكون لا محل له من الإعراب

---

١ مذهب النحويين في حذف خبر لا النافية للجنس، أنه يجب ذكره إذا جهل هذا الخبر، وذلك إذا لم يعلــم بعــد حذفه، فإذا علم، وذلك بأنّ دلّت القرائن اللفظية أو المعنوية عليه، فالأكثر حذفه كما يقول الحجــازيون. وذهــب التميميون وَطيء إلى وجوب حذفه في هذه الحال؛ يُنظر: السيوطي، **همع الهوامع**، ج١، ص١٤٦.

٢ وبناءً على هذا الوجه الإعرابي يكون الكلام جملتين، وبإمكانك أن تجعل الكلام جملة واحدة، وذلك بأن تجعل الواو حرف عطف فتعطف بها قوة على حول، وَلا زائدة لتوكيد النفي، وتُقدِّر خبراً مرفوعاً لهــا، والتقــدير: لا حول ولا قوّة لنا. أو تجعل (الواو) وَ(لا) كما سلف، وقوّة معطوفة على حول وتقدّر خبراً لِــ(لا) الثانية، وتجعل خبر (لا) الأولى محذوفاً لدلالة الثاني عليه، ويكون التقدير لا حول (لنا) ولا قوة (لنا) إلاّ بالله.

٣ وفي هذا الحال يكون الكلام جملة واحدة؛ لأنّ الثاني معطوف على الأول عطف مفرد على مفرد، وقــد لجــأ الزمخشري إلى تقدير فعل ينصب قوة، والتقدير لديه: (ولا أرى قوّة)، وقيل: إنّ إعراب قوة منــصوب عطفــاً على (حول) لفظاً ومحلاً؛ لأنّ أصل حول عندهم أنه منوّن، وأنّ تنوينه قد حذف للتخفيف.

٤ والكلام جملة واحدة، ويجوز أن تعمل لا الثانية عمل ليس أو تلغيها وما بعدها يكون مبتــدأ، وعلــى هــذين الوجهين الأخيرين يكون الكلام جملتين.

ــ قوةٌ: اسم معطوف على حول، والمعطوف على المرفوع مرفوع مثلــه، والخبــر محــذوف تقديره لنا١.

الخامس: رفع الأول وفتح الثاني، أي: (لا حولٌ ولَا قوّةً إلاّ بالله)، وإعرابها على النحو التالي:
ــ لا حولُ: لا حرف نفي يعمل عمل ليس مبني على السكون. وحولُ: اسم لا مرفوع وعلامــة رفعه الضمة الظاهرة. والخبر محذوف تقديره لنا.
ــ ولا قوّة: الواو حرف عطف، ولا نافية للجنس تعمل عمل إنّ. قوّةَ: اسم لا مبني على الفــتح في محل نصب، والخبر محذوف تقديره لنا، وجملة (لا) مع معموليها معطوفة على ما قبلها، فلا محل لها من الإعراب.

ــ يقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن أبي هريرة، أن رسول الله ــ صلى الله عليــه وسلم ــ قال: "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ــ وهو أعلم بهم ــ كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون: "تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون"[٢].

قيل في إعراب الواو في يتعاقبون: حرف دال على جمع الذكور مبني على السكون لا محل له من الإعراب، وملائكة: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره. والجملة من الفعل والفاعل ابتدائيّة لا محلّ لها من الإعراب.

---

١ والكلام جملة واحدة ويجوز أن نعرب لا الثانية عاملة عمل ليس أو ملغاة، وما بعدها مبتدأ، والكــلام حينئــذٍ جملتان، والواو عطفت جملة على جملة.

٢ البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص٢٠٣، حديث رقم ٥٣٠، باب فضل صلاة العَصْر، وتوجد رواية أخرى للحديث بلفظ: (الملائكة يتعاقبون: ملائكة بالليل وملائكة بالنهــار ...)؛ البخــاري، **الجــامع الــصحيح**، ج٣، ص١١٧٨، حديث رقم ٣٠٥١، باب ذكر الملائكة؛ **وَصحيح مسلم**، ج١، ص٤٣٩، حديث رقم ٦٣٢، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما؛ وَينظر: ابن مالك، محمد بن عبد الله (ت٦٧٢ هــ)، **شرح الكافيــة الشّافية**، ج٢، تحقيق: د. عبد المنعم هريدي، دار المأمون للتراث، منشورات مركز البحث العلمي، جامعــة أم القرى، ١٩٨٢م، ص٥٨١؛ وَابن هشام، **مغني اللبيب عــن كتــب الأعاريــب**، ج١، ص٤٧٨؛ وَابــن هــشام الأنصاري، **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، ج١، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، (د. ت)، ص١٠٥.

وقيل إنّ الواو في محل رفع فاعل، والاسم المرفوع بعدها إمّا أنْ يكون بدلاً منها (بدل كل من كل)، وإمّا أن يكون مبتدأ والجملة قبله خبره[١].

ـ ويقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : عن أنس بن مالك: "أن رسول الله ركب فرسا، فصرع عنه، فجحش شقه الأيمن، فصلى صلاة من الصلوات ـ وهو قاعد ـ فصلينا وراءه قعودا، فلما انصرف، قال: "إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا صلى قائما، فصلوا قياما، فإذا ركع فاركعوا، وإذا رفع فارفعوا، وإذا قال سمع الله لمن حمده، فقولوا: ربنا ولك الحمد، وإذا صلى قائما، فصلوا قياما، وإذا صلى جالسا، فصلوا جلوساً أجمعون"[٢].

تعرب جلوساً: حال منصوب وعلامة نصبه تنوين الفتح، أجمعون: توكيد للضمير في (فصلّوا) مرفوع وعلامة رفعه الواو؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. وقيل في إعرابها: أجمعين[٣]: حال منصوب وعلامة نصبه الياء؛ لأنّه جمع مذكر سالم[٤].

---

١ إنَّ الأصل في الفعل إذا أسند إلى فاعل مثنى أو جمع أنْ يُجرَّد من علامتي التثنية والجمع، فيكون كحاله إذا أسند إلى مفردٍ، غير أنّ بعض العرب أمثال: (طيء أزد شنوءة، أو بلحارث) كانوا يلحقون الفعل علامة التثنية والجمع إذا كان الفاعل الظاهر مثنىً أو جمعاً، وهم يشبهون هاتين العلامتين بعلامة التأنيث.

٢ البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص٢٤٤، حديث رقم ٦٥٧ ، باب إنَّما جعل الإمام ليؤتمَّ به.

٣ وردت بلفظة (أجمعين)، البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص٢٥٣، حديث رقم ٦٨٩، باب إقامة الصَّف من تمام الصَّلاة.

٤ ذهب ابن مالك إلى جواز أن يكون (أجمعين) توكيداً لضمير محذوف منصوب، والتقدير (أعنيكم أجمعين)، ومعنى ذلك أنّه جاز أن يؤكّد المحذوف الذي اختلف في جواز توكيده، فقد أجاز الخليل وسيبويه بناء على أنّ التوكيد يدلّ على المحذوف، ومنعه الأخفش والفارسي وابن جني بناء على أنّ الغرض من التوكيد هو التقوية والحذف ينافيه، واختار أبو حيَّان عدم الجواز؛ لأنّ ذلك يحتاج إلى سماع العرب؛ ينظر: ابن مالك، محمد بن عبد الله (ت٦٧٢ هـ)، **شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ**، تحقيق: عدنان عبد الرحمن الدوري، وزارة الأوقاف العراقية، مطبعة العاني، بغداد ١٣٩٧ ـ ١٩٧٧م، ص٥٦٨.

الْمَبْحَثُ الثَّانِي: التَّوَسُّعُ لاخْتِلافِ تَعْلِيقِ الظَّرْفِ وَالْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ

قال المبرد: "اعلم أنّ الظروف من المكان تقع للأسماء والأفعال، فأما وقوعها للأسماء، فلأنّ فيها معنى الاستقرار، تقول: زيدٌ خلفك، وعبد الله عندكم؛ لأنّ فيه معنى: استقرّ عبد الله عندكم"[١]. ومثل ذلك قال الزجاجي وابن جني والزمخشري[٢]، ورأى ابن هشام أنّ الظرف أو الجار والمجرور هو الخبر دون حاجة إلى تقدير أو تفسير[٣]، ورأى ابن معط والسيوطي أنه يمكن اعتبار الجار والمجرور أو الظرف هو الخبر، إذا كانت الفائدة تتحقق بذكرها دون الحاجة إلى تقدير[٤].

وفي العصر الحديث وقف النحاة من هذه المسألة أيضاً موقفين: فعلى حين دافع عباس حسن عن موقف النحاة في اعتماد فكرة التعلق دفاعاً قويّاً، ورأى أنّ : "رأيهم في وجوب تعلق شبه الجملة سديد، وأنّ حجّتهم في تحتيم هذا التعلق قويّة"[٥]، فقد دافع مهدي المخزومي عن فكرة إلغاء التعليق، ورأى أنّ اعتبار شبه الجملة خبراً هو أقرب إلى الموقف اللغوي. وهو خطوة في سبيل التيسير[٦].

ويرى الدكتور عودة أبو عودة: "أنّ التمسك بفكرة التعلق هو الرأي الأقرب إلى طبيعة اللغة، وإلى حقيقة المبتدأ والخبر، فالمبتدأ والخبر كلاهما شيء واحد في المعنى، فالمبتدأ يكون خبراً، والخبر يكون مبتدأ في نسق الكلام العربي ..."[٧].

---

١ المبرد، **المقتضب**، ج٤، ص٣٢٩.

٢ ينظر: العكبري، **شرح اللمع**، ص١١١؛ وَالزمخشري (جارالله محمود بن عمر)، **المُفصَّل في علم العربية**، ط٢، دار الجيل بيروت، ص٢٤، وغيرهم كثير.

٣ ينظر: ابن هشام، جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، **شرح قطر الندى وبل الصدى**، ط٢، إشراف: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ ــ ١٩٩٤م ، ص ١٥٨.

٤ السيوطي، **همع الهوامع**، ج١، ص٩٨، ٩٩.

٥ حسن، عباس، **النحو الوافي**، ط٤، ج١، دار المعارف، مصر، ص٤٧٨، ج٢، ص٢٣٦.

٦ المخزومي، مهدي، **في النحو العربي ــ قواعد وتطبيق**، ط١، ١٩٦٦، ص١٨١.

٧ أبوعودة، **بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين**، ص١٩٠.

ومن خلال استعراض مواطن الخبر شبه الجملة في الحديث النبوي الشريف، يتبين أنّه من الأقرب إلى طبيعة السياق وحقيقة الموقف اللغوي أن نقدر متعلقاً للظرف أو للجار والمجرور، فعندما يسأل النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ "عن مكان الصلاة في أحد المواقع، فيجيب: "المصلّى أمامك"[١]. فإنّه يكون من حسن التفسير أنْ نقدّر متعلقاً للظرف هو كائن أو واقع أو غيرها من الكلمات المناسبة، في الوقت الذي نرى فيه أنه يمكن من باب التيسير في أساليب التدريس أن يعرب الظرف أو الجار والمجرور خبراً دون تفسير أو تقدير للمبتدئين من طلبة العلم، على أن يترك ذلك التفصيل للمتخصصين والباحثين.

وقد ورد شبه الجملة خبراً في الحديث الشريف في مواطن كثيرة وهو جار ومجرور أكثر منه ظرفاً، وهنا نعرض بعض التراكيب اللغوية التي كان فيها الخبر شبه جملة في الحديث الشريف عند صحيح البخاري، ونستطيع تقسيمها إلى نوعين[٢]:

النوع الأول، ويقسم إلى قسمين:

أ. أن يكون المبتدأ معرفة، والخبر شبه جملة (ظرف)، على نحو قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ــ عن ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ : أن عبد الله بن أبي، لما توفي، جاء ابنه إلى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال: يا رسول الله، أعطني قميصك أكفنه فيه، وصل عليه، واستغفر له. فأعطاه النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قميصه، فقال: "آذني أصلي عليه". فآذنه، فلما أراد أن يصلي عليه[٣]، جذبه عمر ــ رضي الله عنه ــ فقال: "أليس الله نهاك أن تصلي على المنافقين ؟"، فقال: "أنا بين خيرتين". قال: "استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، إن تستغفر لهم سبعين مرّةً، فلن يغفر الله لهم"[٤]. فصلى عليه، فنزلت: "ولا تصل على أحدٍ منهم مات أبداً"[٥]. فقوله: أنا بين خيرتين، مبتدأ معرفة (هو الضمير أنا)، وخبره ظرف المكان (بين).

---

١ البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص٧٨، حديث رقم ١٧٩، باب الرَّجل يوضىء صاحبه.

٢ ينظر: أبوعودة، **بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين**، ص١٩١.

٣ **أي**: على عبد الله بن أبي.

٤ **التَّوْبة**، آية ٨٠.

٥ **التَّوْبة**، آية٨٤؛ وَالحديث في البُخَاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص٤٢٧، حديث رقم ١٢١٠، باب الكفن في القميص الذي يكف أو لا يكف، ومن كفن بغير قميصٍ.

ب. أن يكون المبتدأ معرّفاً بأل والخبر شبه جملة ظرف على نحو: قال أسامة بن زيد: فجعلت أصبُّ عليه ويتوضّأ، فقلت يا رسول الله: أتصلي ؟ فقال: المصلّى أمامك[١]. فقوله: (المصلى أمامك) جملة اسمية من مبتدأ، هو كلمة (المصلى)، وخبر هو الظرف (أمامك)، وهو في محل رفع.

النوع الثاني: المبتدأ معرفة والخبر شبه جملة (جار ومجرور)، ورد هذا النوع كثيراً في الحديث النبوي الشريف، وهو على أربعة أنماط[٢]:

١. المبتدأ معرفة (الضمير)، والخبر شبه جملة (جار ومجرور)، وهذا التركيب يرد كثيراً في سياق الحديث الشريف، ومن الأمثلة عليه:

ـــ قوله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ : "في الحديث الموصوف بسيِّد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوءُ لك بذنبي، فاغفرْ لي فإنّهُ لا يغفر الذنوب إلاّ أنت، قال: من قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبيل أن يصبح ، فهو من أهل الجنة"[٣].

فالجمل الاسميّة: (وأنا على عهدك)، (فهو من أهل الجنَّة) مرتين، هي جمل اسمية، المبتدأ فيها ضمير، والخبر شبه جملة جار ومجرور.

ـــ ورأى النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ النساء والصبيان مقبلين. قال: حسبت أنّه قال من عرس، فقام النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ مُمَثِّلاً، فقال: "اللهم أنتم منْ أحبّ الناس إليّ، قالها ثلاث مرار"[٤]. فقوله (أنتم) مبتدأ، وخبره الجار والمجرور: (من أحبّ الناس إليّ).

---

١ البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص٧٨، حديث رقم١٧٩، باب الرَّجل يوضيء صاحبه.

٢ ينظر في: أبو عودة، **بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين**، ص١٩١.

٣ البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٥، ص٢٣٢٤، حديث رقم ٥٩٤٧، باب أفضل الاستغفار.

٤ **نفسه**، ج٣، ص١٣٧٩، حديث رقم ٣٥٧٤، باب قول النَّبيِّ (ص) للأنصار أنتم أحبُّ النَّاس إليّ.

٢. المبتدأ معرفة (اسم إشارة)، والخبر شبه جملة (جار ومجرور)، على نحو:
"شهدنا مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ خيبر، فقال لرجل ممَّن يدعي الإسلام: هذا من أهل النار ..."[١]، وفي حديث آخر جاء فيه: " قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟ قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟ قلن: بلى، قال: فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصلِّ، ولم تصم ؟ قلن: بلى، قال: فذلك من نقصان دينها"[٢].

٣. المبتدأ معرفة (معرّف بأل)، والخبر شبه جملة (جار ومجرور):
وهذا النوع شائع في الحديث النبوي على نحو قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "الصيام لي وأنا أجزي به" [٣]، وَ"الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء" [٤]، وَ"الرؤيا الصالحة من الله" [٥]، وَ"الخالة بمنزلة الأم"[٦].

٤. المبتدأ معرفة (بالإضافة)، والخبر شبه جملة (جار ومجرور)، وهذا أيضاً تركيب شائع في الحديث الشريف، ومن أمثلته قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "لعنة الله على اليهود والنصارى، اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد"[٧]. وَ"مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد ..."[٨]، وَ"ابن أخت القوم منهم"[٩].

١ البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم ٢٨٩٧ ، ج٣، ص١١١٤، باب إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر.

٢ **نفسه**، حديث رقم ٢٩٨ ، ج١، ص١١٦، باب ترك الحائض الصوم.

٣ **نفسه**، حديث رقم ١٧٩٥، ج٢، ص٦٧٠، باب فضل الصوم.

٤ **نفسه**، حديث رقم ٣٠٨٨، ج٣، ص١١٩٠، باب صفة النار وأنها مخلوقة.

٥ **نفسه**، حديث رقم ٣١١٨، ج٣، ص١١٩٨، باب صفة إبليس وجنوده.

٦ **نفسه**، حديث رقم ٢٥٥٢، ج٢، ص٩٦٠، باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان وفلان بن فلان وإن لم ينسبه إلى قبيلته أو نسبه.

٧ **نفسه**، حديث رقم ٣٢٦٧، ج٣، ص١٢٧٢، باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

٨ **نفسه**، حديث رقم ١٩٩٥، ج٢، ص٧٤١، باب في العطار وبيع المسك.

٩ **نفسه**، حديث رقم ٦٣٨١ ،ج٦، ص٢٤٨٤، باب مولى القوم من أنفسهم وابن الأخت منهم.

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ: التَّوَسُّعُ لاخْتِلافِ عَوْدِ الضَّمِيرِ

الضمائر لا تخلو من الإبهام والغموض، وتحتاج إلى شيء يزيل هذا الغموض عنها، فضميرا المتكلم والمخاطب يفسرهما وجود صاحبهما في الكلام، فهو حاضر يتكلّم بنفسه أو حاضر يكلمه غيره مباشرة، أمّا ضمير الغائب فيحتاج إلى شيء يفسره؛ لأنّ صاحبه غير معروف، فهو غير حاضرٍ وغير مشاهد.

والأصل قي ضمير الغائب أن يعود على مرجع متقدم عليه؛ ليساعد هذا الترتيب على المبادرة بفهم مدلوله، أما إذا انعكس الأمر، فسبق الضمير، فإن الفعل يصطدم به أولاً فيحاول ردّه إلى شيء سابق ـــ إن وجد ـــ فلا يراه مطابقاً، فيعود لاستئناف النظر فيما بعده، فيجده المفسّر والمقصود.

ويقع الضمير في لغتنا متقدماً، ويكون هذا التقدم على أنواع عدة، منها: أن يتقدم في اللفظ والرتبة، فالتقدم لفظاً: أن يكون المرجع مذكوراً نصاً قبل الضمير. أمّا التقدم رتبة: بأن يكون ترتيب المرجع في تركيب الجملة متقدماً على الضمير وسابقاً عليه بحسب الأصول والقواعد العربية، فرتبة الفاعل متقدمة على المفعول، ورتبة المبتدأ متقدمة على الخبر، ورتبة المضاف قبل المضاف إليه، وهكذا ...، وفي هذا المبحث سنلقي الضوء على بعض الأحاديث التي عالجت موضوع عود الضمير وما فيها من توسّع.

ـــ قال رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ : "لو يعلم المارُّ بين يدي المُصلّي ماذا عليه، لكان أن يقف أربعين، خيراً له من أن يمر بين يديه"، قال أبو النضر: لا أدري أقال أربعين يوماً أو شهراً أو سنة"[١]. فالهاء في يديه عائدة على الأبعد المارّ وليس على المُصلّي لدلالة المعنى عليه.

ـــ عن عامر عن عروة بن المغيرة، عن أبيه، قال: كنت مع النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ في سفر، فأهويت؛ لأنزعَ خفّيه، فقال: "دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين"، فمسح عليهما[٢]. فالضمير في أدخلتهما، دعهما: عائد على أقرب مذكور وهو (خُفّيْهِ).

---

١ البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص١٩١، حديث رقم ٤٨٨، باب إثم المارّ بين يدي المُصلّي.

٢ **نفسه**، ج ١، ص٨٥، حديث رقم ٢٠٣، باب إذا أدخل رجليه وهما طاهرتان.

ـ وقال ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ : ليس أحدٌ إلاّ وعليه حجَّة وعمرة، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : "إنها لقرينتها في كتاب الله "، "وأتمّوا الحج والعمرة لله"[١].

الضمير في (إنها، ولقرينتها) عائد على الأقرب (عمرة)؛ وذلك لأنّ الحجّ من أركان الإسلام، فأراد أن يبين أهمية العمرة من خلال ذكر فريضة الحج.

ـ عن ابن شهاب، حدثني عبد الله بن كعب بن مالك، أن كعبًا أخبره: "أنه تقاضى ابن أبي حدرد دينا له عليه في عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في المسجد، فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ـ وهو في بيته ـ فخرج إليهما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى كشف سِجف حجرته، ونادى: "يا كعب بن مالك، يا كعب". قال: لبيك يا رسول الله، فأشار بيده أن "ضع الشطر من دينك". قال كعب: قد فعلت يا رسول الله، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "قم فاقضه"[٢].

قد يعود الضمير على ملابس ما هو له، فالهاء في (فاقضه) يحتمل عودها على الدين أو على مقاضاة الرجل.

ـ عن أبي حازم عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه أنه خرج مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتخلَّف أبو قتادة مع بعض أصحابه وهم مُحْرِمُون وهو غير مُحْرِم، فرأوا حماراً وحشياً قبل أن يراه، فلما رأوه تركوه حتى رآه أبو قتادة، فركب فرساً له يقال له الجرادة، فسألهم أن يناولوه سوطه فأبوا، فتناوله، فحمل، فعقره، ثم أكل فأكلوا، فقدموا، فلما أدركوه، قال: "هل معكم منه شيء، قال: معنا رجله، فأخذها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأكلها"[٣].

الهاء في أدركوه تعود على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأن الكلام الذي بعدها يدل عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

---

١ **البقرة**، آية ١٩٦؛ والحديث في البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٢، ص٦٢٨، حديث رقم ١٧٧٣، كتاب العمرة، باب وجوب العمرة وفضلها.

٢ البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص١٧٩، حديث رقم٤٥٩، باب رفع الصَّوت في المساجد.

٣ **نفسه**، ج٣، ص١٠٤٨، حديث رقم ٢٦٩٩، باب اسم الفرس وَالحمار.

ــ قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "منْ أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير، فقد عصاني، وإنما الإمام جُنّة، يقاتل من ورائه ويتّقى به، فإنْ أمر بتقوى الله وعدل، فإنَّ له بذلك أجراً، وإن قال بغيره فإنّ عليه منه"[١]. الضمير الهاء في (غيره) يحتمل أن يعود على الأمر بتقوى الله أو العدل، مع أنّ المعنى يوحي بعوده على كليهما معاً؛ لأنّ الجملة الفعلية (وَعَدَلَ) معطوفة على جملة أمر، وتفيد الحكم ذاته. ويجوز أن تعود على الأمر (بتقوى الله) وهو الأرجح؛ لأنها تتضمن العدل كذلك.

ونلحظ في الحديث الشريف أيضا وضع المظهر مكان المضمر في لفظ الجلالة (فقد عصى الله)، حيث سبق ذكرها في قوله (فقد أطاع الله)، ولعلَّ السبب استحضار مهابة الله ــ عزَّ وجلَّ ــ في حديثه عن العصيان، "ولا شك أنّ الضمير وإنْ عاد على الاسم السابق، لا يشعر النفس بما تستشعره من الجلال والرهبة بذكر الاسم الجليل، حتى ترغب عن المعصية وتسارع إلى الطاعة، وقد زيد هذا التقرير بما تضمنه الحديث من المقابلة بين جانب الطاعة وجانب المعصية، التي يتميز فيها كل ضد بالمقابل له"[٢].

ــ حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك عن عمرو مولى المطلب، عن أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ أنّ رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : طلع له أحدٌ فقال: "هذا جبل يحبنا ونحبه، اللهم إنَّ إبراهيم حرَّم مكة، وإنّي أحرّم ما بين لابَتَيْها"[٣].

---

١ البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٣، ص ١٠٨٠، حديث رقم٢٧٩٧، باب يقاتل من وراء الإمام ويُتّقى به.

٢ عز الدين، كمال، **الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية**، دار اقرأ، بيروت، ١٩٨٤م، ص٣٤٣.

٣ البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب المغازي، ج٣، ص١٢٣٢، حديث رقم ٣١٨٧، باب يزفون (يسرعون في المشي)، لابتيها: وهي تثنية (لابة)، وتعني: الحَرّة، وهي الأرض ذات الحجارة السوداء. وفيه أن القول قول الفقير أو المسكين وجواز عطائه مما يستحقه الفقراء؛ لأنه لم يكلفه البينة حين ادعى أنه ما بين لابتي المدينة أهل بيت أحوج منهم وفيه جواز الحلف على غلبة الظن وإن لم يعلم ذلك بالدلائل القطعية لحلف المذكور أنه ليس بالمدينة أحوج منهم مع جواز أن يكون بالمدينة أحوج منهم لكثرة الفقراء فيها، ولم ينكر عليه النبي وفيه استعمال الكناية فيما يستقبح ظهوره بصريح لفظه لقوله وقعت أو أصبت، فإن قلت ورد في بعض طرقه وطئت، قلت هذا من تصرف الرواة وفيه الرفق بالمتعلم والتلطف في التعليم والتأليف على الدين والندم على المعصية واستشعار الخوف وفيه الجلوس في المسجد لغير الصلاة من المصالح الدينية، كنشر العلم وفيه التعاون على العبادة، وفيه السعي على خلاص المسلم، وفيه إعطاء الواحد فوق حاجته الراهنة، وفيه إعطاء الكفارة لأهل بيت واحد؛ **عمدة القاري**، ج١١، ص٣٥، باب إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء يتصدَّق عليه فليكفر.

الهاء في(نحبه) في الأصل تعود على أهل الجبل، ولكن من باب التجوّز والاتساع، فإنها تعود على الجبل.

ـ عن أبي الخير عن عقبة، أنّ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ خرج يوماً فصلّى على أهل أُحد صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر، فقال: "إنّي فَرَطٌ لكم وأنا شهيدُ عليكم، وإني لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أُعطيت مفاتيح خزائن الأرض أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها[١]". الهاء في (فيها) يحتمل أن تعود على المفاتيح أو الخزائن أو الأرض. وكلها تحمل معنى التنافس، والراجح عودها على المفاتيح على اعتبار أنّ المضاف والمضاف إليه يحملان معنىً واحداً.

ـ عن أبي سعيد الخدري قال: خطب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: "إن الله خيَّر عبدا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله". فبكى أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فقلت في نفسي: ما يبكي هذا الشيخ ؟ إن يكن الله خيَّر عبدا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله، فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو العبد. وكان أبو بكر أعلمنا. قال: "يا أبا بكر، لا تبك؛ إنَّ أمنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متَّخذًا خليلا من أمتي، لاتَّخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يبقين في المسجد باب إلا سدّ، إلا باب أبي بكر"[٢].

فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتحدث أوّل الأمر عن نفسه، والمتحدث عن نفسه يعبّر عنها بضمير المتكلم (إنّ الله تعالى خيّرني)، ولكنه وضع لفظ (عبد) المظهر مكان هذا الضمير، ثم أعاد عليه الضمير غائباً في الجملة الثانية (فاختار). وعدوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ضمير المتكلم إلى هذا الاسم المظهر "له من شرف المعنى ونبل المقصد وكمال التواضع ما ليس للضمير، لِما للاسم من المعنى والوصف، الذي يقرر مقام الرسول العبد من الرب المعبود في آخر مراحل الرسالة، ومن أولى منه عليه السلام بأن يجعل تواضعه لله جزاء من جزاء تشريف الله له، بأن يُخيِّره بين البقاء في صحبه وبين لقاء ما عند الله ؟ عرف الربُّ فضلَ العبد فكرَّمه بتخييره، وعرف العبد فضلَ الربِّ وإكرامه، فتواضع له شكراً واعترف بعبوديته له واختار ما عنده"[٣].

---

١ البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب المغازي، ج١، ص٤٥١، حديث رقم ١٢٧٩، باب الصَّلاة على الشَّهيد.

٢ **نفسه**، ج١، ص١٧٧، حديث رقم ٤٥٤، باب الخوخة والممر في المسجد.

٣ عز الدين، كمال، **الحديث النبوي من الوجهة البلاغية**، ص٣٤٠، ٣٤.

الْمَبْحَثُ الرَّابِعُ: التَّوسُّعُ للتَّقْدِيمِ وَالتَّأخِيرِ

لقد عرفت العربية على امتداد تاريخها الواسع التقديم والتأخير، واستعمله العلماء والأدباء والنحاة والبلاغيون كل حسب معرفته في اللغة ومهارته وبراعته في أساليبها. والعربية حافلة بهذا الأسلوب ممّا يدل على أنّ التقديم والتأخير مطلب مهم في التركيب، الأمر الذي يستدعي معرفة نحوية وأخرى بلاغية، والذي يتأمّل تركيب الجمل يجدها قائمة إمّا على القياس، وإما ما يسهله الاضطرار[١].

والناظر في التقديم والتأخير لا بدّ له أن ينظر في أكثر من جانب؛ لكي يتعرّف على سبب صياغته وفق هذا الترتيب، ويدرس أهمية مواقع الكلمات في الجمل، وجمالية النظم، وأن يتبين حالة المتكلم وحالة المتلقي. والمتلمس للتقديم والتأخير يجده: "بابٌ كثيرُ الفوائد جَمُّ المحاسن واسعُ التصرُّف بعيدُ الغاية. لا يزالُ يفتَرُّ لك عن بديعةٍ ويُفضي بكَ إلى لطيفةٍ. ولا تزالُ ترى شِعراً يروقُك مسمَعُه ويَلْطُف لديك موقعُه، ثم تنظرُ فتجدُ سببَ أنْ راقك ولُطف عندك أن قُدّم فيه شيءٌ وحُوّل اللفظُ عن مكانٍ إلى مكان"[٢].

ومع أهمية المعنى الذي نجده في التقديم والتأخير، فإننا لا نقبل به إلاّ إذا وافق نظام الجملة العربية. والحديث النبوي الشريف ــ وهو المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم ــ غني وحافل بأسلوب التقديم والتأخير. وفي هذا الباب سأسعى إلى توضيح ذلك وتبيانه من خلال أحاديث صحيح البخاري موضوع البحث على النحو الآتي:

أوّلاً. تَقْدِيمُ الْمُبْتَدَأ عَلَى الْخَبَر:

نعلم جميعًا أنَّ من حالات تقديم المبتدأ على الخبر وجوباً: أنْ يكون المبتدأ نكرة والخبر شبه جملة، وهو من باب التقديم النحوي لا البياني، فلا يوجد في هذا النمط من التركيب وجه بياني، فقد كثرت الأحاديث التي قُدّم الخبر فيها على المبتدأ، نذكر منها:

---

١ ابن جني، **الخصائص**، ج٢، ص٣٨٢.

٢ الجرجاني، **دلائل الإعجاز**،ج١، ص٩٦.

ــ قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن سمرة بن جندب قال: "كان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ إذا صلى صلاة، أقبل علينا بوجهه، فقال: "من رأى منكم الليلة رؤيا". قال: فإن رأى أحد، قصها فيقول: "ما شاء الله". فسألنا يوماً، فقال: "هل رأى أحد منكم رؤيا ؟". قلنا: لا، قال: "لكني رأيت الليلة رجلين، أتياني، فأخذا بيدي، فأخرجاني إلى الأرض المقدسة، فإذا رجل جالس ورجل قائم، بيده كلوب من حديد ..."[١]. فالمبتدأ نكرة (كلوب)، والخبر شبه جملة من الجار والمجرور (بيده).

ــ قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "... وأدخلاني دارا لم أر قط أحسن منها. فيها رجال شيوخ ..."، فالمبتدأ نكرة (رجال)، والخبر شبه جملة من الجار والمجرور (فيها).

وقوله: فارفع رأسك فرفعت رأسي. فإذا فوقي مثل السحاب[٢]. قالا: ذاك منزلك. قلت: دعاني أدخل منزلي. قالا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله، فلو استكملت أتيت منزلك. فالمبتدأ نكرة (مثل)، والخبر شبه جملة ظرفية (فوقي).

ــ قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "... وفيها رجال ونساء عراة، فقلت: من هذا ؟ قالا: انطلق فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل".

ــ وقوله: "في كُلِّ ذات كبدٍ رطبةٍ أجرٌ". المبتدأ نكرة (أجر)، والخبر شبه جملة من الجار والمجرور (في كُلِّ).

ــ قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "المرأة كالضلع إن أقمتها كسرتها، وإن استمتعت بها واستمتعت بها وفيها عِوجٌ"[٣]، المبتدأ نكرة (عوج)، والخبر شبه جملة من الجار والمجرور (فيها).

---

١ البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص٤٦٥، حديث رقم ١٣٢٠، باب ما قيل في أولاد المشركين.

٢ **نفسه**، ج١، ص٤٦٥، حديث رقم ١٣٢٠، باب ما قيل في أولاد المشركين.

٣ **نفسه**، كتاب النِّكاح، ج٥، ص١٩٨٧، حديث رقم ٤٨٨٩، باب المُدَاراة مع النِّساء .

ـ قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جُبّتان من حديد..."[١]؛ فالمبتدأ نكرة (جبتان)، والخبر شبه جملة من الجار والمجرور (عليهما).

ثانياً. تَقْدِيمُ خَبَرِ إنَّ عَلَى اسْمِهَا:

أيضاً هنا جاء التقديم نحوياً لا بيانياً، نذكر من الأمثلة:

ـ قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " دعه، فإنّ له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم"[٢].

تقدم خبر إنّ شبه جملة من الجار والمجرور (له) على اسمها النكرة(أصحاباً).

ـ و قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "ألا وإنّ لكل ملك حمى، ألا وإنّ حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت، صلَحَ الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"[٣].

تقدم خبر إنّ شبه جملة من الجار والمجرور(لكل) على اسمها النكرة(حمىً) وجوباً.

ـ وكذلك قوله: "تسحروا فإنّ في السحور بركة"[٤]. تقدم خبر إنّ شبه جملة من الجار والمجرور(في السحور) على اسمها النكرة(بركة) وجوباً.

ثَالِثاً. تَقْدِيمُ خَبَرِ كَانَ وَأَخَوَاتِهَا عَلَى اسْمِهَا:

تندرج غالبية الأحاديث تحت باب التقديم النحوي لا البياني أيضاً، ومن الأمثلة:

---

١ البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٢، ص٥٢٣، حديث رقم ١٣٥٧، باب مثل المُتصدِّق وَالبَخِيل.

٢ **نفسه**، ج٣، ص١٣٢١، حديث رقم ٣٤١٤، كتاب المناقب، باب علامات النُّبوَّة في الإسلام.

٣ **نفسه**، ج١، ص٢٨، حديث رقم ٥٢، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه.

٤ **نفسه**، ج٢، ص ٦٧٨، حديث رقم ١٨٢٣، كتاب الصَّوم، باب بركة السُّحُور من غير إيجابٍ.

ــ قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبــةٍ من خــــردلٍ مــن إيمانٍ"[١].

ــ وقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب"[٢].

ــ وقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "ليس المسكين الذي تردّه الأكلة والأكلتان، ولكن المسكين الذي ليس له غنى، ويستحيي أو لا يسأل الناس إلحافاً"[٣].

بيد أنّ ثمة أمثلة لا يجب فيها تقديم الخبر على اسم كان وأخواتها، ولكنها قــدمت لناحيــة بلاغية، وهي تلك التي يكون فيها اسم كان معرفة:

ــــ ففي قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "ليس من البر الصوم في السفر"[٤]، تمَّ تقــديم الخبــر لأهميته؛ ذلك أن موضوع الحديث كان عن الصيام في السفر، ففي إحــدى الغزوات رأى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ صحابياً وقد ظلّله عددٌ من الصحابة، فسأل عن علة ذلك، فقيل: إنــه صائم، فبدأ بقوله: ليس من البر ...، إذ إنّ المخاطبين يعلمون أنّ الحديث عن الصيام في السفر، لكنهم ينتظرون الموقف الشرعي منه، أجره عظيم أم ماذا، فلما قال: ليس من البر، علم النـــاس الحكم حتى قبل أن يكمل ــ صلى الله عليه وسلم ــ الجملة.

---

١ البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص١٦، حديث رقم ٢٢، كتاب الإيمان، باب تفاضــل أهــل الإيمــان فــي الأعمال.

٢ **نفسه**، ج٢، ص٥٤٤، حديث رقم ١٤٢٥، باب أخذ الصَّدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا.

٣ **نفسه**، ج٢، ص٥٣٧، حديث رقم ١٤٠٦، كتاب الزّكاة، باب قوله تعالى: "**لا يسألون النَّاس إلحافاً**"، **البقــرة**، آية ٢٧٣.

٤ **نفسه**، ج٢، ص٦٨٧، حديث رقم ١٨٤٤، باب قول الرَّسول ــ صلَّى الله عليه وَسلَّم ــ لمن ظلل عليه واشتد الحر، ليس من البر الصوم في السفر.

رَابِعَاً. تَقْدِيمُ الْخَبَرِ مَع أنَّ الْمُبْتَدَأ فِي أصْلِهِ مَعْرِفَةً:

وثمة أحاديث شريفة في صحيح البخاري، تم تقديم الخبر مع أنّ المبتدأ في أصله معرفة؛ لأنّ تقديمه كان لإبراز أهمية إثبات تملك هذا الشيء، ففي هذه الأحاديث قدمت كلمات مثل: (له، لهم، لك ...)، حيث كانت الأهمية مجرد إثبات التملك بقطع النظر عن هذا الشيء المتملّك، ومن الأمثلة:

ـ قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة"[1].

ـ وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمْر النَّعم"[2].

خَامِساً. تَقْدِيمُ الْمَفْعُولِ بِهِ عَلَى الْفَاعِلِ:

وفي هذا الباب، نجد أيضاً أنّ بعض حالات التقديم والتأخير ليس فيها أي وجه بياني، بل هي أمرٌ لا مفر منه، لأنّ العرب تحدثوا هكذا، ومن هذه الحالات:

أ. **أن يكون الفاعل لفظاً ظاهراً والمفعول به ضميراً مُتَّصلاً**، على نحو:

ـ قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أنْ تعضَّ بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك"[3].

ـ وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "وكذّبته طائفة، فصبّحهم الجيش، فاجتاحهم"[4].

---

١ البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٣، ص ١٣٥٩، حديث رقم ٣٥٠٣، باب مناقب علي بن أبي طالب.

٢ **نفسه**، ج٣، ص١٣٥٧، حديث رقم ٣٤٩٨، باب مناقب علي بن أبي طالب.

٣ **نفسه** ،ج٣، ص١٣١٩، حديث رقم ٣٤١١، باب علامات النُّبوَّة في الإسلام.

٤ **نفسه**، ج٥، ص٣٢٧٨، حديث رقم ٦١١٧، باب الانتهاء عن المعاصي.

ب. **تقديِم المفعول به لأهمِّيَّته**، ومنه:

ــ قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "لا يدخل الجنَّة قتّات"[١].

ورغم أنّ الحديث لا يبين السياق الذي ذُكر فيه ولا ملابساته، بيد أنّه يمكن أن نتــصوّر أنّ الرسول الكريم قد بلغه أنّ شخصاً ما ينقل الكلام بين الناس بقصد الإفساد، فكان أنْ قال إنّــه لا يدخل الجنة، وابتدأ الكلام بذلك لأنّ المخاطبين يعلمون أنّ الموضوع عن هذا القتّات، فما كان له أنْ يبدأ بذكره وهو معروف، ولو كان الحديث عاما أو ضمن خطبة أو نصائح لقال: (لا يــدخل قتّاتٌ الجنة). ومثل ذلك الحديث، قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "لا يدخــل الجنَّة قاطعٌ"[٢].

ج. التَّقْدِيمُ لإِفَادَةِ الْحَصْرِ:

ــ قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "ولا يملأ عينَ ابن آدم إلاّ الترابُ، ويتوب الله على مــن تاب"[٣]. ففي هذا المثال قُدِّم المفعول به على الفاعل؛ لأنّ الفعل محصور في الفاعل، فلــو قــال: (يملأ التراب عين ابن آدم)، لكان يحتمل أنّ هناك أشياء أخرى تملأ عينيه. أمّا في هذه الصيغة، فلا يملؤها شيء سوى التراب، ولو جيء بأموال الدنيا، ما ملأت عينه.

سَادِساً. تَقْدِيمُ جَوَابِ الشَّرْطِ عَلَى فِعْلِهِ:

ــ قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "أطفئوا المصابيح إذا رقدتم وغلّقوا الأبواب"[٤].

فجواب الشرط (أطفئوا المصابيح) قدّم على الفعل (رقدتم)، وجاء التقــديم هنــا للأهميــة، فالموضوع عما يجب فعله قبيل الرقود، والمخاطب ينتظر أنْ يسمع شيئاً حول ذلك، فلا يجــدر البدء بما هو معلوم.

---

١ البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٥، ص٢٢٥٠، حديث رقم ٥٧٠٩، كتاب الأدب، باب ما يكره من النَّميمة.

٢ **نفسه**، ج٥، ص٢٢٣١، حديث رقم ٥٦٣٨، كتاب الأدب، باب إثم القاطع.

٣ **نفسه**، ج٥، ص٢٣٦٤، حديث رقم ٦٠٧٣، كتاب الرّقاق، باب ما يُتَّقى من فتنة المال.

٤ **نفسه**، ج٥، ص٢١٣٢، حديث رقم ٥٣٠١، كتاب الأشربة، باب تغطية الإناء.

سَابِعاً. وَفِي تَقْدِيمِ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ عَلَى الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ بِهِ وَعَلَى نَائِبِ الْفَاعِلِ:

ـ قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لرجلٍ استأذنه في الجهاد وله والدان حيّان: "ففيهما فجاهد"[١].

في الحديث السابق تمّ تقديم الجار والمجرور (فيهما) على الفعل، وذلك يفيد الحصر في هذا السياق، إذْ لو قال: (جاهد فيهما) لأمكن لهذا الرجل أنْ يقترح على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنْ يجاهد في المعركة أولاً، وعندما يعود يجاهد في والديه، لكنّ الصيغة التي عبّر بها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم تُبقِ لهذا الرجل مجالاً لمثل هذا الظن.

ثامِناً. التَّقْدِيمُ لإبْرَازِ أَهَمِّيَّةِ الْمُقَدَّمِ وَالْعِنَايَةِ بِهِ:

ـ قوله ـ صلّى الله عليه وسلم ـ : "... أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة ؟"، قاله النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين استغرب أعرابي من تقبيل الصغار، وقال: "أمّا نحن فما نقبلهم"[٢].

ففي هذا الحديث يظهر أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أزعجه استنكار الأعرابي تقبيل الأبناء الصغار، فأراد أن ينفي عن قلبه أي نوع من الرحمة أو الشفقة أو العطف أو ما شابه ذلك، لكنّ المهم أن ينفيها عن قلبه وليس عن شيء آخر، فبدأ بالجار والمجرور (من قلبك)، وفي هذا الإبراز تقريع أشدّ.

ـ وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "ما من مسلم غرس غرساً، فأكل منه إنسان أو دابة إلاّ كان له صدقة"[٣]. ففي هذا الحديث كانت العناية بالأكل من الغرس، ولا أهمية للأكل، سواء أكان إنساناً أم حيواناً، لذا قُدِّم (منه) على الفاعل (إنسان).

---

١ البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٣، ص١٠٩٤، حديث رقم ٢٨٤٢، كتاب الجهاد وَالسّير، باب الجهاد بإذن الأبوين.

٢ **نفسه**، ج٥، ص٢٢٣٥، حديث رقم ٥٦٥٢، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله.

٣ **نفسه**، ج٥، ص٢٢٣٩، حديث رقم ٥٦٦٦، كتاب الأدب، باب رحمة النَّاس وَالبهائم.

الْفَصْلُ الرَّابِعُ

الْفَصْلُ الرَّابِعُ:

التَّوَسُّعُ فِي مَعَانِي الصِّيَغِ الصَّرْفِيَّةِ

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ: التَّوَسُّعُ لِتَعَدُّدِ مَعَانِي الصِّيَغ

الْمَبْحَثُ الثَّانِي: التَّوَسُّعُ لِلتَّذْكِيرِ وَالتَّأْنِيثِ

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ: التَّوَسُّعُ لاخْتِلافِ زَمَنِ الْفِعْلِ وَالتَّعْدِيَةِ وَاللُّزُومِ

الْمَبْحَثُ الرَّابِعُ: التَّوَسُّعُ للاشْتِقَاق

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ: التَّوَسُّعُ لِتَعَدُّدِ مَعَانِي الصِّيَغ الصَّرْفِيَّةِ

تعددت الصيغ والأبنية في لغتنا العربية، وتبعاً لتعددها فقد تعددت معانيها، حتى أننا لنجد في الصيغة الواحدة أكثر من دلالة، وأكثر من معنى، وإن كثيرا منا لا يميز بين هذه الأبنية، "فهو لا يميز ــ مثلاً ــ بين نشيط ونَشِط، وعَسير وعَسِر، وأحمق وحَمِق، وأجـرَب وجَـرِب، وصديان وصدٍ، وعطشان وعطِش، وغيرها كثير في الصفة المشبهة، ولا يميز بين مفعول، وفعيلة في اسم المفعول؛ فلا يعرف الظرف بين مقتول وقتيل ــ مثلاً ــ وذبيح، وذبيحة"[1].

ومثلُ هذا، نقول في أوزان المبالغة، وجموع القلة، والكثرة، نحو: فَعْلَى، وفَعَالَى، كحَمْقَى ومَوْتَى وعَطَاشَى. وهنا أقول: إننا نستعمل العديد من الأوزان والأبنية مجردة من معناها الدقيق وفق أذواقنا، لا كما يقتضي المعنى في كثير من الأحيان؛ ولعل السبب في ذلك كما يقول الدكتور فاضل سامرائي أنّ: "الأقدمين لم يركزوا البحث في هذه المسألة، ولم يقطعوا في شأنها بشيء، بل كانت دراساتهم في الأكثر منصبة على كيفية صوغ البناء، وهل هو مسموع أم مقيس مجرداً من المعنى ؟"[2].

والحقيقة أن صيغ الزوائد متعددة، منها ما زيد على الثلاثي، على نحو[3]:
- المزيد بحرف نحو صيغة: أفعل، فعّل، فاعل ...
- المزيد بحرفين، على نحو: انفعل، افتعل، افعلّ، تفعلّ، تفاعل ...
- المزيد بثلاثة أحرف، على نحو: استفعل، افعوعل، افعوّل، افعالّ ...

ومنها ما زيد على الرباعي، على نحو[4]:
- المزيد بحرف، على نحو: تفعلل. وقد يفيد المطاوعة.
- المزيد بحرفين، على نحو: افعنلل: ويفيد المطاوعة (افرنقع)، وافعللّ: ويفيد المطاوعة أيضاً.

---

[1] السامرائي، فاضل صالح، **معاني الأبنية في العربية**، (ط١) ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م، ص٦.

[2] **نفسه**، ص٨.

[3] الخطيب، د. عبد اللطيف محمد، **المستقصى في علم التصريف**، ج١، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، (ط٤)،١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٣م، ص٢٩٢ ــ ٣٠٤.

٤ **نفسه**، ص ٢٩٢ ــ ٣٠٤.

– الملحق بالرباعي المجرد، على نحو: تَفَعْلَلَ، فَوْعَلَ، فَعْوَلَ، فَعْيَلَ ...

– الملحق بالرباعي المزيد بحرف، وهو: تمفعل: تمسكنَ، تفوعل: تكوثر ...

– الملحق بالرباعي المزيد بحرفين،على نحو: افْعَنْلَلَ: اسحنكك (اسودّ)، وافْعَنْلَى: احْرَنْبَى (تهيّأ، انتعشَ).

وسأقتصر في حديثي على بيان التوسع الدلالي لأهم الأوزان، والصيغ الصرفية في صحيح البخاري؛ ومن ذلك:

صيغة تفاعل، ومن أهم معانيها:

– المشاركة، على نحو: تشاتم، تقاتل، تساجل ...

– التكلف أو التظاهر، على نحو: تمارض، تعامى، تغافل ...

– التدرج، على نحو: تواردت الإبل.

– الطلب، على نحو: تقاضيت الدين، أي: استقيضته.

ـ "عن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم؛ مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[١].

إن ما يلفت الانتباه التمثيل الوارد في الحديث الشريف. إنّ المشاركة كانت في (توادهم وتراحمهم وتعاطفهم)، ومعلوم أنّ هذه الألف تفيد حدوث الفعل من اثنين أو أكثر، كقولنا: تصالح القوم، بمعنى: أنّ التصالح في القوم، قد وقع من كل فرد ومخاصمه، ومن كل فرقة ومُبْغِضَتِهَا، ولولا ذلك، لفقد التصالح معناه.

قال ابن قتيبة ـ رحمه الله ـ : "تأتي تفاعلت من اثنين بمعنى افتعلت، تقول: (تضاربنا) بمعنى اضطربنا، و(تقاتلنا) بمعنى اقتتلنا، و(تجاورنا) بمعنى اجتورنا وتلاقينا بمعنى التقينا، وتخاصمنا واختصمنا"[١].

---

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١٠، كتاب الأدب، رقم ٦٠١١؛ وَالنّووي، **المنهاج بشرح مسلم بن الحجَّاج**، ج١٦، ص١٤٠، رقم الحديث ٦٦، كتاب البرّ وَالصِّلة.

فصفات التواد، والتراحم، والتعاطف بهذه الصيغة (تفاعل)، جاءت لتؤكد ضرورة أن تنطلق تلك الصفات من كل فرد في مجتمع الإيمان تجاه إخوانه. وعلى هذا تظهر أهمية الصيغة في تلك المعاني؛ لتجعل المؤمنين جميعاً كالجسد.

ومن الأمثلة، عن أنس، قال: أخبرني عبادة بن الصامت: أنّ رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ خرج يخبر بليلة القدر، فتلاحى رجلان من المسلمين، فقال: "إني خرجت لأخبركم بليلة القدر، وإنه تلاحى فلان وفلان، فرفعت، وعسى أن يكون خيرًا لكم. التمسوها في السبع، والتسع، والخمس"[٢].

قَوْلُهُ: فَتَلاحَى بفتح الحاء من التَّلاحِي بكسر الحاء، وهو التنازع. قال الجوهري: تلاحَوْا إذا تَنَازَعُوا، وقالَ الشيخُ قطب الدّين: المُلاحاة، الخُصُومة والسِّباب. واسم المصدر اللَّحَاء بكسر اللام وفتح الحاء. وهو التنازع. فإن قلت: الذي ذكره من باب المفاعلة، والذي في الحديث من باب التفاعل؛ لأن (تلاحِي) أصله (تَلاحَيَ) بفتح الياء، على وزن تَفَاعَلَ؛ قلبت الياء ألفا؛ لتحركها، وانفتاح ما قبلها، والمصدر (تلاح) أصله (تَلاحِي) فَأُعِلّ إعلالَ قاضٍ. فإنْ قلتَ: قد علم أن باب التفاعل لمشاركة الجماعة، نحو: تخاصَمَ القومُ، وبابُ المُفاعَلَة لمشاركة اثنين، نحو: قاتَلَ زيدٌ عمروًا، وكان القياس ــ هنا ــ أن يذكر من باب (المُلاحاة)؛ لأنها كانت بين رجلين، قلت: التحقيق في هذا الباب أن وضع فَاعَلَ لنسبة الفعل إلى الفاعِل متعلقا بغيره، مع أن الغير فعل مثل ذلك، ووضع (تفاعَلَ) لنسبته إلى المشتركين فيه من غير قصد إلى تعلق له، فلذلك جاء الأول زائدا على الثاني بمفعول أبدا. فإن كان تَفاعَلَ من فَاعَلَ المتعدي إلى مفعول، كضارب، لم يتعدَ، وإن كان من المتعدي إلى مفعولين، كجَاذَبْتُهُ الثوبَ، يتعدى إلى واحد. وقد يفرق بينهما من حيث المعنى؛ فإن البادئ فيه غير معلوم دون تفاعل وجاء (تلاحِي) ههنا من (لاحيته)، لم يتعد إلى مفعول، فأفهم، فإنه موضع دقيق"[٣].

---

[١] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدِّينوري (ت٢٧٦هـ)، **أدب الكاتب**، (ط٤)، ج١، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٨٢هـ ــ ١٩٦٣م، كتاب الأبنية، ص٣٥٨.

[٢] **البخاري، الجامع الصحيح**، ج١، ص٢٧، حديث رقم ٤٩، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

[٣] العيني، **عمدة القاري**، ج٤، ص٢٢٨.

ومن الأمثلة على وزن تفاعل:

حدثنا أحمد، قال: حدثنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، حدثني عبد الله بن كعب بن مالك: إن كعبًا أخبره أنه تقاضى ابن أبي حدرد دينا له عليه في عهد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في المسجد، فارتفعت أصواتهما، حتى سمعها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، ــ وهو في بيته ــ فخرج إليهما رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى كشف سجف حجرته، ونادى: "يا كعب بن مالك يا كعب". قال: لبيك يا رسول الله، فأشار بيده أن "ضع الشطر من دينك". قال كعب: قد فعلت يا رسول الله، قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "قم فاقضه"[١].

الفعل (تقاضى) على وزن تفاعل، وأصل هذا الباب لمشاركة أمرين فصاعداً. قال الكرماني: هو متعدٍ إلى مفعول واحد، وهو (الابن). قلت: إن كان تفاعل من فاعل المتعدي إلى مفعول واحد كضارب، لم يتعد، وإن كان من المتعدي إلى مفعولين لا يتعدى إلاّ لمفعول واحد[٢].

صيغة استفعل:

وأهم معاني صيغة استفعل:

- الطلب، على نحو: استغفر، استعان ...
- التحول (الصيرورة)، على نحو: استحجر الطين.
- الاتخاذ، على نحو: استأجر، استعمل، استخدم ...
- اعتقاد صفة الشيء (المصادفة)، على نحو: استعظمته؛ أي وجدته عظيماً.
- القوة، على نحو: استهتر، استكبر ...

ــ عن عامر، قال: سمعت النعمان بن بشير يقول:
سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول: "الحلال بيّن، والحرام بيّن، وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس. فمن اتقى المشبهات، استبرأ لدينه، وعرضه، ومن وقع في الشبهات، كراع يرعى حول الحمى أوشك أن يواقعه. ألا وإن لكل ملك حمى. ألا وإن حمى الله في أرضه

---

[١] **البخاري، الجامع الصحيح**، ج١، ص١٧٩، حديث رقم ٤٥٩ ، باب رفع الصَّوت في المسجد.

[٢] ابن أبي حدرد اسم ابن أبي حدرد وَهو عبد الله بن أبي سلامة كما صرّح البخاري في أحد رواياته، وَهو صحابيٌّ على الأصحّ، شهد الحديبية وما بعدها.

محارمه ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت، صلح الجسد كله، وإذا فسدت، فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"[١].

فقوله: استبرأ: بالهمز، بوزن استفعل من البراءة، أي: برأ دينه من النقص، وعرضه من الطعن فيه؛ لأنه من لم يعرف باجتناب الشبهات؛ لم يسلم القول من عرض نفسه للطعن فيه، وفي هذا إشارة إلى المحافظة على أمور الدين، ومراعاة المروءة، ومن الأمثلة:

ـ عن عبيد بن السباق، أن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ قال: أرسل إليَّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده. قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ : إن عمر أتاني، فقال: إن القتل قد استحرَّ[٢] يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن. وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟ قال عمر: هذا والله خير. فلم يزل عمر يراجعني، حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب، عاقل، لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتتبع القرآن، فاجمعه. فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال، ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ؟ قال: هو والله خير. فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره "لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتم" حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر في حياته، ثم عند حفصة بنت عمر ـ رضي الله عنه ـ[٣].

صيغة افْعَوْعَلَ:

ومن أهم معاني الزيادة فيها:

- المبالغة، على نحو: اخْشَوْشَنَ، وَاخْضَوْضَرَ ...
- الصيرورة، على نحو: احْدَوْدَبَ ...

---

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص٢٨، حديث رقم ٥٢، باب فضل من استبرأ لدينه.

[٢] **استحرّ؛ أي:** اشتدّ وكثر، وَهو على وزن استفعل من الحرِّ خلاف البرد.

[٣] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٤، ص١٩٠٧، حديث رقم ٤٧٠١، باب جمع القرآن.

ومن الأمثلة على مضارع صيغة افعوعل:

ـــــ قال ابن جريج، أخبرني محمد بن عباد بن جعفر، أنه سمع ابن عباس يقرأ: "ألا إنهم تثنوني صدورهم". قال: سألته عنها، فقال: أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا، فيفضوا إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم، فيفضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم"[١].

قوله: ألا إنهم: كلمة تنبيه تدل على تحقق مابعدها. قوله: (يَثْنَونِيَ) بفتح الياء آخر الحروف وسكون الثاء، وفتح النون، وسكون الواو، وكسر النون الأخيرة. وهو مضارع على وزن (يَفْعَوْعِلُ)، وماضيه (اثنَوْنَى) على وزن (افْعَوْعَلَ) من الثَنْي على طريق المبالغة، كما تقول: احْلَوْلَي للمبالغة من الحلاوة، وقال بعضهم: هذا بناء مبالغة، كاعْشَوْشَبَ. قلت: كان ينبغي أن يقولَ: كَيَعْشَوْشَبَ، فأحدُ الشينين والواو زائدتان؛ لأنه من عَشَبَ، وقُرِئَ بالتاء المثناة في أوله موضع الياء آخر الحروف، وعلى الوجهين لفظ (صدورهم) مرفوع به، والقراءة المشهورة (يَثْنُونَ) بلفظ الجمع المذكر المضارع، والضمير فيه راجع إلى (المنافقين)، وصدورهم منصوب به. وقرئ لَتَثْنَوْنِي بزيادة اللام في أوله. وتَثْنَوّن أصله تَثْنَوِيْن من الثِّنّ، بكسر الثاء وتشديد النون، وهو ما ضعّف من الكلام، يريد مطاوعة صدورهم للتمني، كما يثني النبات من هَشّهِ، وأراد ضعف أيمانهم ومرض قلوبهم. وقرئ (يَثْنَوِي) على وزن (يرعوي)[٢].

صيغة افْعَالّ:

وهي صفة تدل على المبالغة، وقوة المعنى، وأغلبها من الألوان والعيوب: اسوادَّ، وابياضَّ، وَاعوارَّ ... ومن أمثلتها في الحديث الشريف:

عن عبد الله بن أبي قتادة، عن أبيه، قال: "سرنا مع النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ليلة، فقال بعض القوم: لو عرست بنا يا رسول الله، قال: أخاف أن تناموا عن الصلاة". قال بلال: أنا أوقظكم، فاضطجعوا، وأسند بلال ظهره إلى راحلته، فغلبته عيناه، فنام، فاستيقظ النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقد طلع حاجب الشمس، فقال: "يا بلال أين ما قلت ؟"، قال: ما ألقيت عليَّ

---

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٤، ص١٧٢٣، حديث رقم ٤٤٠٤، باب ألا إنَّهم يثنون صدورهم.

[٢] العيني، **عمدة القاري**، ج١٨، ص٢٨٩، حديث رقم ٤٦٨١.

نومة مثلها قط. قال: "إن الله قبض أرواحكم حين شاء، وردها عليكم حين شاء، يا بــلال، قــم، فأذن بالناس بالصلاة". فتوضأ، فلما ارتفعت الشمس، **وابياضَّتْ**، قام، فصلى[١].

فالفعل: (ابياضت) على وزن (افعالت) من الابيضاض، وهذه الصيغة تدل على المبالغــة، يقال: ابيضّ الشيء، إذا صار ذا بياض، ثم إذا أرادوا المبالغة فيه، ينقلونه إلى باب الافعــيلال، فيقولون: ابياضَّ، وكذلك احمرَّ واحمارَّ. وقال بعضهم: وقيل: "إنما يقال ذلك في كل لون بــين لونين، فأما الخالص من البياض ــ مثلاً ــ فإنما يقال له أبْيَضَّ. فقلت: هذا القول صادر عمن ليس له ذوق من علم الصرف، والاطلاع فيه"[٢].

صيغة افْعَلَّلَ:

ومن أهم معاني هذه الصيغة:

المطاوعة، على نحو: طمأنته، فاطمأنّ. ومن الأمثلة: الفعل اطمأنّ، ومضارعه يطمئن، وتطمئن، كما جاء في الحديث الشريف التالي:

ــ عن أبي هريرة، أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ دخل المسجد، فدخل رجل، فصلى، فسلم على النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فردّ، وقال: "ارجع فصل فإنك لــم تــصل". فرجــع يصلي كما صلى، ثم جاء، فسلم على النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال: "ارجع فصلِّ ،فإنك لم تصل". ثلاثًا، فقال: والذي بعثك بالحق، ما أحسنُ غيره، فعلمني ؟ فقــال: "إذا قمــت إلــى الصلاة، فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القران، ثم اركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ارفــع حتــى تعتدل قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا، وافعل ذلك في صــلاتك كلّها"[٣].

وقد جاء في عمدة القاري: "لهذه اللفظة مصدران لا غير، يقال: اطمأنَّ الرجــلُ اطمينانــا وطمأنينة، أي: سكن، وهو مطمئن إلى كذا، وكذلك (اطبأن) بالباء الموحدة على الإبدال، وهــو من مزيد الرباعي. وأصله طَمْأنَ على وزن فعْلَلَ، فنقل إلى باب افعلــلَّ بالتــشديد فــي الــلام

---

[١] **البخاري، الجامع الصحيح،** ج١، ص٢١٤، حديث رقم ٥٧٠، باب الأذان بعد ذهاب الوقت.

[٢] العيني، **عمدة القاري،** ج٥، ص٨٨، حديث رقم ٥٩٥.

[٣] **البخاري، الجامع الصحيح،** ج١، ص٢٦٣، حديث رقم ٧٢٤، باب القراءة للإمام وَالمأموم فــي الــصّلوات كلها.

الأخيرة، فصار اطْمَأنَّ، وأصله اطْمَأْنَنَ، فنقلت حركة النون الأولى إلى الهمزة، وأدغمت النون في النون، مثل: اقْشَعَرَ أصله اقْشَعْرَرَ، ورباعيه قَشْعَرَ". [1]

صيغة تَفَعْلَلَ:

ومن أهم معاني هذه الصيغة: المطاوعة، على نحو: دحْرَجْتُهُ فتَدَحْرَجَ، وسَرْبَلْتُهُ فتَسَرْبَلَ.

ومِن الأفعال التي جاءت على وزن تَفَعْلَلَ الفعل (تَدَهْدَهَ)، ووَرَدَ ذكرُه في أحاديث البخاري كما جاء في الحديث:

ـ عن سمرة بن جندب، قال: كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا صلَّى صلاةً أقبلَ علينا بوجهه، فقال: "من رأى منكم الليلة رؤيا". قال: فإن رأى أحد، قصّها، فيقول: "ما شاء الله". فسألنا يوما، فقال: "هل رأى أحد منكم رؤيا". قلنا: لا. قال: "لكني رأيت الليلة رجلين أتياني، فأخذا بيدي، فأخرجاني إلى الأرض المقدسة، فإذا رجل جالس، ورجل قائم بيده كلوب من حديد". قال بعض أصحابنا عن موسى: "إنه يدخل ذلك الكلوب في شدقه حتى يبلغ قفاه، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك، ويلتئم شدقه هذا، فيعود فيصنع مثله. قلت ما هذا ؟ قالا: انطلق، فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه، ورجل قائم على رأسه بفهر أو صخرة، فيشدخ بها رأسه، فإذا ضربه، تَدَهْدَهَ الحجرُ، فانطلق إليه، ليأخذه، فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه ... فلو استكملت أتيت منزلك". [2]

قوله (تَدَهْدَهَ) الحجُر أي تَدَحْرَجَ، وهو على وزن تَفَعْلَلَ من مزيد الرباعي ورباعيه دَهْدَهَ على وزن فَعْلَلَ، ومن أبرز معانيه المطاوعة، يقال: دَهْدَهْتُ الحَجَرَ، إذا دَحْرَجْتُهُ، ويقال أيضا: دَهْيَدْتُهُ. وقال الجوهري: قد تبدل من الهاء ياء فيقال: تَدَهْدَى الحجر وغيره تَدَهْدِيًا، ودَهْدَيْتُهُ أنا أُدَهْدِيه دَهْدَأة ودَهْدَاءً إذا دَحْرَجْتُهُ. [3]

---

[1] العيني، **عمدة القاري**، ج٦، ص٦٦، حديث رقم ٧٩١.

[2] **صحيح البخاري**، ج١، ص٤٦٥، حديث رقم ١٣٢٠، باب ما قيل من أولاد المشركين.

[3] العيني، **عمدة القاري**، ج٨، ص٢١٤، حديث رقم ٦٨٣١.

صيغة انفعل:

ومن أهم معاني الزيادة فيها:

المطاوعة، على نحو: قطعته، فانقطع. وَيجيء مطاوعاً لأفعل، على نحو: أزعجته فانزعج.

قد يشارك المجرد معناه، فلا يكون فيه معنى المطاوعة؛ انطلق بمعنى ذهب، وانطفأت النار بمعنى طُفئتْ. ومن الأمثلة في صحيح البخاري:

ـ عن عائشة، قالت: سمعت سعدًا ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: "لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح في الماء"[١].

انماع، أي: ذاب، وعلى وزن انفعل من الميعان، وتعني المطاوعة، يقال: ماعَ الشيء يميعُ، وانماع ينماع إذا ذاب. ويجوز بإدغام النون في الميم. قال الكرماني: ذاب، وجرى على وجه الأرض مثلا سيئا[٢].

وإضافة إلى معنى المطاوعة، فإنّ الوزن انفعل يحمل معنى آخر وهو أنه يشارك المجرد معناه، فلا يكون فيه معنى المطاوعة، نقول: انطفأت النار بمعنى طُفئت، وجاء في الحديث: "عن ابن عباس، قال: قالت ميمونة: وضعت للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ غسلاً، فسترته بثوب، وصب على يديه، فغسلهما، ثم صب بيمينه على شماله، فغسل فرجه، فضرب بيده الأرض، فمسحها ثم غسلها، فمضمض، واستنشق، وغسل وجهه، وذراعيه، ثم صب على رأسه، وأفاض على جسده، ثم تنحى، فغسل قدميه، فناولته ثوبا، فلم يأخذه، **فانطلق** وهو ينفض يديه"[٣].

صيغة أفعل:

ولهذه الصيغة معانٍ كثيرة هي:

- التعدية.
- التعريض للشيء.

---

[١] **البخاري، الجامع الصحيح**، ج٢، ص٦٦٤، حديث رقم ١٧٧٨، باب إثم من كاد أهل المدينة.

[٢] ينظر: العيني، **عمدة القاري**، ج١٠، ص٢٤١، حديث رقم ٧٧٨١.

[٣] **البخاري، الجامع الصحيح**، ج١، ص١٠٦، حديث رقم ٢٧٢، باب نفض اليدين من الغسل عن الجنابة.

- الصيرورة.
- السلب والإزالة.
- الدخول في الشيء: زماناً أو مكاناً.
- مصادفة الشيء على صفة: أكرمته أي وجدته كريماً.
- الاستحقاق، على نحو: أحصد الزرع.
- أفْعَلَ بمعنى فَعَلَ المجرد، مثل: أشْغلته، شَغَلْته.
- الدعاء: أسقيتُهُ: دعوت له بالسقيا.

ما تقدم من المعاني هو المشهور في استعمال أفعل، وقد يجيء لغيرها، وليس لـه ضـابط كضوابط المعاني المذكورة، ومن ذلك:

- يجيء مطاوعاً لفعّل: فطّرته فأفطر.
- الهجوم، أطلقت عليهم؛ أي: هجمت عليهم.
- الضياء، أشرقتْ الشمسُ؛ أي أضاءت.
- التسمية: مثل أكفرته؛ أي: سميته كافراً.
- الوجود: أبصره؛ أي: دلّه على وجود المبصر.
- الوصول: أغفلته؛ أي: وصلت غفلتي إليه.
- الكثرة: أضبَّ المكان؛ أي كثرث فيه الضباب. وأضبى: كثُرتْ فيه الضّباب.
- الإعانة: أحلبت فلاناً وأرعيته؛ أي أعنته في الحلب والرعي.
- لبلوغ العدد: أتسع وأعشر ...
- التكثير: أغلقت الأبواب؛ أي: غلّقتها.
- للمجيء: أكثرَ وأقلَّ؛ أي: جاء بالقليل والكثير.

ومن أمثلة هذه الصيغة التي وردَ فيها اتساع في الحديث الشريف:

عن أبي اسحق، سمعتُ عمرو بن ميمون يقول: "شهدتُ عمر – رضي الله عنه– صلّى بجَمْـع الصبحَ ثمّ وقفَ وقال: "إنّ المشركينَ كانوا لا يفيضونَ حتى تطلعَ الشّمسُ، ويقولـون: **<u>أشْـرِقْ</u>** ثَبِير، وأنّ النبي – صلى الله عليه وسلم– خالفهم، ثمّ أفاضَ قبلَ أنْ تطلعَ الشمسَ"[1].

---

[1] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٢، ص ٦٠٤، حديث رقم ١٦٠٠، باب متى يُدفع من جَمْع،

قوله: أشْرَقَ: على وزن أ فْعَلَ من الإشراق، وهو طلوع الشمس، والمعنى: لتطلع عليه الشمس، حتى ندفع من مزدلفة.

صيغة فعَّل:

ومن أهم معاني الزيادة فيها:

- التعدية: فرّحته، وغرّمته ...
- التكثير: كسّرت، وطوّفتُ ...
- السلب والإزالة: فزّعته، أي: أزيل الفزع.
- القيام على الشيء: مرّضته، أي: قمت عليه في حال مرضه، وولّيته: قمت على ولايته.
- الدعاء له: سقّيْتُه، أي: قلت سقاك الله، والدعاء عليه: عَقَّرْتُهُ، أي: قلت عَقَرَهُ اللهُ.
- نسبة المفعول إلى أصل الفعل (التسمية)، ومن ذلك: خطّأته: إذا سميته مخطئاً، هوّد، ونصّرَ.
- يجيء فعّل بمعنى المجرد فَعَلَ: زَيَّلْتُه، أي: فَرّقْتُهُ، وقطّب وجهه، وقَطَبَ وجهه.
- يجيء بمعنى صار ذا شيء: ورّقَ شجره، أي: صار ذا ورق.
- ومن معانيه اختصار حكاية الشيء على نحو سبّح، وكبّر، وهلّل ... وقد وردت هذه الصيغة بكثرة في صحيح البخاري أذكر منها:

عن أنس ــ رضي الله عنه ــ قال: صلّى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ونحن معه بالمدينة الظهر أربعا، والعصر بذي الحليفة ركعتين، ثم بات بها حتى أصبح، ثم ركب حتى استوت به على البيداء، حمد الله و**سبَّحَ** و**كَبَّرَ**، ثم أهل بحج وعمرة وأهل الناس بهما، فلما قدمنا أمر الناس فحلُّوا حتى كان يوم التروية أهلوا بالحج. قال: ونحر النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بدنات بيده قياما، وذبح رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالمدينة كبشين أملحين"[١].

الفعلان: سَبَّحَ وكَبَّرَ على وزن فعّل، وجاءا هنا لاختصار حكاية الشيء؛ فسبّح من سبحان الله، وكبّر من الله أكبر.

---

[١] **البخاري، الجامع الصحيح**، حديث رقم ١٤٧٦ ،ج٢ ، ص٥٦٢، باب التحميد والتسبيح والتكبير قبل الإهلال عند الركوب على الدابة.

صيغة فاعل:

ومن معاني **(فاعلَ)**:

- المشاركة بين اثنين فأكثر: نازعته، ضاربته.
- بمعنى فعّل (للتكثير): ضاعفت الشيء: ضعّفته.
- بمعنى جعل الشيء ذا أصل: عافاك الله، أي: جعلك ذا عافية.
- يأتي لمطاوعة (أفعَلَ): باعدت الشيء بمعنى أبعدته.
- الموالاة: والمراد به تكرار الفعل متتابعاً على نحو: واليت الصوم، تابعت القراءة.
- وتأتي فاعلَ بمعنى فَعَلَ، فلا تدل على المشاركة كما جاء في الحديث الشريف:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: "الصيام جُنَّة، فلا يرفث، ولا يجهل. وإن امرؤ **قاتله،** أو **شاتمه،** فليقل: إني صائم ــ مرتين ــ والذي نفسي بيده، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك، يترك طعامه، وشرابه، وشهوته من أجلي. الصيام لي، وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها"[1].

"قاتلَهُ أو شاتَمَهُ من باب المفاعلة وهي للمشاركة بين الاثنين، والصائم مأمور بالكف عن ذلك، قلت: لا يمكن حمله على أصل الباب، ولكنه قد يجيء بمعنى فعل يعني لنسبة الفعل إلى الفاعل لا غير، كقولك: سافرت بمعنى نسبت السفر إلى المسافر، وكما في قولهم: عافاه الله، وفلان عالج الأمر"[2].

[1] **البخاري، الجامع الصحيح**، ج٢، ص٦٧٠، حديث رقم ١٧٩٥، باب فضل الصَّوْم.

[2] العيني، **عمدة القاري**، ج١٠، ص٢٥٨، حديث رقم ٤٩٨١.

الْمَبْحَثُ الثَّانِي: التَّوَسُّعُ لِلتَّذْكِيرِ وَالتَّأْنِيثِ

ظاهرة التذكير والتأنيث من المسائل التي أشكلت على الباحثين قديماً وحديثاً، وغلفت دراساتهم بالغموض والتشابك؛ لأنها لا تخضع إلى منطق، فعلى الرغم من كثرة ما قاله السابقون في هذه المسألة، إلاّ أنهم لم يأتوا بالقول الفصل فيها؛ لذلك نجد الآراء متعددة. وأكثر ما ارتبطت هذه الظاهرة بالحكاية والسماع، وقد صرّح ابن وهب بذلك حين قال: "ليس يوصل إلى علم المذكر والمؤنث من هذا الباب إلاّ بالسماع دون القياس"[1]؛ لأنها لا تنتظم في قواعد صارمة ومحددة، وقد ذكر ابن التستري: "ليس يجري أمر المذكر والمؤنث على قياس مطرد ولا لهما باب يحصرهما". وربما يرجع هذا الغموض إلى أنّ ظاهرة التأنيث والتذكير ملتصقة بالتاريخ اللغوي، ونشأة اللغة، والتطور الذي رافقها أمور نجهلها؛ لأنّ الأمم لم تخلّف لنا من الآثار الكافية ما يدل عليها، فبتطور الإنسان تتطور لغته، فينسى ماضي هذه اللغة، ويعيش حاضرها؛ لذا انقرضت كثير من اللغة الأولى ونسيته الأجيال.

تَقْرِيرُ أَهْلِ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ لِظَاهِرَةِ التَّذْكِيرِ وَالتَّأْنِيثِ:

ـ التذكير خلاف التأنيث، والذّكَر خلاف الأنثى، والجمع ذكور وذكورة وذكران، ويوم مذكّر إذا وصف بالشدة، والصعوبة، وكثرة القتل.

ـ وقول ذكَر: صلب، متين، ورجل ذكر: إذا كان قوياً وشجاعاً، وأبياً. ومطر ذكَر: شديد، وابل[2].

ـ والأنثى خلاف الذكر في كل شيء، والجمع إناث، وأُنُث: جمع إناث. والتأنيث خلاف التذكير. وبلد أنيث: ليّن، سهل، وأرض مئناث وأنيثة: سهلة منبتة، خليقة بالنبات، ليست بغليظة.

---

[1] ابن وهب، **البرهان في وجوه البيان**، ص٣٢٩.

[2] ابن منظور، **لسان العرب**، ج٤، مادة (ذكر).

ـــ وزعم ابن الأعرابي: "إنّ المرأة إنما سميت أنثى من البلد الأنيث، قال: لأنّ المرأة ألين مـــن الرجل، وسميت أنثى للينها"[١].

ـــ فالتذكير حسب فهم العربي يعني القوة والشدة والشجاعة والأنفة والـــصلابة. أمـــا التأنيـــث، فيلتصق باللين والسهولة والإنتاج والخصب والإنبات، ويتواشج هذا الفهم مع نظـــر النحـــويين، على أنّ التذكير أصل والتأنيث فرع له.

أَضْرُبُ الْمُذَكَّرِ وَالْمُؤَنَّثِ:

يقسم المذكر والمؤنث إلى ضربين رئيسيين:
الأوّل: الحقيقيّ: وهو ما كان في الرجل والمرأة، وجميع الحيوان؛ "لأنّك لو سمّيت رجلاً طلحة، لخبرّت عنه كما يخبر إذا كان اسمه مذكراً، ولو سميت امرأة أو غيرها من إناث الحيوان باســـم مذكّر، لخبّرت عنها كما كنت تخبر عنها، واسمها مؤنث"[٢]، وهذا الصنف "يعرف قياساً وسماعاً وطباعاً، كانت فيه علامة التأنيث أو لم تكن"[٣]، وقد حُدِّد المذكر الحقيقي : "بأنه مـــا كـــان مـــن الحيوان مثل الذكور"، أمّا المؤنث الحقيقي فهو: "ممّا بإزائه ذكر في الحيوان"[٤].

ويبدو لي أنّ مقياس العلماء في هذا النوع كان ضابطاً واضحاً ومحدداً؛ لأنّ ذلـــك مـــرتبط بالجانب المادي. ذكَرَ ابن يعيش في شرح المفصّل: "المؤنّث الحقيقي، والمذكر الحقيقي معلومان؛ لأنهما محسوسان، وذلك ما كان للمذكر فيه خلاف فرْج الأنثى كالرجل والمرأة"[٥]، وأكّـــد ابـــن السرّاج على ذلك بقوله: "بأنّ المؤنث الحقيقي يأتي على ضربين: بعلامـــة وغيـــر علامـــة"[٦]،

---

[١] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (أنث).

[٢] المبرد، **المقتضب**، ج٣، ص٣٤٨.

[٣] الصيمري، أبو محمد عبد الله بن علي بن اسحق، **التَّبصرة وَالتَّذكرة**، ط١، ج٢، تحقيق: فتحي أحمد مصطفى علي الدين، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢م ، ص٦١٣.

[٤] الزمخشري، **شرح المفصل**، ص٢٣٧.

[٥] **نفسه**، ج٥، ص٦٢.

[٦] ابن السراج، **الأصول في النَّحْو**، ج٢، ٤٠٧.

والعاري من العلامة يعرف تأنيثه بالإشارة إلى مسماه في القرب (بذي) وفي البعد (بتلك)، ويساوي الاستدلال بالإشارة:

ــ الاستدلال بالضمير.

ــ الاستدلال بالوصف.

ــ الاستدلال بالخبر.

ــ الاستدلال بالحال.

ــ الاستدلال بسقوط التاء في العدد من (٣ ــ١٠).

ــ الاستدلال بظهور التاء في التصغير إن كان المصغر ثلاثياً.

الثَّانِي: المجازيّ: وهذا النوع لا ضابط له ينتظمه؛ لأنه لا يدل على ذات حقيقية أو محسوسة، إنما أُلحق بالمذكر والمؤنث على سبيل المجاز، فهو متعلق بالوضع والاصطلاح، وهذا النوع هو الذي أسهب العلماء في الحديث عنه نظراً لما يحدثه من لَبْس.

وثمة صيغ تعبر عن أحوال خاصة بالمؤنث، فيستغني عن علامة التأنيث مطلقاً. ومن أمثلتها في قوله (ص) في صحيح البخاري كلمة حائض، من حديث ميمونة ــ رضي الله عنها ــ : "حدثنا عبد الله بن شداد، قال: سمعت ميمونة تقول: كان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يصلي وأنا إلى جنبه نائمة، فإذا سجد، أصابني ثوبه، وأنا حائض"[1].

يقول العيني في ذلك: "لا فرق بين الحائض والحائضة، يقال: حاضت المرأة تحيض حيضاً ومحيضاً، فهي حائض وحائضة"، وفي اللغة لم يفرق بينهما، غير أنّ الأصل فيه التأنيث، ولكنْ لخصوصيّة النساء به، وعدم الالتباس ترك التاء"[2].

ولعلي هنا أركز على مسألة واحدة في التذكير والتأنيث، وهي: الألفاظ التي يتساوى بها المذكر والمؤنث، والتي جاءت من قبيل الاتساع في الناحية الصرفية، ووردت في صحيح البخاري.

---

[1] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص ١٩٣، حديث رقم ٤٩٦، باب إذا صلّى إلى فراش فيه حائض.

[2] العيني، **عمدة القاري**، ج٤، ٣٠٥.

بَعْضُ الأَلْفَاظِ التِي يَتَسَاوَى فِيهَا الْمُذَكَّرُ وَالْمُؤَنَّثُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ

ـ من الأسماء التي تطلق على المذكر والمؤنث على حد سواء مثل: (غَنَم) في قوله (ص): "يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شغف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن"[1]. (غنم): اسم جنس يقع على الذكور والإناث جميعاً وعلى الذكور وحدها، والإناث وحدها[2].

ـ ومن ذلك لفظة (بعير)، في قوله (ص):
"عن ابن سيرين عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه: "ذكر أن ـ النبي صلى الله عليه وسلم ـ قعد على **بعيره** وأمسك إنسانٌ بخطامه ـ أو بزمامه ـ قال: أي يوم هذا ؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه، قال: "أليس يوم النحر". قلنا: بلى، قال: "فأي شهر هذا ؟". فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: "أليس بذي الحجة ؟". قلنا: بلى، قال: "فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه"[3].

وقد جاء في (عمدة القاري): "البعير الجمل الباذل، وقيل الجذع، وقد تكون للأنثى، وحكي عن بعض العرب: شربت من لبن بعيري، وصرعتني بعير لي، وفي (الجامع) البعير بمنزلة الإنسان يجمع المذكر والمؤنث من الناس إذا رأيت جملا على البعد، قلت هذا بعير. فإذا استثبته، قلت: جمل أو ناقة. وتجمع على أبْعِرَة وأبَاعِرة وأباعير وبُعْران"[4].

ومن الألفاظ التي يستوي فيها التذكير والتأنيث: لفظة (جُنُب). وقد ورد ذلك في صحيح البخاري:

---

[1] **البخاري، الجامع الصحيح**، ج١، ص١٥، حديث رقم ١٩، باب من الدِّين الفرار من الفتن.

[2] ينظر: العيني، **عمدة القاري**، ج١، ص٢٤٧؛ وَالأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (٢٨٢ ـ ٣٧٠هـ)، **تهذيب اللغة**، ج٨، تحقيق: عبد السلام هارون وَمحمد علي النجار، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، مصر، ١٣٨٤ ـ ١٩٦٤م، مادة (غنم)؛ **وَمختار الصحاح**، مادة (غنم).

[3] **البخاري، الجامع الصحيح**، ج١، ص٣٧، حديث رقم ٦٧، باب ربّ مبلغ أوعى من سامع.

[4] ينظر: العيني، **عمدة القاري**، ج٧، ص١٤؛ **وَتهذيب اللغة**، مادة (بعر).

ــ "عن عائشة، قالت: كنت أغتسل أنا، والنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ من إناء واحد، **كلانا جُنُب** وكان يأمرني، فأتزر، فيباشرني وأنا حائض، وكان يخرج رأسه إلي وهو معتكف فأغسله وأنا حائض"[١].

فقد وردت لفظة (جُنُب) بعد لفظة (كلانا) التي تستخدم للمثنى المذكر والمؤنث. ويقول البدر العيني عنها: "لم تقل (كلانا جُنُبان)؛ لأنها اختارت اللغة الفصيحة"[٢]، وقد ذكر أيضاً: "أنّ الجُنُب يستوي فيه الواحد والمثنى والجمع في اللغة الفصحى، وإن كان يقال جُنُبان وجُنُبون"، وقال أيضاً: "يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث؛ لأنّه اسم جرى جريَ المصدر"[٣].

ومن الألفاظ التي يستوي فيها التذكير والتأنيث لفظة (صاع) في قوله(ص):
"عن ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ قال: فرض النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ صدقة الفطر أو قال: رمضان على الذكر والأنثى والحر والمملوك **صاعاً** من تمرٍ أو **صاعاً** من شعيرٍ. فعدل الناس به نصف **صاعٍ** من بُرٍّ، فكان ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ يعطي التمر فأعوز أهل المدينة من التمر، فأعطى شعيراً. فكان ابن عمر يعطي عن الصغير والكبير حتى إن كان يعطي عن بني. وكان ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ يعطيها الذين يقبلونها وكانوا يعطون قبل الفطر بيوم أو يومين"[٤].

"وفي الصاع لغتان: التذكير والتأنيث، وهو مكيال يسع خمسة أرطال وثلثاً"[٥]. ويقال: "صَاع وصَوَع بفتح الصاد والواو وصُوَاع ثلاث لغات"[٦].

ــ ومن الألفاظ التي يتساوى فيها التذكير والتأنيث (ذراع)، الواردة في الحديث الشريف:

---

[١] **البخاري**، **الجامع الصحيح**، ج١، ص١١٥، حديث رقم ٢٩٥، باب مباشرة الحائض.

[٢] ينظر: العيني، **عمدة القاري**، ج٣، ص٢٦٥، حديث رقم ٢٩٩، باب مباشرة الحائض.

[٣] **نفسه**، ج٣، ص٢٦٥، حديث رقم ٢٩٩، باب مباشرة الحائض.

[٤] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٢، ص٥٤٩، حديث رقم ١٤٤٠، باب صدقة الفطر على الحُرِّ وَالمملوك.

[٥] ينظر: **صحيح مسلم**، ج٢، ص٨٥٩؛ وَينظر: العيني، **عمدة القاري**، ج١٠، ص١٥٤.

[٦] النووي، **المنهاج بشرح مسلم بن الحجاج**، ج٤، ص٣.

"حدثنا إبراهيم بن المنذر، قال: حدثنا أبو ضمـــرة، قال: حدثنا موسى بن عقبـــة عن نـــافع: أن عبد الله كان إذا دخل الكعبة مشى قبل وجهه حين يدخل وجعل الباب قبل ظهره فمـــشى حتـــى يكون بينه وبين الجدار الذي قبل وجهه قريبا من ثلاثة أذرع، صلى يتوخى المكان الذي أخبـــره به بلال أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ صلّى فيه. قال: وليس على أحدنا بأس إن صلّى في أي نواحي البيت شاء"[١].

فقد حدّد البدر العيني تحديد استعمال كلمة الذراع، إذْ قال: "فإن قلت الذراع مذكر فما وجه ترك التأنيث ؟ ... قلت: الذراع الذي يُذرع به يذكّر، وذراع اليد يذكّر ويؤنث"[٢].

ــ ومن الأبنية الصرفية التي تشترك فيها الدلالة على المذكر والمؤنث صيغة **(فعول)**، ومنهـــا لفظة (غيور) التي جاءت في حديثه (ص):

"عن أنس، قال: قال عمر: وافقت ربي في ثلاث، فقلت: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فأُنزلَت "وَاتَّخذوا من مقام إبراهيم مُصلّى". وآية الحجاب. قلت: يا رسول الله، لو أمـــرت نساءك أن يحتجبن، فإنه يكلمهن البَرّ والفاجر، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في **الغيرة** عليه، فقلت لهن: عسى ربّه إن طلقكنَّ، أن يُبْدِلَه أزواجاً خيراً منكنَّ، فأُنزلت هذه الآية"[٣].

جاء في عمدة القاري: "قوله: في الغَيْرة بفتح الغين المعجمة، وهي الحمية، والأنفة. يقـــال: رجل غيور، وامرأة غيور بلا هاء؛ لأن **(فعولا)** يشترك فيه الذكر والأنثى. يقال: غِرْتُ علـــى أهلي، أغَارُ غيرةً، فأنا غائر، وغيور للمبالغة"[٤].

---

[١] **البخاري، الجامع الصحيح**، حديث رقم ٤٨٤ ، ج١، ص١٩٠، باب الصَّلاة بين السَّواري في غير جماعةٍ.

[٢] العيني، **عمدة القاري**، ج٤، ص٢٨٥؛ ويَنظر: الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم (ت٣٢٨هــ)، **كتاب المُذكَّر وَالمُؤنَّث**، ط١، الكتاب الثالث والثلاثون، تحقيق: طارق عبد عون الجنابي، مطبعة العـــاني، بغـــداد، ١٩٧٨م، ص٣٠٢.

[٣] **البخاري، الجامع الصحيح**، ج١، ص١٥٧، حديث رقم ٣٩٣، باب ما جاء في القبلة ومن لا يرى الإعادة على من سها فصلَّى إلى غير القبلة.

[٤] ينظر: العيني، **عمدة القاري**، ج٤، ص١٤٥.

ولفظة غيور كما جاء في صحيح مسلم على وزن "فعول من الغيرة، وهي الحمية، والأنفة تكون للرجل على امرأته، ولها عليه. يقال: رجل غيور، وامرأة غيور بــلا هــاء؛ لأن فعــولا يشترك فيه الذكر والأنثى. قال النووي: يقال: امرأة غَيْرى، وغَيُور، ورجل غَيُور، وغَيْران. وقد جاء فعول في صفات المؤنث كثيرا، كقولهم: امرأة عروس، وعروب، وضحوك لكثيرة الضحك وعقبة كؤود، وأرض صعود، وهبوط، وحدور وأشباهها"[١].

ومثلها لفظة (عروس)، في قوله(ص):

عن جابر بن عبد الله ــ رضي الله عنهما ــ قال: "غزوت مع رســول الله ــ صلى الله عليــه وسلم ــ قال: فتلاحق بي النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأنا على ناضح لنا قد أعيا فلا يكــاد يسير فقال لي: (ما لبعيرك) ؟ قال: قلت: عيي، قال: فتخلف رســول الله ــ صلى الله عليــــه وسلم ــ ، فزجــره، ودعا له. فما زال بين يدي الإبل قدامــها يسير، فقال لي: (كيــف تــرى بعيرك) ؟ قال: قلت بخير قد أصابته بركتك. قال: (أفتبيعنيه) ؟ قال: فاستحييت، ولم يكــن لنــا (ناضح) غيره. قال: فقلت: نعم. قال: (فبعنيه). فبعته إياه على أنّ لي فقار ظهــره حتــى أبلــغ المدينة. قال: فقلت: يا رسول الله، إني **عروس** فاستأذنته، فأذن لي، فتقدمت الناس إلى المدينــة حتى أتيت المدينة، فلقيني خالي، فسألني عن البعير، فأخبرته بما صنعتُ فيه فلامني. قال: وقــد كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال لي حين استأذنته: "هل تزوجت بكرا أم ثيبــا ؟". فقلت تزوجت ثيبا، فقال: "هلا تزوجت بكرا تلاعبها وتلاعبك". قلت: يا رسول الله، توفي والدي أو استُشهد، ولي أخوات صغار، فكرهت أن أتزوج مثلهن، فلا تــؤدبهن، ولا تقــوم علــيهن، فتزوجت ثيبــا، لتقوم عليــهن، وتؤدبــهن. قال: فلمــا قــدم رسول الله ــ صلى الله عليــــه وسلم ــ المدينة غدوت عليه بالبعير، فأعطاني ثمنه، ورده عليَّ. قال المغيرة: هذا في قــضائنا حسن، لا نرى به بأسا".[٢]

وقد جاء في عمدة القاري: "عروس على وزن فعول يستوي فيه الرجل والمرأة ما داما في إعراسهما، يقال: رجل عروس، وامرأة عروس، وجمع الرجل عرسان، وجمع المرأة عــرائس. وفي المثل: كاد العروس أن يكون ملكا"[٣].

---

[١] مسلم، **صحيح مسلم**، ج٢، ص٦٣١.

[٢] **البخاري**، **الجامع الصحيح**، ج٣، ص١٠٨٣، حديث رقم ٢٨٠٥ ، باب استئذان الرَّجل الإمام.

[٣] ينظر: العيني، **عمدة القاري**، ج٤، ص٨٦.

صِيَغٌ مُؤَنَّثَةٌ لَمْ تَلْحَقْهَا عَلامَةُ التَّأنِيثِ:

القياس أن يفرّق بين المذكر والمؤنث بعلامة التأنيث، إلاّ أنّه جاءت عند العرب صيغ دالة على المؤنث من غير أن تلحقها علامة (مميّز)، ومن هذه الصيغ:

أوّلاً: صيغة فاعل: وتأتي على نوعين:

١. نوع تنفرد به النساء دون الرجال.

٢. نوع يشترك فيه المذكر والمؤنث.

ـ وما يشترك فيه المذكر والمؤنث نحو: رجل قائم ، وامرأة قائمة، ومحسن ومحسنة، فإنّ الهاء تدخل؛ لتفصل ما بين الذَّكر والأنثى[١]. كما جاء في الصحيح:

قال حميد بن عبد الرحمن: سمعت معاوية خطيبا، يقول: سمعت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: "من يرد الله به خيراً، يفقّهه في الدِّين. وإنما أنا قاسم. والله يعطي، ولن تزال هذه الأمَّة **قائمة** على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله"[٢]. فقد جاءت لفظة (قائمة) مؤنثة بدلالة التاء في آخرها، وكذلك وجود قرينة (هذه الأمة).

ـ أما ما تنفرد به النساء دون الرجال فقد قرر سيبويه[٣] إسقاط علامة التأنيث، كقولهم: امرأة حائض وطاهر وطامث وطالق وحامل وامرأة بادن وقاعد وجامح[٤]. ومن الأمثلة على ذلك في الحديث الشريف:

"عن منصور بن صفية أن أمه حدثته: أن عائشة حدثتها: أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يتكىء في حِجْرِي وأنا **حائض**، ثم يقرأ القرآن"[٥].

---

[١] الأنباري، **المُذكَّر وَالمُؤنَّث**، ص١٧٩.

[٢] **البخاري، الجامع الصحيح**، ج١، ص٣٩، حديث رقم ٧١، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدِّين.

[٣] سيبويه، **الكتاب**، ج٣، ص٤٢٣.

[٤] ينظر ابن سيده، **المُخصَّص**، السفر ١٦، ص١٢١.

[٥] **البخاري، الجامع الصحيح**، ج١، ص١١٤، حديث رقم ٢٩٣، باب قراءة الرَّجل في حجر امرأته وَهي حائض.

ثانياً: صيغة فعيلٍ عندما تكون بمعنى مفعول:

يقول سيبويه: "إذا كان فعيل في معنى مفعول فهو في المؤنث والمذكر سواء، وهو بمنزلة فعول، تقول: قتيل وجريح وعقير ولديغ. وتقول: شاة ذبيح، كما تقول ناقة كسير"[1].

وسقوط علامة التأنيث ما دام الموصوف مؤنثا مذكوراً، فيأمن اللبس، فإذا أفردت، قلت: "مررت بقتيل"، وأنت تريد امرأة، قلت: مررت بقتيلة. وقد جاء في صحيح البخاري:

"عن أبي هريرة: أن خزاعة قتلوا رجلا من بني ليث ــ عام فتح مكة ــ **بقتيل** منهم قتلوه... "[2].

ــ تَذْكِيرُ وَتَأْنِيثُ بَعْضِ أَسْمَاءِ الْحَيَوَانِ:

السِنّور: يقع على المذكر والمؤنث. والهرّ يقع على المذكر والمؤنث، وقد يدخلون الهاء في المؤنّث، فيقولون: هرّ وهرّة، جاء في الحديث الشريف: عن عبد الله بن عمر ــ رضي الله عنهما ــ : أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: "عذبت امرأة في **هِرَّةٍ** سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض"[3]. والأثبت في الهرّ أنّه خالص للمذكر. وقال أبو زيد: يقال في جمع الهر: هررة، وفي جمع الهرة: هِرر[4].

---

[1] سيبويه، **الكتاب**، ج٣، ص٥٤٧.

[2] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص٥٣، حديث رقم ١١٢، باب من قتل له قتيل فهو بخير النَّاظرين.

[3] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٣، ص١٢٨٤، حديث رقم ٣٢٩٥، باب التَّوبة في سعة رحمة الله تعالى وَأَنَّها سبقت غضبه.

[4] الأنباري، **المُذكَّر وَالمُؤنَّث**، ص١٠٥.

ـ صِفَةُ الْمُؤَنَّثِ غَيْرِ الْحَقِيقِيِّ (الْمَجَازِيِّ)، يَجُوزُ تَذْكِيرُهَا حَمْلاً عَلَى الْمَعْنَى:

ففي الحديث: عن يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال كــان أبــو ذر يحــدث: أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: " فُرِّجَ عن سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل، فَفَرَّجَ صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء **بِطَسْتٍ** من ذهبٍ ممتلىءٍ حكمةً وإيمانــاً، فأفرغــه فــي صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي، فعرج بي إلى السماء الدنيا ..."[١].

لفظة (الطست) مؤنث غير حقيقي، فيجوز تذكير صفته حملاً على معنى الإناء[٢].

---

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص١٣٥، حديث رقم ٣٤٢، باب كيف فرضت الصّلوات في الإسراء.

[٢] العكبري، **إتحاف الحثيث**، ص٧٣.

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ: التَّوَسُّعُ لاخْتِلافِ زَمَنِ الْفِعْلِ

والمقصود بالتوسع لاختلاف زمن الفعل، هو أنّ استعمال زمن المضارع ــ مثلاً ــ يكون في موضع الماضي، أو العكس، إذّ نجد الماضي يستعمل في المضارع ؛ ذلك لأنّ طبيعة السياق قد تفرض ذلك، فضلاً عن الناحية البلاغية التي تنتظم النصوص وفي مقدمتها الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة كصحيح البخاري، فهو حافل بقضايا التوسع لا سيما في الأغراض البلاغية. وسأحاول في هذا الباب إلقاء الضوء على بعض الأحاديث النبوية في صحيح البخاري وما جرى فيها من قلب لزمن الفعل.

ففي الحديث الشريف: قال مالك أخبرني زيد بن أسلم أن عطاء بن يسار أخبره أن أبا سعيد الخدري أخبره: أنه سمع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ **يقول**: "إذا أسلم العبد، فحسن إسلامه، يكفّر الله عنه كل سيئة كان زلفها **وكان بعد ذلك القصاص** الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها"[١].

ونجد في الحديث الفعل المضارع المخطوط تحته (يقول)، استخدم في موضع الماضي ، لغرض استحضار الصورة الذهنية، كأنه يقول: "الآن والحاضرون يطلعون على ذلك مبالغة في تحقيق وقوع ذلك القول"[٢]، ومثل ذلك قوله تعالى: "إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب، ثمَّ قال له كن فيكون"[٣]، حيث لم يرد، (فكان) بالماضي. وكذلك نجد في قوله (ص): "وكان بعد ذلك القصاص"، وعلى النقيض تماماً، أنه استخدم الماضي وأراد به المضارع؛ لأنَّ السياق يقتضي المضارع ذلك؛ "لأنّ الحديث هنا حول ما سيكون بعد إخلاص الإسلام وإحسانه، وهذا الاستعمال إشارة إلى تحقيق الوقوع، ومثله قوله تعالى: "ونادى أصحاب الجنَّة"[٤].

ونجد في كثير من الأحيان استعارة الأفعال باعتبار الزمن، فنجد مثلاً إطلاق زمن الماضي ليشمل الحاضر والمستقبل معاً، ولقد كثر هذا النمط في الحديث الشريف "عقب أداة العموم شرطاً

---

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص٢٤، حديث رقم ٤١، باب حسن إسلام المرء.

٢ أبو بكر، محمد بيلو أحمد، **من بلاغة السنّة**، مطبعة القاهرة، ١٩٧٩م، ص٣٣.

[٣] **آل عمران**، آية ٥٩.

[٤] أبو بكر، **من بلاغة السنة**، ص٣٣؛ **سورة الأعراف**، آية ٤٤.

أو غير شرط، إشعاراً بأنه من الأمور التي تتحقق في الوجود كثيراً، فكلما وجدت، كان حكمها هو المذكور من بعد"[١]. ومن الأمثلة على ذلك في صحيح البخاري: قوله (ص):

عن عروة عن عائشة رضي الله عنها: عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: "**مَن أَعْمَرَ** أرضًا ليست لأحد، فهو أحق" [٢]. وفي رواية أخرى: "**من عمَّر** أرضاً ليست لأحد فهو أحقّ بها"[٣]. فاسم الشرط (منْ) أداة دلّت على عموم، وجاء بعدها فعل ماضٍ، والمقصود به الحاضر والمستقبل.

ومن الأمثلة أيضاً: عن أبي هريرة قال: كان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بارزا يوما للناس فأتاه جبريل، فقال: ما الإيمان ؟ قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث". قال: ما الإسلام ؟ قال: "الإسلام أن **تعبد** الله ولا **تشرك** به و**تقيم** الصلاة و**تؤدي** الزكاة المفروضة و**تصوم** رمضان". قال: ما الإحسان ؟ قال: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك". قال: متى الساعة ؟ قال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمَة ربّها، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان في خمس لا يعلمهن إلا الله". ثم تلا النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "إنَّ الله عنده علم السَّاعة"، ثم أدبر فقال: "ردُّوه"، فلم يروا شيئا، فقال: هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم"[٤].

فالأفعال المضارعة الخمسة: (تعبد، تشرك، تقيم، تؤدي، تصوم) في معنى الأمر، "ولعلَّ من ألطف اللطف في سر العدول عن صيغة الطلب إلى صيغة الخبر أنّ كمال ذوقه الشريف ــ عليه السلام ــ وحدّة فطنته، طابقت بهذا الوجه الخبري قول صاحبه: (أخبرني ...)

---

[١] **صحيح البخاري**، ج٢، ص٨٢٣، حديث رقم ٢٢١٠، من أحيا أرضاً مواتاً.

٢ عز الدين، **الحديث النبوي من الوجهة البلاغية**، ص٣٥١.

[٣] ابن الجارود، أبو محمد عبد الله بن علي (ت٣٠٧هـ)، **المنتقى من السنن المسندة**، (ط١)، ج١، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م ، ص٢٥٣.

[٤] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص٢٧، حديث رقم ٥٠، باب سؤال جبريل النَّبيّ (ص) عن الإيمان وَالإسلام وَالإحسان وَعلم السَّاعة.

ولو دلّه بصيغة الطلب، لكان مجيباً عما سأل، ولكن شتان ما بين الجوابين من الدلالة على الحاسة البيانية المرهفة"[١].

ومن الأمثلة:

ــ عن أنس قال: قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "إن من أشراط الساعة أن يُرْفَع العلم، ويثبت الجهل، **ويشرب** الخمر، و**يظهر** الزنا"[٢].

ــ عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: قال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "**لا يزني** الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، **ولا يسرق** حين يسرق وهو مؤمن، **ولا ينتهب** نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن"[٣].

في الحديث الأول الفعلان (يشرب، ويظهر) المخطوط تحتهما يظهر فيهما معنى الأمر بالإباحة، وكذلك الأفعال المنفية في الحديث الثاني (لا يزني، ولا يسرق، ولا ينتهب) يظهر فيها معنى النهي عن مدلوله، "والطلب بهذه الصورة أعون على تصوّر الحكم وأدعى إلى الامتثال؛ لإظهار المطلوب في صورة المخبر عنه كأنّه قد كان"[٤].

ومن الأمثلة على الوصف بالمضارعية قصداً إلى الإغراء بالامتثال والتحذير من المخالفة، قوله (ص): عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "لا يحل لامرأةٍ تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة ليس معها حرمة"٥. فقد" لازم الوصف نفيه عن امرأة تسافر هذه المسافة دون محرم لها يصحبها، أو اتصافها بالوصف مع اعتسافها حرمته، فهي مرددّة بين صدر الحديث (لا يحل) وبين الصفة (تؤمن بالله)، ونفي

---

[١] عز الدين، كمال، **الحديث النبوي من الوجهة البلاغية**، ص٣٥٩.

[٢] **البخاري**، **الجامع الصحيح**، ج١، ص٤٣، حديث رقم ٨٠، باب رفع العلم وظهور الجهل.

[٣] **نفسه**، ج٢، ص٨٧٥، حديث رقم ٢٣٤٣، باب النَّهي بغير إذن صاحبه.

[٤] عز الدين، **الحديث النبوي من الوجهة البلاغية**، ص٣٥٩.

[٥] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص٣٦٩، حديث رقم ١٠٣٨، باب في كم يقصر الصَّلاة.

فعل (الحل). وهو مضارع يقطع الأمل في تجدد النظر في هذا الحكم"[1]. ونرى أيضاً أنّ اختيار فاعل (يحل) مصدراً مؤولاً، فإنّ هذا الحرف علم استقبال وذلك يشير إلى طرد الحكم على ما سيحدث دون ما حدث؛ لأنّ ما سبق عفو يرجى له السماح من الله.

ومن الأمثلة أيضاً: عن نافع، عن ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ : عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : "دخلت امرأة النَّار في هرَّةٍ ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض"[2].

فالتعبير عن القصة بالماضي في قوله: (دخلت) من باب التأكيد على حصولها؛ لأنها خبر المعصوم، وهي على هذا الوجه تبين خطر السبب الذي قد يحسبه أناس هيّناً وهو عند الله عظيم. فدخول المرأة النار إنما هو في هرَّةٍ، ولكن ما شأن هرَّةٍ تُدخِلُ الإنسان النار؟ إنّ الجمل المتتابعة التي وصفت بها النكرة هي في الواقع وصف مشترك بين المرأة والهرة؛ لاتصالها الفعل بضمير المرأة فاعلاً وبضمير الهرّة مفعولاً، فهي لبيان حالهما معاً[3].

ــ ومن الألفاظ الماضية التي تدل على المستقبل من حيث المعنى، الفعل (أدركني) في الحديث الشريف التالي:

"يقول حذيفة بن اليمان: كان الناس يسألون رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني. فقلت يا رسول الله: إنا كنا في الجاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال: (نعم). قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال: "نعم، وفيه دخن". قلت: وما دخنه ؟ قال: "قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر". قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال: "نعم دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها". قلت: يا رسول الله، صفهم لنا. فقال: "هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا". قلت: فما تأمرني إن **أدركني**

---

[1] عز الدين، **الحديث النبوي من الوجهة البلاغية**، ص٤١٨.

[2] **البخاري، الجامع الصحيح**، ج٣، ص١٢٠٥، حديث رقم ٣١٤٠، باب خمس من الدَّوابّ فواسق يقتلن في الحرم.

[3] عز الدين، **الحديث النبوي من الوجهة البلاغية**، ص٤١٨.

ذلك ؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت فإن لم يكن لهم جماعة، ولا إمام. قال: "فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت، وأنت على ذلك"[١].

ـ ومن أمثلة صيغ الطلب بصيغة الماضي: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: "**رحم** الله رجلا سمحا إذا **باع** وإذا **اشترى** وإذا **اقتضى**"[٢].

وقد جاء الطلب هنا إشعاراً بتحقق المطلوب كأنّه قد وقع فعلاً، وقد ورد الطلب في الحديث السابق بصيغة الترغيب، وقد يرد بصيغة الترهيب للحمل على ما كان الدعاء بسببه من خير أو شر[٣]. وقد ورد في تفسيره، قول الإمام ابن حجر: يحتمل الدعاء ويحتمل الخبر، فالدعاء جزم به ابن حبيب المالكي وابن بطّال.

قال الكرماني: "ظاهره الأخبار لكن قرينة الاستقبال المستفاد من (إذا) تجعله دعاء وتقديره: رحم الله رجلا يكون كذلك. وقد يستفاد العموم من تقييده بالشرط قوله: سمْحاً بسكون الميم وبالمهملتين، أي: سهلا. وهي صفة مشبهة تدل على الثبوت، فلذلك كرر أحوال البيع والشراء والتقاضى والسمح الجواد. يقال: سمح بكذا إذا جاد والمراد هنا المساهلة. قوله: وإذا اقتضى، أي: طلب قضاء حقه بسهولة، وعدم الحاف في رواية حكاها بن التين، وإذا قضى، أي: أعطى الذي عليه بسهولة بغير مطل. وللترمذي والحاكم من حديث أبي هريرة مرفوعا أن الله يحب سمح البيع سمح الشراء سمح القضاء. وللنسائي من حديث عثمان رفعه أدخل الله الجنة رجلا كان سهلا مشتريا وبائعا وقاضيا ومقتضيا، ولأحمد من حديث عبد الله بن عمرو نحوه. وفيه الحض على السماحة في المعاملة، واستعمال معالي الأخلاق، وترك المشاحنة، والحض على ترك التضييق على الناس في المطالبة، وأخذ العفو منهم"[٤].

---

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٣، ص١٣١١، حديث رقم٣٤١١، وَأخرجه مسلم في باب وجوب ملازمة المسلمين عند ظهور الفتن.

[٢] **نفسه**، ج٢، ص٧٣٠، حديث رقم ١٩٧٠، باب السُّهولة وَالسَّماحة في الشِّراء وَالبيع ومن طلب حقاً فليطلبه في عفافٍ.

[٣] عز الدين، **الحديث النبوي من الوجهة البلاغية**، ص٣٤٢.

[٤] **نفسه**، ج٤، ص٣٠٨.

ــ وقد يستعار الفعل المضارع من أجل أن يكون خبراً أو طلباً، فالمضارع الخالي مــن علــم الاستقبال يعبّر به عن الماضي أو المستقبل لاستحضار صورة مدلوله في الحال، تقريراً له فــي النفس، كالمشاهد. والبيان النبوي حاضر فيه هذا الأسلوب التقريري فــي تــصوير الأحــداث ووقائعها. فمن أمثلــة استحضار الماضي: عن أبي هريرة: أن رســول الله ــ صلى الله عليــه وسلم ــ قال: "بينما رجل **يمشي** بطريق وجد غصن شوك على الطريق، فأخره فــشكر الله لــه فغفر له. ثم قال: الشهداء خمسة المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله. وقال: لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا لاستهموا عليه. ولو يعلمون ما في التهجير، لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح، لأتوهمــا ولــو حبوا"[١].

عن أبي صالح عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ : أن رســول الله ــ صلى الله عليــه وسلم ــ قال: "بينما رجل يمشي فاشتد عليه العطش، فنزل بئرا، فشرب منها ثم خرج، فإذا هــو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خفه، ثم أمــسكه بفيه، ثم رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر لــه". قالوا: يا رسول الله: وإن لنا في البهــائم أجرا ؟ قال: في كُلِّ كبدٍ رطبةٍ أجرٌ"[٢].

فالأفعال المضارعة في الحديثين السابقين كغيرها من الأفعال، وقعت في الزمن الماضــي، ولكنها صوّرت صورة الحاضر المشاهَد جذباً لانتباه المخاطب إلى القصة.

ومن الأمثلة على استحضار المستقبل، قوله عليه السلام: "**يُجاء** بالرجل يوم القيامة، **فيلقى** في النار، **فتندلق** أقتابه في النار، فيدور كما **يدور** الحمار برحاه، **فيجتمع** أهــل النــار عليــه، **فيقولون**: أي فلان، ما شأنك ؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ قــال: كنــت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه"[٣].

---

[١] **البخاري، الجامع الصحيح**، ج١، ص٢٣٣، حديث رقم ٦٢٤، باب فضل التَّهجير إلى الظّهر.

[٢] **نفسه**، ج٢، ص٨٧٠، حديث رقم ٢٣٣٤، باب الآبار على الطُّرق إذا لم يتأذ بها.

[٣] **نفسه**، ج٣، ص١١٩١، حديث رقم ٣٠٩٤، باب صفة النَّار وَأنَّها مخلوقة.

فالسياق هنا دال على استقبال هذه الأفعال المضارعة، "لتصويرها مشاهد أخروية، عُبِّر عنها بالمضارع المجرد، لاستحضار صورها في الحال تقريراً لما تقص من تلك المشاهد"[١].

ـ وقد ورد الفعل الماضي بمعنى الطلب في عدة مواضع في صحيح البخاري، وقد تنوّع فيها الفعل بين الماضي والمضارع والمضارع المنفي، وفيما يلي بيان ذلك:

"عن الحسن عن أبي بكر: أنه انتهى إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو راكع، فركع قبل أن يصل إلى الصف، فذكر ذلك للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: **زادك** الله حرصا ولا تعد"[٢].

فالفعل (زادك) هو فعل ماض، أُريد منه الدعاء إلى الله عزّ وجل، حرصاً على مشاركة الجماعة.

وقد يخرج الفعل المضارع عن معناه الأساسي وهو الإخبار إلى معنى الإنشاء في مواضع كثيرة في الحديث الشريف زادت عن مواضع الفعل الماضي الذي تحوّل إلى معنى الإنشاء، ومن الأمثلة على ذلك: عن أبي وائل، عن عبد الله، قال: قسم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قسما، فقال رجل إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله، فأخبرت النبي (ص) فغضب، حتى رأيت الغضب في وجهه، وقال: "**يرحم** الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر"[٣].

فالفعل (يرحم) المخطوط تحته أُريد من معناه الرحمة والدعاء له بالمغفرة.

ـ وقد يأتي الفعل المضارع المنفي بلا معنى الطلب،

---

[١] السيد، عز الدين علي، **الحديث النبوي من الوجهة البلاغية**، ج١، مكتبة الرسالة، حلب، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٣م، ص٣٤٥.

[٢] البخاري، **الجامع الصحيح**، ص٢٧١، حديث رقم ٧٥٠، باب إذا ركع دون الصَّف.

[٣] **نفسه**، ج٥، ص٢٣٣٣، حديث رقم ٥٩٧٧، باب قوله تعالى: "**فصلّ عليهم**"، ومن خصّ أخاه بالدُّعاء دون نفسه.

ومن الأمثلة على ذلك: عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ :عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال: "**لا يُلْدغُ** المؤمن من جحر واحد مرتين"[١].

وقال الإمام ابن حجر في شرح (لا يلدغ): هو بالرفع على صيغة الخبر. وقال الخطابي: "هذا لفظه خبر ومعناه أمر؛ أي: ليكن المؤمن حازماً حذراً لا يؤتى من ناحية الغفلة، فيخدع مرة أخرى، وقد يكون ذلك في أمر الدين كما يكون في أمر الدنيا، وهو أولاهما بالحذر ..."[٢].

التَّوَسُّعُ لاخْتِلافِ التَّعْدِيَةِ وَاللُّزُومِ:

الفعل المتعدي في العربية نوعان:

الأوَّل: متعدٍ بنفسه، ويسمى المفعول به: (مفعولاً صريحًا).

الثَّانِي: متعدٍ بحرف الجر، ويسمى المجرور: (مفعولاً غير صريح).

والنوع الثاني مختلف في تصنيفه وتسميته، فقد عدّه بعض القدماء فعلاً لازماً[٣]، في حين جعل بعض النحاة المجرور ملحقاً بالمفعول به[٤]، على نحو قوله (ص): "... حتى **أجمعوا قتله** ..."[٥]. فأجمع الأمر يتعدى بنفسه إلى مفعول واحد، ولا يحتاج إلى حرف جر[٦]، ومنه قوله تعالى: "فاجمعوا أمركم وشركاءكم"[٧].

ــ وقد تأتي بعض الأفعال لازمة ومتعدية وفق السياق الذي جاءت به، ففي حديث رسول الله(ص): "لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز **تضيء** أعناقَ الإبل ببصرى"[٨].

---

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٥، ص٢٢٧١، حديث رقم ٥٧٨٢، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرَّتين.

[٢] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج١٠، ص٥٣٠.

[٣] ابن يعيش، **شرح المفصل**، ج٧، ص٦٣.

[٤] ابن مالك، **شرح الكافية**، ص٨٢.

[٥] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٤، ص١٤٦٥، حديث رقم ٣٧٦٧، باب من شهد بدراً.

[٦] العكبري، **إتحاف الحثيث**، ص١٤٩.

[٧] **يونس**، آية ٧١.

[٨] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٦، ص٢٦٠٥، حديث رقم ٦٧٠١، باب الفتن وَأشراط السَّاعة.

فقد جاءت أعناق منصوبة، والفعل (تضيء) جاء متعدياً، والفاعل (نار)، والتقدير: تجعل على أعناق الإبل ضوءاً. وقال الشاعر:

أضاءت لنـــا النَّار وجـــهاً   أعزَّ ملتبساً بالفؤاد التباساً[١]

ولو كان بالرفع لكان أوجه؛ أي: تضيء أعناق الإبل به[٢].

ومن الأمثلة أيضاً: عن أبي سعيد: جاءت امرأة إلى رسول الله ــ صلى الله عليــه وسلم ــ فقالت: يا رسول الله، **ذهب** الرجال **بحديثك**، فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله فقال: "اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا". فاجتمعن، فأتاهن رسول الله ــ صـــلى الله عليه وسلم ــ فعلمهن مما علمه الله، ثم قال: "ما منكن امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثـــة إلا كان لها حجابا من النار". فقالت امرأة منهن: يا رسول الله، اثنين ؟ قال فأعادتها مرتين ثـــم قال: "واثنين واثنين واثنين"[٣].

الفعل (ذهب) فعلٌ لازم وعُدّي هنا بالباء؛ وقد أورد ابن هشام: من معاني البـــاء الجـــارَّة التعدية، قال: وتسمّى باء النقل أيضاً، وهي المعاقبة للهمزة في تصيير الفاعل مفعولاً، وأكثر ما تعدي الفعل القاصر. نقول في ذهب زيد: ذهبت بزيد وأذهبته، "ومنه ذهب الله بنورهم"[٤]. وأصل معنى الذهاب السير والمرور، ويبدو هنا أنّ الرجال استأثروا بحديث رسول الله صلى الله عليــه وسلم، فلم يبق للنساء وقت خاص بهنَّ يتعلمنَّ فيه ما يخصهنَّ ويتصل بـــشؤونهنَّ مـــن أمـــور الدين[٥].

---

[١] النابغة الجعدي، **ديوان النابغة الجعدي**، ط١، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م، ص٨٠.

[٢] العكبري، **إتحاف الحثيث**، ص١٥٤.

٣ البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٦، ص٢٦٦٦، حديث رقم ٦٨٨٠، باب تعليم النَّبيِّ (ص) أمَّته مـــن الرِّجـــال وَالنِّساء ممّا علَّمه الله ليس برأيٍ ولا تمثيلٍ.

[٤] ينظر: الميداني، عبد الرحمن حبنكة، **روائع من أقوال الرسول**، الناشر: عبد الرحمن حسن حبنكـــة، عمـــان، ١٩٧١م، ص٨١.

[٥] **نفسه**، ص٨١.

ويفسر نهاد الموسى وجود هذه الظاهرة التي تتردد بين التعدية واللـزوم أنّ اللغـة نُقلـت مشافهة، وتدرّجت في مراقي التطور، ممّا أدّى إلى تسجيل وجهين للظاهرة الواحدة لا سبيل إلى مردّ أحدهما. فقد لاحظ النحاة أنّ الفعل اللازم يتعدّى بالحرف، وأنّ الحرف قد يحـذف أحيانـاً فينصب المجرور على نزع الخافض، وهي مرحلة بين التعدية واللزوم، فإنّه لم يكن الفعل يلبث أن ينتقل إلى التعدي ولم يكن الاسم المنتصب بنزع الخافض يلبث أن يصبح مفعولاً به صريحاً[١].

ويضرب الدكتور نهاد الموسى لهذه الظاهرة أمثلة، مثل الفعلين: نصح، وشكر. فقد كـان الغالب عليهما في طورهما أنهما لازمان يتعديان بالحرف، فلا يكاد يُقال إلاّ شكرت له ونصحت له، وفي القرآن الكريم: "أنْ اشكر للّه"[٢]، "وأن اشكر لي"[٣]، "نصحت لكم"[٤]. ولكنَّ هذين الفعلـين شهدا انتقالاً إلى التعدي في بدايات إسقاط الحرف معهما[٥].

ــ ومن الأمثلة على الفعل المتعدي بحرف الجر الفعل (خرج)، وعدّي بحرف الجر (بـصدقته) الذي ورد في الحديث الشريف:

عن الأعرج، عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ : أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسـلم ــ قال: "قال رجل: لأتصدقنَّ بصدقة، **فخرج بصدقته،** فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تصدق على سارق، فقال: اللهم لك الحمد لأتصدقنَّ بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها فـي يـد زانية، فأصبحوا يتحدثون تصدق الليلة على زانية، فقال: اللهم لك الحمد ؟ لأتـصدقنَّ بـصدقة، فخرج بصدقته. فوضعها في يدي غني فأصبحوا يتحدثون تصدق على غني، فقال اللهم لك الحمد على سارق وعلى زانية وعلى غني، فأتي، فقيل له: أما صَدَقتك على سارق، فلعله أن يـستعف عن سرقته، وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغني فلعله يعتبر فينفق مما أعطـاه الله"[٦].

---

[١] الموسى، نهاد، فيها قولان، أو أضواء على مسألة التعدد في وجوه العربية، **مجلة أفكار**، عمَّـان، العـدد ٢٨، تموز ،١٩٧٥م، ص٤٤ ــ ٤٥.

[٢] **لقمان**، آية ١٢.

[٣] **لقمان**، آية ١٤.

[٤] **الأعراف**، آية ٧٩.

[٥] نهاد الموسى، فيها قولان، أو أضواء على مسألة التعدد في وجوه العربية، ص٤٥.

[٦] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٢، ص٥١٦، حديث رقم ١٣٥٥، باب إذا تصدّق على غنيٍّ وهو لا يعلم.

ــ ومن الأمثلة على الفعل المتعدي إلى مفعول به واحد ــ وهو شائع بكثرة في كلامنا ــ ما جاء في صحيح البخــاري: عن أبي هريرة ــ رضي الله عنــه ــ : عن النبي ــ صلى الله عليــه وسلم ــ قال: "**خلق الله آدم** وطوله ستون ذراعا، ثم قال: اذهب فسلم على أولئك من الملائكــة، فاستمع ما يحيونك تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمــة الله، فزادوه ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص حتــى الآن"[١].

فالفعل(خلق) تعدّى إلى مفعول به واحد هو(آدم).

ــ ومن الأمثلة على الفعل المتعدي إلى مفعولين، أصلهما مبتدأ وخبر، يكون المفعولان اســمين ظاهرين، وأحياناً تأتي جملــة إنّ أو غيرها، فتسد مســدّ المفعولين، ومن ذلك: عن ابن عمــر ــ رضي الله عنهما ــ قال: قال: رســول الله ــ صلى الله عليــه وسلم ــ : "ما زال جبريــل يوصيني بالجار حتى **ظننت أنه سيورثه**"[٢]. فالفعل ظنّ يأخذ مفعولين، وهنا سّــدت إنّ واســمها (الضمير الهاء)، وخبرها (الجملة الفعلية) مسدّ المفعولين.

ــ ومن الأمثلة على الفعل المتعدي إلى مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبراً، بحيث يكون المفعول به الثاني اسماً مفرداً حيناً، أو مصدراً مؤوّلاً حيناً آخر، وقد يكون المفعــولان ضــميرين فــي الجملة، وقد يكون التركيب غير ذلك، ومنها ما جاء في الحديث الشريف: عن أبي سلمة، عــن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ : أن رجلا أتى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يتقاضاه بعيرا، فقال: رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ (أعطوه). فقالوا: ما نجد إلا سنا أفضل مــن ســنه. فقال الرجل: أوفيتني أوفاك الله، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : أعطوه فــإن مــن خيار الناس أحسنهم قضاء"[٣]. وجاء الحديث برواية صحيح مسلم: "أعطه إياه إن خيــار النــاس أحسنهم قضاء"[٤].

فالفعل أعطى أخذ مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبر، بل جاءا ضميرين: أحدهما متــصل (الهاء)، والآخر منفصل (إياه).

---

[١] **البخاري، الجامع الصحيح**، ج٣، ص١٢١٠، حديث رقم ٣١٤٨، باب قول الله تعالى: "**وإذ قال ربُّك للملائكــة إنِّي جاعلٌ في الأرض خليفة**".

[٢] **نفسه**، ج٥، ص٢٢٣٩، حديث رقم ٥٦٦٩، باب الوصاءة بالجار.

[٣] **نفسه**، ج٢، ص٨٤٣، حديث رقم ٢٢٦٢، باب هل يعطي أكبر من سنّه.

[٤] مسلم، **صحيح مسلم**، ج٣، ص١٢٢٤، حديث رقم ١٦٠٠، باب من استلف شيئاً فقضى خيراً منــه وخيــركم أحسنكم قضاءً.

الْمَبْحَثُ الرَّابِعُ: التَّوَسُّعُ للاشْتِقَاق

وعند الحديث عن الاشتقاق بأنواعه، نجد أنّ التوسع قد أخذ مكاناً واسعاً، ودلالات لها أثرها الواضح في صياغة المعنى وتوافقه مع السياق. والمشتقات على أنواع:
الاشتقاق القلبي[١]، والاشتقاق الإبدالي[٢]، والاشتقاق الكبّار (النحتي)[٣]، والاشتقاق الأصغر[٤]. وأخيراً الاشتقاق الصغير. والاشتقاق الصغير هو ما سوف ندرس موضوع الاتساع فيه. وفي الحقيقة أنّ الاشتقاق الصغير غير الاشتقاق الأصغر، فالاشتقاق الأصغر يختص بالأفعال، في حين أنّ الاشتقاق الصغير يختص باشتقاق الأسماء من الأسماء.

ولعلّ أهم الموضوعات التي تندرج تحت هذا الباب: اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة واسما الزمان والمكان واسم الآلة واسم المرة واسم الهيئة واسم التفضيل والمصدر الميمي والتصغير والنّسب وغيرها ...

ونظراً لاتساع هذا الباب وخشية الإطالة، فسأكتفي بإيراد بعض الأمثلة في صحيح البخاري، التي تؤكد ظاهرة الاتساع في الناحية الاشتقاقية في الموضوعات التالية:

أولاً: صيغ المُبالغة:

قد تأتي اللفظة على وزن فعيل من صيغ المبالغة، ولا يراد به ظاهر هذه الصيغة وإنما يراد به اسم الفاعل، ومن الأمثلة على ذلك في صحيح البخاري :

---

[١] **القلب في الاصطلاح:** " اصطلاح التغيير في المادة اللغوية، وفي اللفظة المشتقة عليها، وفي الجملة جميعها تغيير مواضع العمد، والفضلات أو النكرات والمعارف، وما إلى هذه المتغيرات النحوية من تقاسيم"، ينظر: طنطاوي، محمد دراز، **ظاهرة الاشتقاق في العربية**، مطبعة عابدين، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٣٢٣.

[٢] **الاشتقاق الإبدالي:** " إحلال شيء محل آخر في الاستعمال اللغوي "، ينظر: **المرجع السَّابق**، ص٣٢٧.

[٣] **النحت:** اقتطاع بعض الحروف من لفظ ومن آخر؛ ليبدو الجميع على شاكلة جديدة، فيها اختصار لمعان كثيرة مقصودة؛ لإرادة الدلالة على معنى جديد أريدت منه مادة لغوية لم تكن موجودة من قبل.

[٤] **الاشتقاق الأصغر:** " وهو اشتقاق الأفعال من مادة جامدة، سواء أكانت هذه المادة مصدراً مجاراة للمدرسة البصرية أم لم تكن سوى مادة مجردة هي أصل الفعل والمصدر عند الوضع، وهو الصحيح "، **المرجع السَّابق**، ص٣٧٩.

عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه، قال: أثنى رجل على رجل عند النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال: "ويلك قطعت عنق صاحبك قطعت عنق صاحبك". مرارا، ثم قال: "من كان منكم مادحا أخاه لا محالة فليقل أحسب فلانا والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحدا، أحسبه كذا وكـذا، إن كان يعلم ذلك منه"[١].

فلفظة (حسيب) هنا على وزن فعيل، وجاءت بمعنى (الله كافيَهُ)، ومعناه مُحْسِبَاً من أحسبني كذا؛ أي: كفاني، فيكون فعيلاً بمعنى مُفْعِل؛ أي محاسباً أو حاسـباً لأعمـالكم يجـازيكم بهـا، وحسيب: فَعِيل بمعنى: مُفَاعِل، كجليس وخليط، أو بمعنى فاعِل حُوّل للمبالغة، "وهـذا الكـلام ينطبق على الآية الكريمة: "وكفى بالله حسيبا"[٢].

ــ ومن أوزان صيغ المبالغة التي يستوي فيها المذكّر والمؤنث: مفعول ومفعال ومِفْعِيل، وأذكر منها ما ورد في صحيح البخاري لفظة (عجوز) على وزن فعول:

عن أنس بن مالك: أن جدته مليكة دعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لطعام صـنعته له، فأكل منه، ثم قال: "قوموا فلأصل لكم". قال أنس: فقمت إلى حصير لنا قد اسودَّ من طول ما لبس، فنضحته بماء، فقام رسول الله ــ صلى الله عليـه وسلم ــ وصففت أنـا واليتـيم وراءه و**العجوز** من ورائنا، فصلى لنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ركعتين ثم انصرف"[٣].

ثانياً: اسم المَفْعول:

هناك من الأوزان ما ينوب عن صيغة مفعول، وتؤدي مؤدّاه، وإنْ كانت صورته على غير وزنه، ومن ذلك: ذبيح بمعنى مذبوح، وجريح بمعنى مجروح، وقتيل بمعنى مقتول، وكل ذلـك من باب التوسع في الاستخدام. ومن أمثلة ذلك لفظة (قتيل) التي جاءت بمعنـى مفعـول؛ أي: (مقتول)، في الحديث الشريف:

---

[١] **البخاري، الجامع الصحيح**، ج٢، ص٩٤٦، حديث رقم ٢٥١٩، باب إذا زكّى رجل رجلاً كفاه.

[٢] ينظر: أبو حيان الأندلسي الغرناطي (٦٥٤هـ ــ ٧٥٤هـ)، **البحر المحيط في التفسير ج٣**، عناية: الـشيخ زهدي جعيد، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ ــ ١٩٩٢م، ص١٧٤؛ **النِّساء**، آية ٦.

[٣] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص١٤٩، حديث رقم ٣٧٣، باب الصَّلاة على الحصير.

أخبرني نافع أن ابن عمر أخبره، أنه وقف على جعفر يومئذ وهو قتيل فعددت به خمسين طعنة وضربة ليس منها شيء في دبره. "يعني في ظهره"[١].

ـ وقد جاء اسم المفعول من (أفعل) على وزن مجيئه من الثلاثي في بعض الأفعال، أي: على وزن مفعول، ومن ذلك: أحزنه فهو محزون، وأسعده فهو مسعود، وأزكمه فهو مزكوم، وأحمّه فهو محموم. والقياس في هذه الأوزان: مُحْزَن، ومُسْعَد، ومُزْكَم، ومُحْمَم. ومن الأمثلة على (محموم) في صحيح البخاري: عن جابر رضي الله عنه: جاء أعرابي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فبايعه على الإسلام، فجاء من الغد **محموما** فقال أقلني[٢]، فأبى ثلاث مرات فقال: "المدينة كالكير تنفي خبثها، وينصع طيبها"[٣].

ثالثاً: الصِّفة المُشبَّهة:

تأتي الصفة المشبهة على عدة أوزان، أذكر منها[٤]:

١. فَعْلان ومؤنثه فَعْلى، على نحو ظمآن: ظمأى، وغضبان: غضبى. وغيرها.

٢. فَعِل، نحو: فرح.

٣. أفعل الذي مؤنثه فعلاء، على نحو: أحمر حمراء.

ومن باب التوسع في هذه الأوزان، يقول أبو حيَّان التَّوحيديُّ: وقد تشترك الأوزان الثلاثة السابقة في لفظة واحدة، على نحو: شعِث، وأشعث، وشعثان، أي: تأتي الصفة المشبهة من المادة

---

[١] **البخاري**، **الجامع الصحيح**، ج٤، ص١٥٥٣، حديث رقم ٤٠١٢، باب غزوة مؤتة من أرض الشَّام.

[٢] **أقلني**: من الإقالة، وهي فسخ ما أبرم من عقد أو عهد.

[٣] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٢، ص٦٦٥، حديث رقم ١٧٨٤، باب المدينة تنفي الخبث.

[٤] ينظر: **الكتاب**، ج٢، ص٢٢٠؛ و ابن مالك، **شرح الكافية الشافية**، ج١، ص١٤٤.

الواحدة (فعِل)، (أفعل) وَ(فعلان)[١]. قال الرضي: "والمقصود أن الثلاثة المذكورة إذا تقاربت قد تشترك وقد تتناوب"[٢]. وقد ورد في الحديث الشريف لفظة (شعث):

عن أبي هريرة عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: "تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش. طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله **أشعث** رأسه مغبرة قدماه إن كان في الحراسة، كان في الحراسة وإن كان في الساقة، كان في الساقة. إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع، لم يشفع"[٣].

وذكر الرضي: أنّه قد ينوب (فعلان) عن فَعِل، مثل: غضبان، والقياس:غَضِب، وقال: "إذْ الغضب هيجان، وإنما كان ذلك لأن الغضب يلزمه في الأغلب حرارة الباطن، ومثال ذلك من الحديث:

عن عبد الله ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: "من حلف على يمين يقتطع بها مال امرئ هو عليها فاجر، لقي الله وهو عليه **غضبان**"[٤].

ــ وقد تجيء الصفة المشبهة على زنة اسم الفاعل أو اسم المفعول إذا دلّ كلٌ منهما على صفة ثابتة في الموصوف، كأن تقول: طاهر النفس، وناعم العيش، ومهذب الخلق، وحاضر البديهة، ومعتدل القامة. وقد جاءت في الحديث: "عن الجعيد بن عبد الرحمن: رأيت السائب بن يزيد ابن أربع وتسعين جلدا **معتدلا**، فقال: قد علمت ما متعت به سمعي وبصري إلا بدعاء رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ . إن خالتي ذهبت بي إليه، فقالت: يا رسول الله، إن ابن أختي شاك، فادع الله له. قال فدعا لي"[٥]. فلفظة (معتدلاً) هنا تعني معتدل القامة مع كونه معمّراً.

---

[١] أبو حيان النحوي الأندلسي، (ت ٧٤٥هـ)، **ارتشاف الضرب من لسان العرب**، ط١، ج٥، تحقيق: رجب عثمان محمد ومراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٨م، ص٢٣٦٠.

[٢] الأستراباذي، الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن، (ت٦٨٦هـ)، **شرح شافية ابن الحاجب**، ج١، تحقيق: محمد نور الحسن وزميليه، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م، ص١٤٧.

[٣] البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم ٢٧٣٠، ج٣، ص١٠٥٧، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله.

[٤] **نفسه**، ج٢، ص٨٣١، حديث رقم ٢٢٢٩، باب الخصومة في البئر والقضاء فيها.

[٥] **نفسه**، ج٣، ص١٣٠١، حديث رقم ٣٣٤٧، باب الخصومة في البئر والقضاء فيها.

رابعاً: اسم التَّفْضيل:

من قواعد اسم التفضيل أنّه يطابق المضاف إليه في الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث. وقد جاء في الحديث التالي من باب التوسع الجمع بين الحالين: المطابقة وعدمها: عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "ألا أخبركم **بأكبر** الكبائر ؟". قالوا بلى يا رسول الله، قال: "الإشراك بالله وعقوق الوالدين"[1].

فقد جاء اسم التفضيل (أكبر) مفرداً مضافاً إلى معرف (الكبائر)، بينما جاء اسم التفضيل(أحاسنكم) جمعاً في الحديث التالي:

حدثنا عمرو بن حفص، حدثنا أبي حدثنا الأعمش قال: حدثني شقيق عن مسروق قال: كنا جلوسا مع عبد الله بن عمرو يحدثنا إذ قال: "لم يكن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فاحشا ولا متفحشا، وإنه كان يقول: "إن خياركم **أحاسنكم** أخلاقاً""[2].

علماً أنّ (أحاسنكم) وردت في غير صحيح البخاري مفردة (أحسنكم)[3]، وفي هذا ما يدل على جواز الوجهين.

وقال ابن عقيل[4]: والذين أجازوا الوجهين، قالوا: الأفصح المطابقة، ولهذا عيب على صاحب الفصيح[5] في قوله: (فاخترنا أفصحهن)، حيث قالوا: فكان ينبغي أن يأتي بالفصحى، فيقول: فُصحاهنّ.

---

[1] **البخاري، الجامع الصحيح**، ج٥، ص٢٢١٤، حديث رقم ٥٩١٨، باب من اتَّكأ بين يدي أصحابه.

[2] **نفسه**، ج٥، ص٢٢٤٥، حديث رقم ٥٦٨٨، باب حسن الخلق وَالسَّخاء وما يكره من البُخْل.

[3] ومن ذلك حديث أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ألا أنبئكم بخياركم ؟ ". قالوا: بلى. قال: " أحاسنكم أخلاقاً ". أو قال: " أحسنكم خلقاً "، يُنظر: الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر(ت٨٠٧هـ)، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، ج٨، دار الفكر، بيروت ،١٤١٢هـ ، ص٥٠.

[4] **شرح ابن عقيل**، ج٣، ص٨١.

[5] هو أبو العباس أحمد بن يحيى الثعلبي، نحوي، كوفي، ولد سنة ٢٠٠هـ، وتوفي سنة٢٩١هـ؛ ينظر: **بغية الوعاة**، ص٣٩٧.

خامساً: اسم الآلَة:

أمّا اسم الآلة فما يقال عنه في باب التوسع كثير وواسع، ذلك أنّ المخترعات الحديثة لم تكن موجودة وقت تقعيد القواعد النحوية والصرفية، ولم تكن الثورة التكنولوجية قد ظهـرت بعـد، وبذلك أوجد العلماء للمخترعات الحديثة أوزاناً جديدة تتناسب وصيغ العربيـة، كـوزن فعّـال، وَفعّالة، وَفاعول، وَغيرها ... قياساً على كلام العرب، على نحو: بـرّاد، وَغـسّالة، وَطيّـارة، وَدبابة.

ومن أوزان اسم الآلة: وزن(فاعول)، وهذا الوزن سماعي عند المتقدمين، فقد وردت عندهم أسماء آلة على وزنه، ودرجت التسمية عليه في زماننا، ومن هذه الأوزان: **صاقور**[١]، و**ناقور**[٢]، و**ساطور**[٣]، و**ناقوس**[٤]، و**هـاوون**[٥]. ومما ورد في صحيح البخاري لفظة نـاقوس فـي حـديث بخاري:

أخبرنا ابن جريج، قال أخبرني نافع أن ابن عمر كان يقول: كان المسلمون حـين قـدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة ليس ينادى لها، فتكلموا يوما في ذلك فقال بعضهم: اتخـذوا **ناقوسا** مثل ناقوس النصارى وقال بعضهم بل بوقا مثل قرن اليهود، فقال عمـر: أولا تبعثـون رجلا ينادي بالصلاة. فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "يا بلال، قم فناد بالصلاة"[٦].

سادساً: اسما الزَّمَان وَالمَكَان:

في الحديث عن اسمي الزمان والمكان نجـد أنّ هناك توسعـاً واضحـاً في هذه الأوزان، لا سيما أنّ النحاة وضعوا قواعد وأسساً وفق ما جاء في النص القرآني والحديث النبوي الشريف وكلام العرب. ومن الأمور التي شذّت عن القواعد واعتبرت من باب التوسع: أسـماء جـاءت

---

[١] **صاقور:** وهي الفأس التي تكسر بها الحجارة.

[٢] **ناقور:** وهي الآلة التي ينفخ فيها للحشر، وَمنه قوله تعالى: " **فإذا نفخ في النَّاقور** ".

[٣] **ساطور:** وهو سكين كبيرة يستعملها القصّاب.

[٤] **ناقوس:** في اللّسان: مضراب النَّصارى الذي يضربونه لأوقات الصَّلاة.

[٥] **هاوون:** اسم الآلة التي تُدقّ بها الأشياء.

[٦] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص٢١٩، حديث رقم ٥٧٩، باب الأمر بشفع الأذان وإيثار الإقامة؛ وَورد في صحيح مسلم، باب بدء الأذان، ج١، ص٢٨٥.

بالكسر وقياسها الفتح، وهي كثيرة، أذكر منها: المطْلِع[١]، والمَسْكِن[٢]، والمَسْجِد[٣]، والمَشْرِق، والمَغْرِب ... ومما جاء في صحيح البخاري:

عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: "كان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يسكت بين التكبير وبين القراءة إسكاتة ــ قال: أحسبه قال: هنية ــ فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله إسكاتك بين التكبير والقراءة، ماتقول ؟ قال: أقول: "اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين **المَشْرِق** و**المَغْرِب**، اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد"[٤].

فالمشرق والمغرب مكانا الشروق والغروب، وهما من شَرَقَ يَشْرُقُ، وغَرَبَ يَغْرُبُ، وحسب القاعدة فالمضارع المضموم العين يكون على وزن مفْعَل، أي: المشرَق والمغرَب، ولكنها خرجت عن المألوف، من باب التوسع في الاشتقاق الصرفي للكلمات.

سابعاً. المَصْدر المِيميّ:

ومن أوزان المصدر الميمي من الفعل الثلاثي: (مَفْعِل)،حيث يصاغ المصدر الميمي على وزن (مَفْعِل) إذا كان الفعل ثلاثياً مثالا تسقط فاؤه في المضارعً، ومثال ذلك: موعِد، ومورِد، وموثِق ... وشذّ عن القياس: مرجِع، ومنطِق، ومعرِفة، ومغفِرة. ومن أمثلة ذلك في صحيح البخاري:

عن عبد الله بن عمرو عن أبي بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ : أنه قال لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : علمني الدعاء أدعو به في صلاتي. قال: قل: "اللهم إني ظلمت نفسي ظلما

---

[١] **المطلِع**: مكان الطلوع، فهو من طَلَعَ يَطْلُع، وجاء في التَّنزيل: "**سلامٌ هي حتَّى مطلع الفجر**"، وفيها قراءتان: مطلَع ومطلِع؛ لغة الحجاز بالفتح، ولغة تميم بالفتح.

[٢] **المسكِن**: موضع السكنى، وهو من سَكَنَ يَسْكُنُ.

[٣] **المسجِد**: قالوا: اسم للبيت، وليس المراد موضع السجود، وهو من سَجَدَ يَسْجُدُ. قال سيبويه: "أما المسجد فإنّه اسم للبيت، ولست تريد به موضع السجود، وموضع جبهتك، ولو أردت ذلك لقلت: مسجَد"؛ يُنظَر: الخطيب، **المستقصى في علم التصريف**، ج١، ص٥٨٣.

[٤] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص٢٥٩، حديث رقم ٧١١، باب ما يقال بين التَّكبيرة وَالإحرام.

كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي **مغفرة** من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم"[١]. فالمصدر الميمي (مغفرة) من فعل ثلاثي، لكنه ليس مثالاً، فهو فعل صحيح، وجذره (غَفَرَ).

ثامناً: النَّسَب:

من قواعد (النسب) التي فيها توسع في القاعدة الاشتقاقية أنّ ما كان على وزن (فعيلة)، صحيح العين، غيرمضعفها، مثل: حنيفة ومدينة وصحيفة؛ فتحذف منه مع التاء ياؤه، ويحذف ما كان مكسوراً قبلها[٢]، مثل: حنفيّ ومدنيّ وصحفيّ وبدهيّ من بديهة، وسُمع (بديهيّ)، فنسبوا إلى الأصل من غير حذف.

ـ ومما جاء في صحيح البخاري:

أخبرنا هشام بن يوسف: أن ابن جريج أخبرهم، قال: أخبرني القاسم بن أبي بزة: "أنه سأل سعيد بن جبير هل لمن قتل مؤمنا متعمدا من توبة ؟ فقرأت عليه: "ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق". فقال سعيد: قرأتها على ابن عباس كما قرأتها علي. فقال هذه مكية نسختها آية **مدنية** التي في سورة النساء"[٣].

---

[١] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج١، ص٢٨٦، حديث رقم ٧٩٩، باب ما يتخيَّر من الدُّعاء بعد التَّشهُّد.

[٢] ينظر: طنطاوي، **ظاهرة الاشتقاق في العربيَّة**، ص٤٥٧.

[٣] البخاري، **الجامع الصحيح**، ج٤، ص١٧٨٤، حديث رقم ٤٤٨٤، باب قوله تعالى: "**والذين يدعون مع الله إلهاً آخر**".

الخاتمـــة

وبعد، فقد سعيت جاهدًا في هذه الأطروحة أن أُطوِّفَ في أحاديث رسول الله ــ صــلّى الله عليه وَسلَّم ــ لا سيــَّما تلك التي وردت في صحيح البخاريّ، قولاً أو فعلاً أو تقريــرًا مـــن خلال مســألــة (اتّساع الدّلالة اللُّغويَّة في صحيح البخاريِّ) من عدّة زوايا، بمنظار أصـــحاب النَّحْو مرّةً، وأهل التَّفسير مرّةً أخرى، وأهل البلاغة مرّةً ثالثةً، للبحث عن الحقيقة، والوقــوف على آرائهم، وتبنّي مواقفَ و أحكامٍ منطلقاً في ذلك من قاعدةٍ متينةٍ صُلْبةٍ.

إنْ كان ابن جني قد أشار إلى أنَّ الاتّساع فاشٍ في جميع أجناس العربيَّة، فالدِّراسة أكّــدتْ وجود الاتّساع وبشكلٍ كبيرٍ في أحاديث صحيح البخاريِّ وفي شتّى الجوانب اللُّغويَّة والبلاغيَّــة وَالنَّحْويَّة وَالصَّرفيَّة، فقد اتَّسعت هذه الظَّاهرة لتشمل مستويي اللُّغة: الشِّعر وَالنَّثر، إذْ لم يقتصر موضوع الاتِّساع على نمطٍ واحدٍ من الكلام، فقد اتّسع ليشمل ــ على سبيل الذّكر لا الحصر ــ الزِّيادة والحذف، وَالتَّقديم والتَّأخير، والاستعارة والمجاز والمجاز المرسل والكناية، والقلب ومـــا تفرَّع من المشترك اللّفظيِّ والتَّرادف والتَّضمين، وغيرها كثير... ساهمت بإثراء مفردات اللُّغـــة العربيَّة، واتّساع أنماطها.

ولقد توقّعت قبل أن أشرْعَ بكتابة أطروحتي أن أواجه عدة إشكالات، ليس في تحديد مفهوم الاتّساع بعامَّة، وإنَّما فيما يتعلّق بالتَّطبيق على مسائل الاتّساع، كتعدُّد الوجوه الإعرابيَّة، وتعــدُّد معاني الصِّيغ، ومسائل الحذف والتّقديم والتَّأخير، إذْ نجد أنّ علماء اللُّغة قد تفاوتت آراؤهم، فقد أجمعوا على كثيرٍ من قضايا الاتّساع، كتلك القضايا المُتعلّقة بالمجاز المرسل والتَّضمين والكناية وغيرها... في حين نجد أنَّهم اختلفوا في بعضها واعتبروها خروجًا عن القاعدة، وحاولت جاهدًا بعد التَّحليل المضني والتَّقصِّي الجادِّ أن أوفّق بين هذه الآراء، وأرجِّح المسائل الأكثــر اتّــساعًا على غيرها.

والمتتبِّع لمفردات البحث، يجد أنَّ الاتّساع شمل جميع المسائل اللُّغويَّة والنَّحْويَّة والصَّرفيَّة، ممَّا يُؤكِّد أنَّ اللُّغة العربيَّة لغــةٌ واسعــةٌ لا تقف عند حــدودٍ، كما أنَّ الحديث النَّبويَّ الــشَّريف ــ المصدر الثَّاني للتَّشريع بعد القرآن ــ جاء ليؤكّد حقيقة الاتّساع، وأنَّ هذه اللُّغة لغةٌ حيَّةٌ مرنةٌ جمعت بَين لغة الشّعر وَالنَّثر، فلم يؤثّر فيها تعاقب الأزمنة ولا تعدُّد الألسنة.

وقد خرجتْ الدِّراسة بما يلي:

١. يُعَدُّ الحديث النَّبويُّ الشَّريف وسيلة إفهامٍ وتوضيحٍ للمعاني القرآنيَّة، كما كان وسيلةً دعمٍ وتعميقٍ لوعي النَّاطقين باللُّغة العربيَّة، لما تتميَّز به لغتهم، وما يتميَّز به لسانهم من غنىً وجمالٍ. وَبالتَّالي فإنَّ ما تتضمَّنه هذه الأحاديث من أحكامٍ وأساليب تعدّ رافدًا أساسيًّا لقواعد اللُّغة العربيَّة بما فيها من توسُّعٍ لُغويٍّ.

٢. ساهم الحديث الشَّريف في توثيق قواعد العربيَّة، فقد جمع بين ثناياه العديد من المسائل والنماذج اللُّغويَّة والبلاغيَّة والنَّحْويَّة والصَّرفيَّة، والتي اعتُبرت من باب الاتِّساع.

٣. استطاع البحث أن يكشف مدى التَّوافق بين لغة الحديث الشريف وَقواعد علماء اللُّغة التي تشكَّلت فيما بعد. وهنا يجدر التَّنويه إلى أنَّ أغلب الدِّراسات التي كانت في الأحاديث كانت دراساتٍ فقهيَّةً بعيدةً عن الدِّراسات اللُّغويَّة، اعتقادًا منهم أنَّ الألفاظ الواردة قد لا تكون صادرةً عنه ــ صلَّى الله عليه وَسلَّم ــ لإجازة رواية الحديث النَّبويِّ بالمعنى دون اللَّفظ. ومن هنا أقول إنَّ الوقوف على لغة الحديث وَالتَّدقيق في تراكيبها، والمقارنة بينها وبين قواعد علماء اللُّغة يجعل القارئ يطمئن إلى صحة اللَّفظ فيها.

٤. شيوع الاتِّساع في الحديث النَّبويِّ، وتنوُّع أساليبه، فقد تبنَّت الدِّراسة أكثر أنواع الاتِّساع شيوعًا في اللُّغة وَالبلاغة والنَّحْو والصَّرف، ووضَّحت أنماط هذه الأساليب ومدى الاتِّساع فيها، بعد الاحتكام إلى أقوال العلماء أصحاب الاختصاص.

٥. عمل البحث على جمع أنواع الاتِّساع في العربيَّة، وَتصنيفها، وَربطها بالاستخدام النَّبويِّ، توثيقًا لها، كما عُنِيَتْ الدِّراسة ببيان مدى شيوع كُلِّ أسلوبٍ من أساليب الاتِّساع في الحديث الشَّريف، وهي بذلك تُؤكِّد حقيقة الاتِّساع في العربيَّة.

٦. استعرض البحث آراء النُّحَاة وَالبلاغيِّين وَمُفسِّري الأحاديث فيما يتعلَّق بموضوع الاتِّساع من خلال الوقوف على آرائهم، وتحليلها، وبيان مدى موافقتها للتَّوسُّع في اللُّغة.

٧. كشف البحث عن طبيعة استخدام أنماط الاتِّساع في صحيح البخاريِّ، ومن ذلك:

. التَّوسُّع لدلالة المُشتَرك اللَّفظيِّ، كالجِنَاس وَالتَّوْرية وَالأضداد وَالتَّغْليب.

. التَّوسُّع في الإنشاء الطَّلبيِّ، كالاستفهام وَالأمر وَالنَّهْي ... وكذلك التَّوسُّع في المجاز وَالتَّضْمين وَالحَذْف.

. التَّوسُّع لاختلاف الأوجه الإعرابيَّة، وَتعليق الظَّرف الجارِّ وَالمجرور، وَالتَّقديم وَالتَّأخير.

. التَّوسُّع للتَّذكير وَالتَّأنيث، وَالتَّوسُّع في الاشتقاق، وَتعدُّد معاني الصِّيغ الصَّرْفيَّة.

وفي النِّهاية أقول إنَّني قمت بجمع مادَّةٍ كبيرةٍ استُخلِصَ جُلُّها من أحاديث البخاريِّ، تدور بشكلٍ أو بآخرَ حول موضوع الاتِّساع، ولكن غزارة المادَّة العلميَّة المُتعلِّقة بمفردات البحث، جعلتني أقْصُر حديثي على ما جاء في هذه الأطروحة خشية الإطالة، ومن هنا أقول إنَّ مجال البحث في الاتِّساع في الحديث النَّبويِّ الشَّريف بعامَّة، وفي صحيح البخاريِّ بخاصَّة ما زال قائمًا؛ للوقوف على موضوعاته، وما فيها من اتِّساع لُغويٍّ.

وَاللهُ مِنْ وَرَاءِ الْقَصْدِ

البَاحِث

ثَبَتُ الْمَصَادِرُ وَالْمَرَاجِعُ:

- **القرن الكريم**.

ـ الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر (ت٣٧٠هـ)، **الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري**، (١٩٦٥م)، ط٢، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، القاهرة.

ـ ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله، (ت٦٧٣هـ)، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ج٢، المكتبة العصرية، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، ١٩٩٥م.

ـ الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (٢٨٢ ـ ٣٧٠هـ)، **تهذيب اللغة**، ج٨، تحقيق: عبد السلام هارون وَ محمد علي النجار، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، مصر، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

ـ الأستراباذي، الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن، (٦٨٦هـ)، **شرح شافية ابن الحاجب**، ج١، تحقيق: محمد نور الحسن ومحمد محيي الدين عبد الحميد و محمد الزفزاف، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م.

ـ الأشموني، (ت٩٢٩هـ)، **شرح الأشموني على ألفية بن مالك**، ط١، ج١، دار إحياء الكتب العربية.

ـ ابن أبي الإصبع المصري عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر المصري، (ت٦٥٤هـ):

بديع القرآن، تحقيق: حفني محمد شرف، نهضة مصر.

تحرير التحبير، تحقيق: حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٢هـ.

ـ الأفغاني، سعيد، **في أصول النحو**، (ط٣)، جامعة دمشق، ١٣٨٣هـ ـ١٩٦٤م.

ـ امرؤ القيس، ابن حجر، ابن الحارث، **ديوان امرئ القيس**، ط٤، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص٢١.

ـ أمين، عبدالله، **الاشتقاق**، (ط١)، مكتبة القاهرة الحديثة، مصر، ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م.

ـ الأنباري، كمال الدين أبو البركات، (ت٥٧٧هـ)، **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**، ج١، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

ـ الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم (ت٣٢٨هـ):

. **الأضداد في اللغة**، تحقيق: محمد عبد القادر سعيد الرافعي وَ أحمد الشنقيطي، المطبعة الحسنية، القاهرة، ١٩٦٠م.

. **كتاب المذكر والمؤنث**، (ط١)، الكتاب الثالث والثلاثون، تحقيق: طارق عبد عون الجنابي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٨م.

ـ أنيس، إبراهيم:

. **دلالة الألفاظ**، (ط٣)، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٦م.

. **في اللهجات العربية**، (ط٤)، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٣

. **المعجم الوسيط**، (ط٢)، إشراف: حسن علي عطية، ومحمد شوقي أمين، ج١، القاهرة د.ت

. **من أسرار اللغة**، (ط٣)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٦م.

ـ الباقلاني، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب، (ت٤٠٢هـ)، **إعجاز القرآن**، (ط١)، تحقيق: أبو عبد الرحمن ابن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

ـ البحتري، **ديوان البحتري**، مجلد٣، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣م و ١٩٦٤م

ـ البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل، (ت٢٥٦هـ)، **الجامع الصحيح المختصر**،ط٣، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، بيروت، دار ابن كثير،١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

ـ البركاوي، عبد الفتاح، **الفصحى ولهجاتها**، (ط١)، القاهرة، ١٩٨٤م.

ـ البستاني، بطرس، **محيط المحيط**، مكتبة لبنان، مطابع مؤسسة جواد، لبنان، بيروت، ١٩٨٣م.

ـ أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى الحسين، (ت١٠٩٤هـ ـ ١٦٨٣م)، **الكُلِّيَّات**، أعده: عدنان درويش، ومحمد المصري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق،١٩٨١م.

ــ أبو بكر، محمد بيلو أحمد، **من بلاغة السنّة**، مطبعة القاهرة، ١٩٧٩م.

ــ ابن البناء المراكشي، أبو أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي، (ت٧٢١هــ)، **الروض المريع في صناعة الشعر البديع**، تحقيق: رضوان بن شفرون، ١٩٨٥م.

ــ أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، **ديوان الحماسة**، ج٢، شرح وتحقيق: الشيخ محمد عبد القادر سعيد الرافعي، مطبعة التوفيق، مصر، ١٣٢٢هــ - ١٩٠٤م.

ــ الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، (ت٤٢٩هــ)، **فقه اللغة وسر العربية**، (ط١)، تحقيق: مصطفى السقا وَإبراهيم الأبياري وَعبد الحافظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٥٧هــ ــ ١٩٣٨م.

ــ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (ت٢٥٥هــ)، **كتاب الحيوان**، (ط٣)، ج١، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ١٣٨٨هــ ــ ١٩٦٩م.

ــ ابن الجارود، عبدا لله بن علي أبو محمد، (ت٣٠٧هــ)، **المنتقى من السنن المسندة**، (ط١)، ج١، تحقيق: عبد الله عمر البارودي ، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، ١٤٠٨هــ ــ ١٩٨٨م.

ــ الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، (ت٤٧٢هــ):

. **أسرار البلاغة**، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، (د. ت).

. **دلائل الإعجاز**، تحقيق: د. محمد التنجي، دار الكتاب العربـــي، بيـــروت، (ط١)، ج١، ١٩٩٥م.

ــ الجندي، علي، **فن الجناس**، دار الفكر العربي، القاهرة، (د. ت).

ــ ابن جني، أبو الفتح عثمان، (ت٣٩٢ هــ):

. **الخصائص**، ج٢، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيــروت، لبنـــان، ١٣٧١هــ ــ ١٩٥٢م.

. **سر صناعة الإعراب**، (ط١)، ج١، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ١٩٨٥م.

ــ الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، (ت حدود ٤٠٠هــ)، **تاج اللغة وصـــحاح العربيـــة (الصحاح)**، (ط١)، ج٢، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، إشراف: مكتب البحوث والدراســـات، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٨هــ ــ ١٩٩٨م.

ــ أبو حاتم السجستاني، سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الجــشمي، (ت٢٥٠هـــــ)، **المُــذكَّر وَالمُؤنَّث**، (ط١)، تحقيق: عزَّة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، حلب، ١٩٩٧م.

ــ الحاتمي، محمد بن الحسن، (ت٣٨٨هــ)، **حلية المحاضرة**، ج١، تحقيــق: هـــلال نـــاجي، ١٩٧٨م.

ـ حامد، أحمد حسن، **التضمين في العربية، (ط١)**، الدار العربية للعلوم، بيروت، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

ـ حجازي، محمود فهمي، **اللغة العربية عبر القرون**، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٧٨م.

ـ ابن حجة الحموي، تقي الدين أبي بكر، (ت٨٣٧هـ)، **خزانة الأدب وغاية الأرب**، (ط١)، ج١، تحقيق: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٧م.

ـ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، (ت٨٥٢هـ)، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، تحقيق: أحمد بن علي ابن حجر، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

ـ حسان، تمام، **الأصول**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م.

ـ حسن، عباس، **النحو الوافي**، (ط٤)، دار المعارف، مصر، (د. ت).

ـ الحمادي، يوسف، **النحو في إطاره الصحيح**، القاهرة، مكتبة مصر، (د. ت).

ـ أبو حيان الأندلسي الغرناطي، (٦٥٤هـ ـ ٧٥٤هـ):

. **البحر المحيط في التفسير**، ج٣، عناية: الشيخ زهدي جعيد، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

. **ارتشاف الضرب من لسان العرب**، (ط١)، ج٥، تحقيق: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٨م.

ــ أبو حيان التوحيدي، (ت٣١٠هـ):

. **الإمتاع والمؤانسة**، تحقيق: أحمد أمين ورفيقه، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د. ت).

. **البصائر والذخائر**، م١، تحقيق: إبراهيم الكيلاني، مكتبة أطلس ومطبعة الإنشاء، دمشق، (د. ت).

ــ الخطيب، د. عبد اللطيف محمد، **المستقصى في علم التصريف**، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٣م.

ــ ابن خلف الكاتب، علي، (ت منتصف القرن الخامس الهجري)، **مواد البيان**، تحقيق: حسين عبد اللطيف، جامعة الفاتح، طرابلس، ليبيا، ١٩٨٢م.

ــ خليل، حلمي، **العربية والغموض**، (ط١)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨م.

ــ ابن درستويه، عبد الله بن جعفر، (ت٣٤٧هـ)، **تصحيح الفصيح**، (ط١)، تحقيق: عبد الله الجبوري، مطبعة الإرشاد، بغداد، (د. ت).

ـ الرازي، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، (ت٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغـة**، (ط١)، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، منشورات: محمد علـي بيـضون، دار الكتـب العلميـة، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

ـ الرازي، فخر الدين، (ت٦٠٦هـ)، **نهاية الإيجاز في دراسة الإعجـاز**، (ط١)، تحقيـق: د. بسكري قبع أمين، دار العلم والملايين، (د. ت).

ـ الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، (ت٦٦٦هـ)، **مختار الصحاح**، (ط١)، تحقيـق: يحيى خالد توفيق، تقديم: عبد الوهاب فايد، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

ـ ربابعة، موسى، **الأسلوبية: مفاهيمها وتجلياتها**، دار الكندي، إربد، ٢٠٠٣م.

ـ ابن رشيق القيرواني، أبوعلي الحسن، (ت٤٦٣هـ)، **العمدة في صـناعة الـشعر ونقـده**، (ط١)، عني بتصحيحه أحد كبار العلماء، ١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٥م.

ـ الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين بن أحمد الموسوي (ت٤٠٦هـ)، **المجـازات النبوية أو مجازات الآثار النبويـة**، تحقيق وتعليق: مروان العطية ومحمـد رضـوان الدايـة، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

ـ الرعيني الغرناطي، أبو جعفر شهاب الدين أحمد بن يوسف (ت٧٧٩هـ)، **طراز الحلّة وشفاء الغلّة**، تحقيق وتقديم: رجاء السيد الجوهري، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠م.

ـ الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى، (ت٣٨٦هـ):

. **معاني الحروف**، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر.

. **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، (ط٢)، تحقيق: محمد خلف الله وَمحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ١٣٨٧هـ ــ ١٩٦٨م.

ــ رواحة، عبدالله، **ديوان عبدالله بن رواحة، ودراسة في سيرته وشعره**، ط١، تحقيق ودراسة: وليد قصّاب، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤٠١هـ– ١٩٨١م.

ــ الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني، (ت١٢٠٥هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م.

ــ الزجاجي، أبو القاسم، (ت٣٣٩هـ)، **الإيضاح في علل النحو**، تحقيق: مازن المبارك، مكتبة دار العروبة، مصر،١٣٧٨ هـ ــ ١٩٥٩م.

ــ الزركشي، بدر الدين (ت٤٣٧هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، بيروت، دارالجيل، (د. ت).

ــ الزمخشري، جارالله محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ):

. **أساس البلاغة**، (ط٢)، ج٢، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٢م/ ١٩٧٣م.

. **المفصل في صنعة الإعراب**، (ط١)، تحقيق: علي أبو ملحم، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٢م.

. **المفصل في علم العربية**، (ط٢)، دار الجيل، بيروت، (د. ت).

ــ زيدان، جرجي، **تاريخ آداب اللغة العربية**، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٧م.

ــ السامرائي، إبراهيم، **فقه اللغة المقارن**، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٨م.

ــ السامرائي، فاضل صالح ، معاني الأبنية في العربية، (ط١)، ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م.

ــ ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل، (ت٣١٦هـ)، **الأصول في النحو**، (ط٣)، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨م.

ــ السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي، (ت٦٢٦هـ)، **مفتاح العلوم**، (ط١)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٥٦هـ ــ ١٩٣٧م.

ــ ابن سنان الخفاجي، (ت٤٦٦هـ)، **سر الفصاحة**، شرح وتصحيح: عبد المتعال الصعيدي، القاهرة، ١٩٦٩م.

ــ سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، (ت١٨٠هـ)، **الكتاب**، (ط١)، ج١، علق عليه ووضع حواشيه: إميل بديع يعقوب، تحقيق: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩م.

ـ السيد، عز الدين علي، **الحديث النبوي من الوجهة البلاغية**، مكتبة الرسالة، حلب، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٣م.

ـ ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، (ت ٤٥٨هـ)، **المخصص**، السفر السابع، تحقيق: دار الأفاق الجديدة، بيروت، المكتب التجاري للطباعة، بيروت، (د. ت).

ـ السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن، (ت٩١١هـ):

. **الإتقان في علوم القرآن**، (ط١)، بيروت، دار الكتب العلمية، (د. ت).

. **جنى الجناس**، تحقيق: محمد علي رزق الخفاجي، الدار الفنية للطباعة والنشر، (د. ت).

. **شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٨ هـ ـ ١٩٣٩م.

. **المزهر في علوم اللغة**، (ط١)، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٩٨م.

. **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، (ط١)، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

ـ شاهين، عبد الصبور، **في علم اللغة العام**، (ط٣)، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠م.

ــ الصالح، صبحي، **دراسات في فقه اللغة،** (ط٩)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١م.

ــ الصفدي، صلاح الدين، **جنان الجناس في علم البديع،** مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ١٢٩٩هـ.

ــ الصيمري، أبو محمد عبد الله بن علي بن إسحق، **التَّبصرة وَالتَّذكرة،** (ط١)، ج٢، تحقيق: فتحي أحمد مصطفى علي الدين، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢م.

ــ ابن طباطبا، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، (ت٣٢٢هـ)، **عيار الشِّعْر،** تحقيق: د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٠م.

ــ طبل، حسن، **علم المعاني،** (ط١)، مكتبة الإيمان، المنصورة، ١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩م.

ــ طنطاوي، محمد دراز، **ظاهرة الاشتقاق في العربية،** مطبعة عابدين، القاهرة، ١٩٨٦م.

ــ أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن علي، (ت٣٥١هـ)، **الأضداد في كلام العرب،** تحقيق: عزّة حسن، دمشق، ١٣٨٢هـ ــ ١٩٦٣م.

ــ عباس، فضل حسن، **البلاغة فنونها وأفنانها ــ علم البيان والبديع،** (ط٢)، دار الفرقان، عمان، ١٤١٧هـ ــ١٩٩٦م.

ــ عبد التواب، رمضان، **فصول في اللغة العربية**، (ط٣)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧م.

ــ أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي، (ت٢١٠هـ)، **مجاز القرآن**، (ط١)، ج١، تعليق: محمد فؤاد، الناشر: محمد سامي أمين الخانجي، مصر، ١٣٨١هـ ــ ١٩٦٢م.

ــ عتيق، عبد العزيز، **علم المعاني**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م.

ــ أبو العدوس، يوسف، **المجاز المرسل والكناية (الأبعاد المعرفية والجمالية)**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمَّان.

ــ عز الدين، كمال، **الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية**، دار اقرأ، بيروت، ١٩٨٤م.

ــ العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، (ت٣٩٥هـ)، **كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر**، (ط٢)، تحقيق: مفيد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م.

ــ عصفور، جابر، **مفهوم الشعر**، دراسة في التراث النقدي، (ط٢)، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٢م.

ــ العظيم آبادي، محمد شمس الحق، (ت١٣٢٩هـ)، **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، (ط٢)، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

ـ العقاد، عباس محمود، (ت١٩٦٣م)، **أشتات مجتمعات في اللغة والأدب**، القاهرة، دار المعارف، (د. ت).

ـ العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله، (ت٦١٦هـ):

. **إعراب الحديث النبوي**، تحقيق: حسن موسى الشاعر، وزارة الثقافة والشباب، (د. ت).

. **إعراب الحديث النبوي**، تحقيق: عبد الإله نبهان، بيروت، دار الفكر المعاصر، وَدمشق، دار الفكر، (د. ت).

ـ العكبري، ابن برهان، (ت٤٥٦هـ)، **شرح اللمع**، (ط١)، ج٢، تحقيق: فائز فارس، الكويت، المجلس الوطني للثقافة، ١٩٨٤م.

ـ العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي المدني، (ت٧٤٩هـ)، **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، مطبعة المقتطف، مصر، ١٣٣٢هـ ـ ١٩١٤م.

ـ أبو علي النحوي الفارسي، (ت٣٧٧هـ)، **المسائل المشكلة (البغداديات)**، تحقيق: صلاح الدين عبد الله السكاوي، مطبعة العاني، (د. ت).

ـ علي، محمد يونس، **المعنى وظلال المعنى**، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٧م.

ـ أبو عودة، عودة خليل، **بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الـصحيحين**، ط٢، دار البشير، عمان، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

ـ العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن محمد العيني، (ت٨٥٥هـ)، **عمدة القـاري شـرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د. ت).

ـ ابن فارس، أحمد، (ت٣٩٥هـ)، **الصاحبي في فقه اللغة**، تحقيق: مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران، بيروت، لبنان، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م.

ـ الفرّاء، يحيى بن زياد، (ت٢٠٧هـ)، **معاني القرآن**، (ط٢)، تحقيق: فائز فارس، دار البشير ودار الأمل، الكويت، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

ـ فياض، د. محمد جابر، **التورية وخلو القرآن منها**، دار المنارة للنـشر، الـسعودية، جـدة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

ـ الفيروزأبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (ت٨١٧هـ)، **القاموس المحيط**، ضبط وتوثيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، إشراف: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيـروت، لبنـان، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

ـ ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، (ت٢٧٦هـ):

. **أدب الكاتب**، (ط٤)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعـة الـسعادة، مصر، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م.

. **تأويل مشكل القرآن**، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٣هـ ــ ١٩٥٤م.

ــ قدامة بن جعفر، أبوالفرج، (ت٣٣٧هـ)، **نقد الشعر**، تحقيق: كمال مصطفى، (ط٣)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣١٨هـ ــ ١٩٧٨م.

ــ القرطاجني، أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن، (ت٦٨٤هـ)، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تونس، ١٩٦٦م.

ــ القزويني، الخطيب، (ت٧٣٩هـ)، **الإيضاح في علوم البلاغة**، (ط٢)، ج١، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم الخفاجي، ١٩٨٨م.

ــ كمال، ربحي، **التضاد في ضوء اللغات السامية ــ دراسة مقارنة**، جامعة بيروت العربية، ١٩٧٢م.

ــ المالقي، أحمد عبد النور، (ت٧٠٢هـ)، **رصف المباني في شرح حروف المعاني**، (ط٢)، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م.

ــ ابن مالك، (ت٦٧٢ هـ):

. **شرح الكافية الشافية**، ج٢، تحقيق: د. عبد المنعم هريدي، دار المأمون للتراث، منشورات مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى، ١٩٨٢م.

. **شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ**، تحقيق: عدنان عبد الرحمن الدوري، وزارة الأوقاف العراقية، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧ ــ ١٩٧٧م.

ــ المباركفوري، أبو العلا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم، (ت١٤٢٧هـ)، **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).

ــ المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، (ت٢٨٥هـ):

.**الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف**، (ط١)، ج١، ج٣، تحقيق: زكي مبارك وَأحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٥٥هـ ــ ١٩٣٦م.

. **المقتضب**، ج٤، تحقيق: عبد الخالق عضيمة، بيروت، عالم الكتب.

ــ المخزومي، مهدي، **في النحو العربي ــ قواعد وتطبيق**، (ط١)، ١٩٦٦م.

ــ المرادي، الحسن بن قاسم، (ت٧٤٩هـ)، **الجنى الداني في حروف المعاني**، (ط١)، تحقيق: فخر الدين قباوة وَمحمد نديم فاضل، المكتبة العربية، حلب، ١٣٩٣هـ ــ ١٩٧٣م.

ــ المسدي، عبد السلام، **التفكير اللساني في الحضارة العربيــة**، الدار العربية للكتــاب، ليبيــا، تونس، ١٩٨٢م.

ــ مسلم، مسلم بن الحجاج، (ت٢٦١هـ):

. **صحيح مسلم**، ج٣، ج١٦، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

. **صحيح مسلم بشرح النووي**، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).

ــ مطلوب، أحمد:

. **البلاغة والتطبيق**، (ط١)، وزارة التعليم العالي والبحــث العلمــي، العــراق، ١٩٨٢م ــ ١٤٠٢هـ .

. **فنون بلاغية: البيان والبديع**، دار البحوث العلمية، ١٣٩٥هـ ــ١٩٧٥م.

. **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، ج٣، مطبعة المجمع العلمــي العراقــي، ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م.

ــ ابن المعتز، عبد الله بن المعتز بالله بن المتوكل، (ت٢٩٦هـ)، **كتاب البديع**، (ط٣)، اعتنــى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس: أغناطيوس كراتشكوفسكي، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٢م.

ـ ابن معصوم المدني، السيد علي صدر الدين، (ت١١١٩هـ)، **أنوار الربيع في أنواع البديع**، ج١، تحقيق: شاكر هادي شكر، (د. ت).

ـ المناوي، عبد الرؤوف، (ت١٠٢٩هـ)، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، (ط١)، ج١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

ـ المنصوري، علي جابر، **أبوعلي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية**، بغداد، ١٩٨٧م.

ـ ابن منقذ، أسامة بن مرشد بن علي، (ت٥٨٤هـ)، **البديع في البديع في نقد الشعر**، (ط١)، تحقيق: أ. عبد علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

ـ الميداني، عبد الرحمن حبنكة، **روائع من أقوال الرسول**، الناشر: عبد الرحمن حسن حبنكة، عمان، ١٩٧١م.

ـ النابغة الجعدي، **ديوان النابغة الجعدي**، ط١، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

ـ النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري، (ت٦٧٦هـ)، **المنهاج بشرح مسلم بن الحجاج**، (ط٢)، ج١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

ـ الهاشمي، السيد أحمد، **جواهر البلاغة**، علق عليه ودققه: سليمان الصالح، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (ط١)، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

ـ ابن هشام الأنصاري، جمال الدين أبو محمد، (ت٧٦١هـ):

. **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالـك**، ج١، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، (د. ت).

. **شرح شذور الذهب**، (ط١)، تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق، ١٩٨٤م.

. **شرح قطر الندى وبل الصدى**، (ط٢)، إشراف: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

. **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، (ط٦)، تحقيق: مازن المبارك، وَمحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥م.

ـ الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، (ت٨٠٧هـ)، **مجمع الزوائـد ومنبـع الفوائـد**، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ .

ـ ابن وهب الكاتب، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان، (ت١٩٧هـ)، **البرهـان فـي وجوه البيان**، (ط١)، تحقيق: أحمد مطلوب وَخديجة الحديثي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

ـ يعقوب، إميل بديع وَآخر، **المعجم المفصل في اللغـة والأدب**، (ط١)، المجلد الأول، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.

ـ ابن يعيش، موفق الدين بن علي، (ت٦٤٣هـ)، **شرح المفصل**، عالم الكتب، بيروت،(د. ت).

ثَبَتُ الرَّسَائِلِ الْجَامِعِيَّة

ـ أبو صعيليك، حامد، **الرابط اللفظي في لغة الحديث الشريف، مختصر البخاري للزبيدي أنموذجاً**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ١٩٨٩م.

ـ القباني، محمد جمال، **المجاز والنقل في اللغة**، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، ١٩٩١م.

ثَبَتُ الْمَجَلاّت

ـ الجواري، أحمد عبد الستار، حقيقة التضمين ووظيفة حروف الجر، مجلد ٣٢، ج٣، **مجلة المجمع العلمي العراقي**، ١٩٨١م.

ـ الموسى، نهاد، فيها قولان أو أضواء على مسألة التعدد في وجوه العربية، **مجلة أفكار**، عمان، العدد ٢٨، تموز، ١٩٧٥م.

الْمَلاحِـــقُ

فهرس الآيات القرآنيَّة

اسم السُّورة	رقم الآية	رقم الصَّفحة
البقرة	٢٥٥	١٠
البقرة	٢٨٦	١١
البقرة	١١٥	١١
البقرة	٢١	١٦
البقرة	١٩٦	٧٨، ١٣٣
البقرة	٢٦٠	١٢٣
البقرة	٢٧٣	١٣٩
آل عمران	١١٠	٥٨
آل عمران	١٨١	٥٩
آل عمران	١٠٦	١٠٣
آل عمران	٥٩	١٦٧

اسم السُّورة	رقم الآية	رقم الصَّفحة
النِّساء	٩٧	١٠
النِّساء	٢٥	٦٣
النِّساء	١١	٨٨
النِّساء	١٧١	١١٨
النِّساء	٦	١٧
الأنعام	٨	١١٧
الأعراف	٤٤	١٦٧
الأعراف	٧٩	١٧٦
التَّوبة	٨٠	٨٠، ١٢٩
التوبة	٨٤	١٢٩
التَّوبة	٢٥	٩٤
يونس	٧١	١٧٤
يوسف	١٧	١٥

فهرس أحاديث صحيح البخاريّ

اسم الباب	رقم الحديث	الجزء	رقم الصَّفحة
باب ذكر النبي(ص) وروايته عن ربه	٧٠٨٩	٦	١٠٨
باب أخذ النبي(ص) إبراهيم، فقبله وشمّه	٢٢٣٥	٥	١٠٩
باب بعث النبي علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع.	٤٩٤	٤	١٠٩
باب الرحلة في المسألة النازلة، وتعليم أهله	٨٨	١	١١٠
باب التسليم في مجلس فيه أخلاط.	٥٨٩٩	٢	١١٦
باب الجمع بين الصلاتين بالمزدلفة	١٥٨٨	٢	١١٧
باب قوله تعالى: "وأقسموا بالله جهد أيمانهم"	٦٢٧٩	٦	١١٧
باب الإيمان وقول النبي :بني الإسلام على خمس.	٨	٦	١١٨
باب صفة الجنة والنار.	٦٢٠١	٥	١١٨
باب الوصاة بالنساء	٤٨٩٠	٥	١١٨
باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة	٦٣٩٨	٦	١١٩
، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه.	٣٠٥٩	٣	١١٩
باب لا يأتي زمان إلاّ الذي بعده شرّ منه	٦٦٥٨	٦	١٢٠
باب كيف يقبض العلم.	١٠٠	١	١٢٠
باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك.	٣٠	١	١٢١

اسم الباب	رقم الحديث	الجزء	رقم الصَّفحة
باب الجهاد بإذن الأبوين	٢٨٤٢	٣	١٤٢
كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله	٥٦٥٢	٥	١٤٢
كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم	٥٦٦٦	٥	١٤٢
باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر	٤٩	١	١٤٧
باب رفع الصوت في المسجد	٤٥٩	١	١٤٨
باب فضل من استبرأ لدينه	٥٢	١	١٤٩
باب جمع القرآن	٤٧٠١	٤	١٤٩
باب ألا إنهم يثنون صدورهم	٤٤٠٤	٤	١٥٠
باب الأذان بعد ذهاب الوقت	٥٧٠	١	١٥١
باب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها	٧٢٤	١	١٥١
باب ما قيل في أولاد المشركين	١٣٢٠	١	١٥٢
باب إثم من كاد أهل المدينة	١٧٧٨	٢	١٥٣
باب نفض اليدين من الغسل عن الجنابة.	٢٧٢	١	١٥٣
باب متى يدفع من جمع	١٦٠٠	٢	١٥٤
باب التحميد والتسبيح والتكبير قبل الإهلال عند الركوب على الدابة.	١٤٧٦	٢	١٥٥
باب فضل الصوم	١٧٩٥	٢	١٥٦
باب إذا صلى إلى فراش فيه حائض.	٤٩٦	١	١٥٩
باب من الدين الفرار من الفتن	١٩	١	١٦٠

فهرس أحاديث صحيح مُسلِم

فهرس الأشعار

البيت الشّعريّ		القافية	القائل	الصَّفحة
ــ لَهُمْ جُلُّ مَالِي إنْ تَتَابَعَ غِنًى	وَإنْ قلَّ مَالِي لَمْ أكَلِّفْهُمْ رِفْدًا	د	المُقنّع الكنديّ	٣٤
ــ أضَاءَتْ لَنَا النَّــــــارُ وَجْهًا	أعَزَّ مُلْتَبسًا بِالْفُؤَادِ التِــبَاسَا	س	النَّابغة الجعديّ	١٧٥
ــ كَذَاكَ الشَّمْسُ يَبْعُدُ أنْ تَسَامَى	وَيَدْنُو الضَّوءُ مِنْهَا وَالشُّعَاعُ	ع	البحتريّ	١٥
ــ لَهُ أيَطَلا ظَبْي وَسَاقا نَعَامَــةٍ	وَإرْخَاءُ سَرْحَان وَتَقْرِيبُ تَتْفُلِ	ل	امرؤ القيْس	٢٢ (الحاشية)
ــ تَاللهِ لَوْلا اللــــهُ مَا اهْتَدَيْنَــا وَأنْزِلَنْ سَكِيـــــــــنَةً عَلَيْنَا	وَلا تَصَــدَّقْنَا وَلا صَلَّيْــــنَا وَنَحْنُ عَنْ فَضْلِكَ مَا اسْتَغْنَيْنَا	ن	عبدالله بن رواحة	٥٦
ــ أقَرَّتْ لَهُ بِالْفَضْلِ أمَّةُ أحْمَدَ	فَدَانَ لَهَا مِعْوَجهَا وَقَوِيمُهَا	هـــ	البحتريّ	١٤

EXPANSION SIGNIFICANCE OF LANGUAGE IN SAHIH AL-BUKHARIin

BY
ATEF ADDEL-MAJEED ABDEL NABI ABU JAJAH

SUPERVISION
DR. MAHMOUD ABDULLAH JAFFAL AL-HADEED

ABSTRACT

This study discusses the whole subject of Expansion significance of the linguistic traditions of the Prophet peace be upon him contained in the Sahih Al-Bukhari: The language and rhetoric and shoved and assembly, as the focus was on a large number of hadith, which was to be large, prominent in the word used for more than a sign: singleton and a boat. It was for the expansion of his speeches - peace be upon him - and received his talking, or doing, or reporting comprehensiveness of the phenomena of multi-linguistic, Common verbal, synonyms, multiple meanings of the characters, and the expansion of the truth and metaphor, inclusion, deletions, and differences in the expression, and delivery delays and issues derivation, and male and female forms, and other ... Cases, the fertile material for the expansion, has proved its presence in the Hadith their compatibility with the legacy of the Arabs: prose and poetry, and the study proved that what we find differences of language considered as a matter of expansion reference to the divergence of views among scientists understand the meaning.

The conclusion of the study and after analysis of many of the hadith in Sahih Bukhari that the linguistic aspect is an essential aspect of our lives, on the grounds that the language of the most important Pillars, the address of our structure, a carrier of culture, and the link common between us, so it has been marked by our language as broad as to achieve these Purposes in all aspects of Arabic, it represents an increase vocabulary, and complexity of its significance, and Expand contents